

قال لهم إبراهيم عليه السلام:

{ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ } الآيات،

أي: ما شأنكم و ما تريدون؟

لأنه استشعر أنهم رسل

أرسلهم الله لبعض الشؤون المهمة.

{ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ }

و هم قوم لوط، قد أجرموا،

أشركوا بالله

و كذبوا رسولهم،

و أتوا الفاحشة الشنعاء التي ما سبقهم إليها أحد من العالمين.

{ لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَ مِّنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رِئِكَ لِلْمُسْرِفِينَ }

أي: مُعلمة على كل حجر منها سمة صاحبه

لأنهم أسرفوا و تجاوزوا الحد

فجعل إبراهيم يجادلهم في قوم لوط،

لعل الله يدفع عنهم العذاب فقال الله:

{ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ
مَرْدُودٍ { [هود: 76]

{ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾ فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٦﴾

و هم بيت لوط عليه السلام إلا امرأته، فإنها من المهلكين.

{ وَتَرْكَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ }

يعتبرون بها و يعلمون،

أن الله شديد العقاب، و أن رسله صادقون، مصدقون.

***جعل محلّتهم بحيرة منتنة خبيثة عبرة [لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ]

فصل في ذكر بعض ما تضمنته هذه القصة من الحكم والأحكام:

1- أن من الحكمة، قص الله على عباده نبأ الأخيار و الفجار

ليعتبروا بحالهم و أين وصلت بهم الأحوال.

2- فضل إبراهيم الخليل، عليه السلام

حيث ابتدأ الله قصته، بما يدل على الاهتمام بشأنها، و الاعتناء بها.

3- مشروعية الضيافة، و أنها من سنن إبراهيم الخليل، الذي أمر الله هذا النبي

و أمته، أن يتبعوا ملته،

و ساقها الله في هذا الموضع، على وجه المدح له و الشناء.

4- أن الضيف يكرم بأنواع الإكرام: بالقول- و الفعل،

لأن الله وصف أضياف إبراهيم، بأنهم مكرمون:-

أي: أكرمهم إبراهيم، و وصف الله ما صنع بهم من الضيافة
قولاً و فعلاً و مكرمون أيضاً عند الله تعالى.

5- أن إبراهيم عليه السلام قد كان بيته، مأوى للطارقين و الأضياف،
لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان،

و إنما سلكوا طريق الأدب، في الابتداء السلام فرد عليهم إبراهيم سلاماً،
أكمل من سلامهم و أتم،

لأنه أتى به جملة اسمية دالة على الثبوت و الاستمرار.

6- مشروعية تعرف من جاء إلى الإنسان،

أو صار له فيه نوع اتصال لأن في ذلك، فوائد كثيرة.

7- أدب إبراهيم ولطفه في الكلام،

حيث قال: {قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} و لم يقل: " أنكرتكم "

و بين اللفظين من الفرق ما لا يخفى .

8- المبادرة إلى الضيافة و الإسراع بها، لأن خير البر عاجله

و لهذا بادر إبراهيم بإحضار قرى أضيافه.

9- أن الذبيحة الحاضرة، التي قد أعدت لغير الضيف الحاضر إذا جعلت له،

ليس فيها أقل إهانة، بل ذلك من الإكرام، كما فعل إبراهيم عليه السلام

و أخبر الله أن ضيفه مكرمون.

10- ما من الله به على خليله إبراهيم، من الكرم الكثير،

و كون ذلك حاضراً عنده و في بيته معداً،

لا يحتاج إلى أن يأتي به من السوق، أو الجيران، أو غير ذلك.

11- أن إبراهيم، هو الذي خدم أضيافه، و هو خليل الرحمن،

و كبير من ضيف الضيفان.

12- أنه قربه إليهم في المكان الذي هم فيه و لم يجعله في موضع،

و يقول لهم: " تفضلوا، أو ائتوا إليه " لأن هذا أيسر عليهم و أحسن.

13- حسن ملاطفة الضيف في الكلام اللين،

خصوصاً، عند تقديم الطعام إليه

فإن إبراهيم عرض عليهم عرضاً لطيفاً

و قال: {أَلَا تَأْكُلُونَ}

و لم يقل: " كلوا " و نحوه من الألفاظ، التي غيرها أولى منها

بل أتى بأداة العرض

فقال: {أَلَا تَأْكُلُونَ}

فينبغي للمقتدي به أن يستعمل من الألفاظ الحسنة:

ما هو المناسب و اللائق بالحال

كقوله لأضيافه: " ألا تأكلون " أو:-

"ألا تفضلون علينا و تشرفونا و تحسنون إلينا " ونحوه.

14- أن من خاف من الإنسان لسبب من الأسباب

فإن عليه أن يزيل عنه الخوف، و يذكر له ما يؤمن روعه،
و يسكن جأشه، كما قالت الملائكة لإبراهيم لما خافهم: { لَا تَخَفْ }
و أخبروه بتلك البشارة السارة، بعد الخوف منهم.

15- شدة فرح سارة، امرأة إبراهيم، حتى جرى منها ما جرى،

من صك وجهها، و صرتها غير المعهودة.

16- ما أكرم الله به إبراهيم و زوجته سارة، من البشارة، بغلام عليم.

وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبَيْهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ

﴿٣٩﴾ فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَبَدَّتْهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾

أي: { **وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ** }

و ما أرسله الله به إلى فرعون و ملئه، بالآيات البينات، و المعجزات
الظاهرات، آية للذين يخافون العذاب الأليم

(بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ)

فلما أتى موسى بذلك السلطان المبين،

{ **فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبَيْهِ** }

فتولى فرعون أي: أعرض بجانبه عن الحق، و لم يلتفت إليه

استكبارا و عنادا

او تعزز بأصحابه

و قدح فيه أعظم القدح

فقالوا: { وَقَالَ سَاحِرٌ آخَرٌ مَجْنُونٌ }

أي: إن موسى، لا يخلو،

○ إما أن يكون ساحرا و ما أتى به شعبة ليس من الحق في شيء،

○ و إما أن يكون مجنوناً، لا يؤخذ بما صدر منه، لعدم عقله.

هذا، و قد علموا، خصوصاً فرعون، أن موسى صادق، كما قال تعالى:

{ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا }

وقال موسى لفرعون:

{ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ

يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا } [الإسراء: 102]

{ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ }

اليم: البحر

*الميسر: و هو آتٍ ما يلام عليه؛ بسبب كفره و جحوده و فجوره.

**قال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز في مسجد التوحيد هو نهر

النيل باللغة العبرية

أي: مذنب طاغ، عات على الله، فأخذه عزيز مقتدر.

وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾

مَا نَذِرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾

أي { وفي عاد }

القبيلة المعروفة آية عظيمة

{ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ }

أي: التي لا خير فيها، حين كذبوا نبيهم ﷺ

*** صحيح البخاري

1035 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالدَّبُورِ» ()

{ مَا نَذِرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ }

أي: كالريم البالية، فالذي أهلكهم على قوتهم و بطشهم،

دليل على كمال قوته و اقتداره، الذي لا يعجزه شيء، المنتقم ممن عصاه.

وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ

يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِّينَ ﴿٤٥﴾

أي { وفي ثمود إذ قيل لهم }

(نصرت بالصبا) هي الريح التي تهب من مشرق الشمس و نصرته بها ﷺ
كانت يوم الخندق إذا أرسلها الله تعالى على الأحزاب باردة في ليلة شاتية فقلعت خيامهم
وأطفأت نيرانهم وقلبت قدورهم وكان ذلك سبب رجوعهم وانهزامهم.
(الدبور) هي الريح التي تهب من مغرب الشمس وبها كان هلاك قوم عاد كما قص علينا
القرآن الكريم]

آية عظيمة ، حين أرسل الله إليهم صالحًا عليه السلام
فكذبوه و عاندوه، و بعث الله له الناقة، آية مبصرة،
فلم يزدهم ذلك إلا عتوًا و نفورًا.

فَقِيلَ { تَمَنَعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ }

***{وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ} (64) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ
ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (65) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ}
[هود: 64 - 66]

أي: الصيحة العظيمة المهلكة

{وَهُمْ يَنْظُرُونَ}

إلى عقوبتهم بأعينهم.

{فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ}

ينجون به من العذاب

{وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ}

لأنفسهم.

وَقَوْمٌ نُوحٌ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾

أي: وكذلك ما فعل الله بقوم نوح،
حين كذبوا نوحًا عليه السلام وفسقوا عن أمر الله،
فأرسل الله عليهم السماء و الأرض بالماء المنهمر،
فأغرقهم الله تعالى عن آخرهم،
و لم يبق من الكافرين ديارًا،
و هذه عادة الله و سنته، فيمن عصاه.

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ ﴿٤٨﴾

وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾

يقول تعالى مبينًا لقدرته العظيمة:

{ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا** }

أي: خلقناها و أبقناها، و جعلناها سقفا للأرض و ما عليها.

{ **بِأَيْدٍ** } أي: بقوة و قدرة عظيمة

{ **وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** }

لأرجائها و أنحائها

و إنا لموسعون أيضا على عبادنا بالـرزق

الذي ما ترك الله دابة في مهامه القفار

و لجج البحار، و أقطار العالم العلوي و السفلي

إلا وأوصل إليها من الرزق، ما يكفيها،
و ساق إليها من الإحسان ما يغنيها.
فسبحان من عم بجوده جميع المخلوقات
و تبارك الذي وسعت رحمته جميع البريات.

جاء في موقع الكحيل:

يقول تعالى عن توسع السماء:
(والسما بنيناها بأيد وإنا لموسعون) [الذاريات:47].
يتحدث رب العالمين عز وجل في هذه الآية الكريمة عن اتساع
السماء،
ويخبر عباده أن السماء التي يرونها هي بناء محكم،
و أنها دائمة التوسع،
ومع أن الناس كانوا يظنون و لفترة طويلة
أن الكون ثابت لا يتغير حجمه،
إلا أن القرآن حدثنا عن هذه الحقيقة العلمية،
وأكد من خلال هذه الآية أن السماء تتسع و تتمدد باستمرار
(وإنا لموسعون).
فبعد تجارب عديدة قام بها علماء الفلك وصلوا بنتيجتها إلى
حقيقة علمية تعتبر من أهم اكتشافات القرن العشرين،
ألا وهي توسع الكون.
و هنا تتجلى عظمة هذه الآية الكريمة،
يؤكد جميع علماء الفلك أن الكون في حالة توسع مستمر،

فقد بدأ من نقطة صغيرة ثم بدأ يتمدد و يتوسع حتى يومنا هذا،
وهذا ما تحدث عنه القرآن في قوله تعالى:
(والسما بنيناها بأيد وإنا لموسعون).

{وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا}

أي: جعلناها فراشاً للخلق، يتمكنون فيها من كل ما تتعلق به مصالحهم:
من مساكن، و غراس، و زرع، و حرث و جلوس
و سلوك للطرق الموصلة إلى مقاصدهم و مآربهم
و لما كان الفراش، قد يكون صالحاً للانتفاع من كل وجه
وقد يكون من وجه دون وجه
أخبر تعالى أنه مهدها أحسن مهاده، على أكمل الوجوه وأحسنها
وأثنى على نفسه بذلك

{فَنِعَمَ الْمِهْدُونَ}

الذي مهد لعباده ما اقتضته حكمته ورحمته وإحسانه.

{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ}

أي: صنفين ، ذكر و أنثى، من كل نوع من أنواع الحيوانات
***أي: جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ أَرْوَاجٌ: سَمَاءٌ وَ أَرْضٌ،
وَ لَيْلٌ وَ نَهَارٌ، وَ شَمْسٌ وَ قَمَرٌ، وَ بَرٌّ وَ بَحْرٌ،
وَ ضِيَاءٌ وَ ظَلَامٌ، وَ إِيْمَانٌ وَ كُفْرٌ، وَ مَوْتُ وَ حَيَاةٌ، وَ شَقَاءٌ وَ سَعَادَةٌ،
وَ جَنَّةٌ وَ نَارٌ،

حَتَّى الْحَيَوَانَاتُ جِنَّ وَ إِنْسٌ، ذُكُورٌ وَ إِنَاثٌ وَ النَّبَاتَاتُ،
وَ لِهَذَا قَالَ: {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}

أَيُّ: لَتَعْلَمُوا أَنَّ الْخَالِقَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.

○ لنعم الله التي أنعم بها عليكم في تقدير ذلك،

وحكمته حيث جعل ما هو السبب لبقاء نوع الحيوانات كلها

لتقوموا بتنميتها وخدمتها وتربيتها، فيحصل من ذلك ما يحصل من المنافع.

فلما دعا العباد النظر لآياته الموجبة لخشيته والإنابة إليه

أمر بما هو المقصود من ذلك، وهو الفرار إليه

فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾

وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

أي: الفرار مما يكرهه الله ظاهراً و باطناً، إلى ما يحبه، ظاهراً و باطناً،

فرار من الجهل إلى العلم،

و من الكفر إلى الإيمان،

و من المعصية إلى الطاعة،

و من الغفلة إلى ذكر الله فمن استكمل هذه الأمور،

فقد استكمل الدين كله

و قد زال عنه المرهوب،

و حصل له، نهاية المراد و المطلوب.

وسمى الله الرجوع إليه، فراراً، لأن في الرجوع لغيره، أنواع المخاوف والمكاره،
وفي الرجوع إليه، أنواع المحاب والأمن، والسرور والسعادة والفوز،
فيفر العبد من قضائه وقدره، إلى قضائه وقدره،
وكل من خفت منه فررت منه إلى الله تعالى،
فإنه بحسب الخوف منه، يكون الفرار إليه،

{إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} أي: منذر لكم من عذاب الله، ومخوف بين النذارة.

{وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} هذا من الفرار إلى الله

بل هذا أصل الفرار إليه أن يفر العبد من اتخاذ آلهة غير الله،
من الأوثان، والأنداد والقبور، وغيرها، مما عبد من دون الله،
ويخلص العبد لربه (العبادة و الخوف، و الرجاء و الدعاء، و الإنابة).

إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾

﴿٥٣﴾ اتَّوَصَوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ

(كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ)

يقول الله مسلماً لرسوله ﷺ عن تكذيب المشركين بالله،
المكذبين له، القائلين فيه من الأقوال الشنيعة، ما هو منزعه عنه،
و أن هذه الأقوال، ما زالت دأباً و عادة للمجرمين المكذبين للرسول
فما أرسل الله من رسول،

(إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ)

إلا رماه قومه بالسحر أو الجنون.

يقول الله تعالى: هذه الأقوال التي صدرت منهم -الأولين و الآخرين-

{ اتَّوَصَوْا بِهِمْ }

هل هي أقوال تواصوا بها، و لقن بعضهم بعضاً بها؟
فلا يستغرب -بسبب ذلك- اتفاقهم عليها:

{ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ }

تشابهت قلوبهم و أعمالهم بالكفر و الطغيان،
فتشابهت أقوالهم الناشئة عن طغيانهم؟
و هذا هو الواقع،

كما قال تعالى {قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [البقرة: 118]

- و كذلك المؤمنون، لما تشابهت قلوبهم بالإذعان للحق و طلبه،
و السعي فيه،
بادروا إلى الإيمان برسولهم و تعظيمهم، و توقيرهم، و خطابهم بالخطاب
اللائق بهم.

فَنَوَّلْنَاهُمْ مَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْنَاكَ فَإِنَّ الدِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾
يقول تعالى أمراً رسوله بالإعراض عن المعرضين المكذبين:

{ فَنَوَّلْنَاهُمْ }

أي: لا تبال بهم و لا تؤاخذهم، و أقبل على شأنك.

(فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ)

فليس عليك لوم في ذنبهم، و إنما عليك البلاغ،
و قد أديت ما حملت، و بلغت ما أرسلت به.

{ وَذَكَرْنَاكَ فَإِنَّ الدِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ }

و التذكير نوعان:

1-تذكير بما لم يُعرف تفصيله، مما عرف مجمله بالفطر و العقول

أ-فإن الله فطر العقول على محبة الخير و إيثاره،

ب-و كراهة الشر والزهد فيه، و شرعه موافق لذلك،

فكل أمر و نهي من الشرع، فإنه من التذكير،

و تمام التذكير، أن يذكر ما في المأمور به،

(من الخير و الحسن و المصالح، و ما في المنهي عنه، من المضار).

2-و النوع الثاني من التذكير: تذكير بما هو معلوم للمؤمنين

و لكن انسحبت عليه الغفلة و الذهول ← فيذكرون بذلك،

و يكرر عليهم ليرسخ في أذهانهم،

و ينتبهوا و يعملوا بما تذكره، من ذلك،

← و ليحدث لهم نشاطاً و همة، توجب لهم الانتفاع و الارتفاع.

و أخبر الله أن الذكرى تنفع المؤمنين،

لأن ما معهم من ((الإيمان -و الخشية -و الإنابة-و اتباع رضوان الله))

← يوجب لهم أن تنفع فيهم الذكرى، و تقع الموعظة منهم موقعها

كما قال تعالى:

{ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (9) سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى (10) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى }

[الأعلى: 9 - 11]

و أما من ليس له معه إيمان و لا استعداد لقبول التذكير، فهذا لا ينفع تذكيره،

بمنزلة الأرض السبخة، التي لا يفيدها المطر شيئاً،

و هؤلاء الصنف، لو جاءتهم كل آية ← لم يؤمنوا حتى يروا العذاب
الأليم. (I)

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ
يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

(*) اسلوب استثناء يفيد الحصر

هذه الغاية، التي خلق الله الجن و الإنس لها، و بعث جميع الرسل يدعون إليها،
و هي عبادته، المتضمنة :-

1- لمعرفته

2- و محبته،

3- و الإنابة إليه

4- و الإقبال عليه،

5- و الإعراض عما سواه،

و ذلك يتضمن معرفة الله تعالى،

سبح (مختار الصحاح)

س ب خ : الَرَبَخَةُ بفتح الباء واحدة السَّبَاحُ

وَأَرْضٌ سَبِيحَةٌ بكسر الباء ذات سباح

قلت أرض سَبِيحَةٌ أي ذات ملح ونز ويقال سَبَّخَ

فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله،

بل كلما ازداد العبد معرفة لربه ← كانت عبادته أكمل،

فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم.

مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ

(مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ)

فما يريد منهم من رزق

(وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ)

و ما يريد أن يطعموه، تعالى الله الغني المغني عن الحاجة إلى أحد بوجه من الوجوه، -

و إنما جميع الخلق، فقراء إليه، في جميع حوائجهم و مطالبهم،
الضرورية و غيرها

و لهذا قال: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ}

أي: كثير الرزق، الذي ما من دابة في الأرض و لا في السماء إلا على الله
رزقها، و يعلم مستقرها و مستودعها

{ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}

أي: الذي له القوة و القدرة كلها، الذي أوجد بها الأجرام العظيمة،
السفلية و العلوية، و بها تصرف في الظواهر و البواطن،

و نفذت مشيئته في جميع البريات،

فما شاء الله كان، و ما لم يشأ لم يكن، و لا يعجزه هارب،

و لا يخرج عن سلطانه أحد،

و من قوته، أنه أوصل رزقه إلى جميع العالم،

و من قدرته و قوته، أنه يبعث الأموات بعد ما مزقهم البلى، و عصفت بترابهم

الرياح، و ابتلعهم الطيور و السباع، و تفرقوا و تمزقوا في مهامه القفار،

و لجج البحار،

فلا يفوته منهم أحد، و يعلم ما تنقص الأرض منهم، فسبحان القوي المتين.

*جاء في كتاب أسماء الله الحُسنى الثابتة في الكتاب والسنة

محمود عبد الرازق :

المتين:

الاسم يدل على ذات الله و على صفة المتانة و الشدة بدلالة

المطابقة،

و على ذات الله وحدها بالتضمن،

و على الصفة وحدها بالتضمن،

و لم يذكر الوصف بنصه في القرآن والسنة

و إنما ذكر بالمعنى،

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ

شَدِيدٌ}[هو:2:10]

وقال سبحانه: {وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}[الرعد:13]،

و قال: {الله الذی لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} [إبراهيم:2]،

و الاسم يدل باللزوم على الحياة والقيومية و القدرة و القوة،
و العزة و العظمة،
و غير ذلك من صفات الكمال،
و اسم الله المتين دل على صفة من صفات الذات.

فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ ﴿٥٩﴾

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

(فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا)

أي: و إن للذين ظلموا و كذبوا محمداً ﷺ، من العذاب و النكال

{ ذُنُوبًا }

أي: نصيباً وقسطاً،

(مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ)

مثل ما فعل بأصحابهم من أهل الظلم والتكذيب.

{ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ }

بالعذاب، فإن سنة الله في الأمم واحدة،

فكل مكذب يدوم على تكذيبه من غير توبة و إنابة،

فإنه لا بد أن يقع عليه العذاب،

و لو تأخر عنه مدة، و لهذا توعدهم الله بيوم القيامة،

فقال: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ}

و هو يوم القيامة، الذي قد وعدوا فيه بأنواع العذاب و النكال و السلاسل و الأغلال،

فلا مغيث لهم، و لا منقذ من عذاب الله تعالى نعوذ بالله منه .

تفسير سورة الطور - بسم الله الرحمن الرحيم - مكية

وَالطُّورِ ۝١ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤
وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِنْ
دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا
۝١٣ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤

صحيح البخاري - 765

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: -

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:

«قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ» ()

(بالطور) أي بسورة الطور والطور قيل هو اسم للجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى ﷺ في سيناء وقيل الطور كل جبل ينبت الشجر المثمر وما لا ينبت الشجر المثمر فليس بطور

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَتْ:
شَكَّوتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَشْتَكِي،
فَقَالَ: «طُوفِي مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ وَأَنْتِ رَاكِبَةٌ»
فَطُفْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَئِذٍ يُصَلِّي إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ
وَهُوَ يَقْرَأُ: " (وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ)

يقسم تعالى بهذه الأمور العظيمة،
المشتملة على الحكم الجليلة، على البعث و الجزاء للمتقين و المكذبين،
فأقسم (وَالطُّورِ)

بالتور الذي هو الجبل الذي كلم الله عليه نبيه موسى بن عمران عليه السلام
و أوحى إليه ما أوحى من الأحكام،
و في ذلك من المنة عليه و على أمته،
ما هو من آيات الله العظيمة،
و نعمه التي لا يقدر العباد لها على عد و لا ثمن.

{وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ}

يحتمل أن المراد به :

- 1- اللوح المحفوظ، الذي كتب الله به كل شيء،
- 2- و يحتمل أن المراد به القرآن الكريم، الذي هو أفضل كتاب أنزله الله
محتويا على نأ الأولين و الآخرين، و علوم السابقين و اللاحقين.

و قوله: { فِي رَقٍّ } أي: ورق

{ مَنْشُورٌ }

أي: مكتوب مسطر، ظاهر غير خفي، لا تخفى حاله على كل عاقل بصير.

{ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ }

و هو البيت الذي فوق السماء السابعة، المعمور مدى الأوقات بالملائكة الكرام،

الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يتعبدون فيه لربهم

ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة

و قيل: إن البيت المعمور هو بيت الله الحرام،

و المعمور بالطائفين و المصلين و الذاكرين كل وقت،

و بالوفود إليه بالحج و العمرة.

صحيح البخاري-3207

عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟

قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ؟

قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، مَرْحَبًا بِهِ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ،

فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،

فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنِ وَنَبِيِّ، فَرَفَعَ لِي الْبَيْتَ الْمَعْمُورُ،

فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ،

فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ،

إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ،
وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبَقَهَا كَأَنَّهُ قَلَالٌ هَجَرَ وَوَرَقَهَا،
كَأَنَّهُ أَذَانُ الْفُيُولِ فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ،
فَسَأَلْتُ جَبْرِيلَ،

فَقَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ: فَفِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: النَّيْلُ وَالْفَرَاتُ، ()
*** صحيح مسلم 260

فَفَتَحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ،
وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ،

*** لهذا وجد ابراهيم مسندا ظهره الي البيت المعمور لانه باني الكعبة
الارضية و الجزاء من جنس العمل و هو بحيال الكعبة
كما أقسم الله به في قوله: {وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ}

و حقيق بيت أفضل بيوت الأرض، الذي قصده بالحج و العمرة،

(فرفع) كشف لي وقرب مني.

(البيت المعمور) بيت في السماء مسامت للكعبة في الأرض.

(آخر ما عليهم) أي دخولهم الأول ذلك هو آخر دخولهم لكثرتهم.

(سدرة المنتهى) شجرة ينتهي إليها علم الملائكة ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ.
(نبقها) حملها وثمرها.

(قلال) جرار معروفة عند المخاطبين ومعلومة القدر عندهم وتقدر القلة بمائة لتر تقريبا.
(هجر) مدينة في اليمن.

(نهران باطنان) قيل هما السلسبيل والكوثر.

(النيل والفرات) يقال هنا ما قيل في شرح الحديث (3027).

(سلمت بخير) رضي بما فرض الله تعالى على من الخير والله أعلم

أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، التي لا يتم إلا بها،
و هو الذي بناه إبراهيم وإسماعيل،
و جعله الله مثابة للناس و أمناً، أن يقسم الله به،
و يبين من عظمته ما هو اللائق به و بحرمة.

{وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ}

أي: السماء، التي جعلها الله سقفا للمخلوقات، و بناء للأرض،
تستمد منها أنوارها، و يقتدى بعلاماتها و منارها،
و ينزل الله منها المطر و الرحمة و أنواع الرزق.

{وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: 32]

{وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ}

الاعجاز العلمي

أي: المملوء ماء، قد سجره الله، و منعه من أن يفيض على وجه الأرض،
مع أن مقتضى الطبيعة، أن يغمر وجه الأرض،
ولكن حكمته اقتضت أن يمنع عن الجريان والفيضان،
ليعيش من على وجه الأرض، من أنواع الحيوان
و قيل: إن المراد بالمسجور، الموقد الذي يوقد نارا يوم القيامة،
فيصير نارا تلظى، ممتلئا على عظمته و سعته من أصناف العذاب.

***كقوله {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ} [التكوير: 6]

اي اضرمت فتصير نارا تتأجج محيطه بأهل الموقف
هذه الأشياء التي أقسم الله بها، مما يدل على أنها من آيات الله و أدلة
توحيده، و براهين قدرته، و بعثه الأموات،

و لهذا قال: { **إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ** }

أي: لا بد أن يقع، ولا يخلف الله وعده وقيله.

{ **مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ** }

يدفعه، و لا مانع يمنعه، لأن قدرة الله تعالى لا يغالبها مغالب،
و لا يفوتها هارب،

ثم ذكر وصف ذلك اليوم، الذي يقع فيه العذاب،

فقال: { **يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا** }

أي: تدور السماء و تضطرب، و تدوم حركتها بانزعاج و عدم سكون،

{ **وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا** }

أي: تزول عن أماكنها، و تسير كسير السحاب، و تتلون كالعن المنفوش،
و تبث بعد ذلك حتى تصبح مثل الهباء،

و ذلك كله لعظم هول يوم القيامة،

و فظاعة ما فيه من الأمور المزعجة، و الزلازل المقلقة،

التي أزعجت هذه الأجرام العظيمة، فكيف بالآدمي الضعيف!؟

{ **فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ** }

و الويل: كلمة جامعة لكل عقوبة و حزن و عذاب و خوف.
ثم ذكر وصف المكذبين الذين استحقوا به الويل،

فقال: { **الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ** }

أي: خوض في الباطل و لعب به.

فعلومهم و بحوثهم بالعلوم الضارة المتضمنة للتكذيب بالحق،
و التصديق بالباطل، و أعمالهم أعمال أهل الجهل و السفه و اللعب،
بخلاف ما عليه أهل التصديق و الإيمان من العلوم النافعة، و الأعمال
الصالحة.

{ **يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً** }

أي: يوم يدفعون إليها دفعا، و يساقون إليها سوقا عنيفا،
و يجرون على وجوههم، و يقال لهم توبيخا و لوما:

{ **هَذِهِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ** }

فاليوم ذوقوا عذاب الخلد الذي لا يبلغ قدره، و لا يوصف أمره.

*جاء في موقع الكحيل:

العودة

حقيقة البحر المسجور



إنها حقائق تشهد على عظمة منزل القرآن تبارك وتعالى،
حدثنا عن بحر محمى، بل وأقسم به،
وجاء العلماء ليصوروا هذا المشهد الرائع في أعماق المحيط....
تمتد التصدعات الأرضية لتشمل قاع البحار والمحيطات،
ففي قاع البحار هنالك تصدعات للقشرة الأرضية وشقوق يتدفق
من خلالها السائل المنصهر من باطن الأرض.
وقد اكتشف العلم الحديث هذه الشقوق حيث تتدفق الحمم
المنصهرة في الماء لمئات الأمتار،
و المنظر يوحي بأن البحر يحترق!
هذه الحقيقة حدثنا عنها القرآن عندما أقسم الله تعالى بالبحر
المسجور أي المشتعل، يقول عز وجل:
(والبحر المسجور) [الطور:6].
إن القرآن لو كان صناعة بشرية لامتزج بثقافة عصره،

فمنذ أربعة عشر قرناً لم يكن لدى إنسان من الحقائق إلاّ الأساطير
والخرافات البعيدة عن الواقع،
و إن خلوّ القرآن من أيّ من هذه الأساطير يمثل برهاناً مؤكداً
على أنه كتاب ربّ العالمين، أنزله بقدرته وبعلمه.
و لكن قد يتساءل المرء عن سرّ وجود هذه الصدوع.
و لماذا جعل الله الأرض متصدعة في معظم أجزائها؟
إن الجواب عن ذلك بسيط، فلولا هذه الصدوع،
و لو كانت القشرة الأرضية كتلة واحدة لا شقوق فيها،
لحبس الضغط تحتها بفعل الحرارة و الحركة
و أدى ذلك إلى تحطم هذه القشرة و انعدمت الحياة.
لذلك يمكن القول إن هذه الصدوع هي بمثابة فتحات تتنفس منها
الأرض، و تخرج شيئاً من ثقلها و حرارتها و ضغطها للخارج.
بتعبير آخر هي صمام الأمان الذي يحفظ استقرار الأرض
وتوازنها.

إن حقيقة البحر المشتعل أو (البحر المسجور)
أصبحت يقيناً ثابتاً.

فنحن نستطيع اليوم مشاهدة الحمم المنصهرة في قاع المحيطات
وهي تتدفق وتلهب مياه المحيط ثم تتجمّد وتشكل سلاسل من
الجبال قد يبرز بعضها إلى سطح البحر مشكلاً جزراً بركانية.
هذه الحقيقة العلمية لم يكن لأحد علم بها أثناء نزول القرآن
ولا بعده بقرون طويلة،

فكيف جاء العلم إلى القرآن

و من الذي أتى به في ذلك الزمان؟

إنه الله تعالى الذي يعلم السرّ وأخفى والذي حدثنا عن اشتعال البحار و يحدثنا عن مستقبل هذه البحار عندما يزداد اشتعالها:

(وإذا البحار سجّرت) [التكوير:6]،

ثم يأتي يوم لتنفجر هذه البحار، يقول تعالى:

(وإذا البحار فجّرت) [الانفطار:3].

و هنا نكتشف شيئاً جديداً في أسلوب القرآن أنه يستعين بالحقائق العلمية لإثبات الحقائق المستقبلية،

فكما أن البحار نراها اليوم تشتعل بنسبة قليلة،

سوف يأتي ذلك اليوم عندما تشتعل جميعها ثم تنفجر،

و هذا دليل علمي على يوم القيامة.

والآن مع بعض الصور التي تشهد على قدرة الخالق عز وجل،

لنتأمل و نسبح الله تعالى:

كيف تختلط النار بالماء و على الرغم من ذلك لا تطفئ الماء

النار و لا تبخر النار الماء،

بل يبقى التوازن، فسبحان الله!

حمم منصهرة تتدفق في قاع المحيط،

و تظهر كيف تحمي ماء البحر،

فهو بحر مسجور كما وصفه الله تعالى.



بعد تراكم الحمم المنصهرة تتشكل الجزر البركانية، ويؤكد العلماء إن جميع بحار الدنيا يوجد في قاعها شقوق تتدفق منها الحجارة المنصهرة، و أن هذه الظاهرة من الظواهر الكونية المرعبة، ولذلك أقسم الله بها أن عذابه سيقع:

(وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (6) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (7) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ)
[الطور: 6 - 8].

أَفْسِحْرْ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾

أَصْلُوهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

{أَفْسِحْرْ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ}

تقول لهم الزبانية

يحتمل أن الإشارة إلى النار و العذاب،

ما يدل عليه سياق الآية أي:-

لما رأوا النار والعذاب قيل لهم من باب التقريع:

" أهذا سحر لا حقيقة له، فقد رأيتموه، أم أنتم في الدنيا لا تبصرون "

أي: لا بصيرة لكم و لا علم عندكم، بل كنتم جاهلين بهذا الأمر،

لم تقم عليكم الحجة؟

و الجواب انتفاء الأمرين:

أ-أما كونه سحرا، فقد ظهر لهم أنه أحق الحق، و أصدق الصدق،

المخالف للسحر من جميع الوجوه،

ب-و أما كونهم لا يبصرون، فإن الأمر بخلاف ذلك،

بل حجة الله قد قامت عليهم، و دعتهم الرسل إلى الإيمان بذلك،

و أقامت من الأدلة و البراهين على ذلك،

ما يجعله من أعظم الأمور المبرهنة الواضحة الجليلة.

و يحتمل أن الإشارة بقوله: {أَفْسِحْرْ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ}

إلى ما جاء به الرسول ﷺ من الحق المبين، و الصراط المستقيم
أي: هذا الذي جاء به محمد ﷺ سحر أم عدم بصيرة بكم،
حتى اشتبه عليكم الأمر،
و حقيقة الأمر أنه أوضح من كل شيء وأحق الحق، و أن حجة الله قامت
عليهم

{ أَصْلَوْهَا }

أي: ادخلوا النار على وجه تحيط بكم،
و تستوعب جميع أبدانكم و تطلع على أفئدتكم.

{ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ }

أي: لا يفيدكم الصبر على النار شيئا، و لا يتأسى بعضكم ببعض،

{ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ }

[الزخرف 39]

و لا يخفف عنكم العذاب،

و ليست من الأمور التي إذا صبر العبد عليها هانت مشقتها و زالت شدتها.

{ إِنَّمَا يُجِزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }

**و لا يظلم الله أحدا بل يجازي كلا بعمله

و إنما فعل بهم ذلك، بسبب أعمالهم الخبيثة و كسبهم، و لهذا قال

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَتَكْبِهِينَ يَمَاءً أَنَّهُمْ رُبُّهُمْ وَوَقَّهَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ
الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ
وَزَوَّجَنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾

لما ذكر تعالى عقوبة المكذبين، ذكر نعيم المتقين،

ليجمع بين الترغيب و الترهيب،

فتكون القلوب بين الخوف و الرجاء،

فقال: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ}

لربهم، الذين اتقوا سخطه و عذابه،

بفعل أسبابه من امثال الأوامر و اجتناب النواهي.

فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ {

أي: بساتين، قد اكتست رياضها من: -

((الأشجار الملتفة-و الأنهار المتدفقة، - و القصور المجددة-

و المنازل المزخرفة))،

{وَنَعِيمٍ}

و هذا شامل لنعيم ((القلب -و الروح -و -البدن))

{ فَتَكْبِهِينَ يَمَاءً أَنَّهُمْ رَبُّهُمْ }

أي: معجبين به، متمتعين على وجه الفرح و السرور

بما أعطاهم الله من النعيم الذي لا يمكن وصفه،
و لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين،

(وَوَقَّعْتُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)

و وقاهم عذاب الجحيم
فرزقهم المحبوب- و نجاهم من المرهوب،
لما فعلوا ما أحبه الله، و جانبوا ما يسخطه و يأباه.

{كُلُوا وَاشْرَبُوا}

أي: مما تشتهيهِ أنفسكم، من أصناف المآكل و المشارب اللذيذة،

{هَنِيئًا}

متهئين بتلك المآكل و المشارب على وجه الفرح و السرور و البهجة و الحبور.

{بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}

أي: نلتُم ما نلتُم بسبب أعمالكم الحسنة، و أقوالكم المستحسنة.

***كقوله: **{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}** [الحاقة: 24]

{مُتَّكِئِينَ عَلَى}

الاتكاء: هو الجلوس على وجه التمكن و الراحة و الاستقرار،

(سُرُورٍ)

هي الأرائك المزينة بأنواع الزينة من اللباس الفاخر و الفرش الزاهية.

و وصف الله السرر بأنها مصفوفة، ليدل ذلك على كثرتها،
و حسن تنظيمها، و اجتماع أهلها و سرورهم، بحسن معاشرتهم،
و لطف كلام بعضهم لبعض
***وجوه بعضهم الي بعض كقوله:

كقوله { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ }
[الحجر: 47]

{ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (42) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (43) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ }
[الصافات: 42 - 44]

{ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ } [الدخان: 53]
{ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (15) مُتَكِبِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ } [الواقعة: 15، 16]
فلما اجتمع لهم من نعيم القلب و الروح و البدن ما لا يخطر بالبال،
و لا يدور في الخيال، من المآكل و المشارب اللذيذة،
و المجالس الحسنة الأنيقة،

لم يبق إلا التمتع بالنساء اللاتي لا يتم سرور بدونهن
فذكر الله أن لهم من الأزواج أكمل النساء أوصافا و خلقا و أخلاقا،
و لهذا قال:

{ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ }

و هن النساء اللواتي قد جمعن —ن:—

1-جمال الصورة الظاهرة و بهاءها،

2-و من الأخلاق الفاضلة،

ما يوجب أن:—

1-يحيرن بحسنهن الناظرين،

2-و يسلبن عقول العالمين،

3-و تكاد الأفئدة أن تطيش شوقا إليهن، و رغبة في وصالهن،

و العين: حسان الأعين مليحاتها، التي صفا بياضها و سوادها.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ آَلَفْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَآمَدْنَاهُمْ بِفِكَهٍمْ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْتَرِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زُلُمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّاهُ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)

و هذا من تمام نعيم أهل الجنة،

أن ألحق الله بهم ذريتهم الذين اتبعوهم بإيمان

أي: الذين لحقوهم بالإيمان الصادر من آبائهم،

فصارت الذرية تبعاً لهم بالإيمان،

و من باب أولى إذا تبعتهم ذريتهم بإيمانهم الصادر منهم أنفسهم،

فهؤلاء المذكورون، يلحقهم الله بمنازل آبائهم في الجنة و إن لم يبلغوها،

جزاء لأبائهم، و زيادة في ثوابهم،

(وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ)

و مع ذلك، لا ينقص الله الآباء من أعمالهم شيئاً،

***و أما فضله علي الآباء ببركة دعاء الأبناء :

سنن ابن ماجه (3660)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

" إِنْ الرَّجُلُ لَتَرَفَعَ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟

فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ "

صحيح مسلم (1631)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:

" إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا

- 1- مَنْ صَدَقَ جَارِيَةً،
- 2- أَوْ عَلِمَ يُتَنَفَّعُ بِهِ،
- 3- أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ "

و لما كان ربما توهم متوهم أن أهل النار كذلك،

يلحق الله بهم أبناءهم و ذريتهم،

أخبر أنه ليس حكم الدارين حكما واحدا،

فإن النار دار العدل، و من عدله تعالى أن لا يعذب أحدا إلا بذنب،

و لهذا قال: **{كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ}**

أي: مرتهن بعمله، فلا تزر وازرة وزر أخرى،

و لا يحمل على أحد ذنب أحد.

هذا اعتراض من فوائده إزالة الوهم المذكور.

***أخبر الله عن مقام العدل و هو أنه لا يؤاخذ احدا بذنب أحد بل

{كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ}

أي مرتهن بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس سواء كان أبا أو ابنا

كقوله **{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ (38) إِلَّا أَصْحَابُ الْيَمِيْنِ (39) فِي جَنَّاتٍ**

يَتَسَاءَلُوْنَ (40) عَنِ الْمُجْرِمِيْنَ } [المدثر: 38 - 41]

و قوله: **{وَأَمَدَدْنَاهُمْ }**

أي: أمددنا أهل الجنة من فضلنا الواسع و رزقنا العميم،

{بِفِكَهَةٍ }

من العنب و الرمان و التفاح، و أصناف الفواكه اللذيذة الزائدة على ما به يتقوتون،

{ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْنُؤْنَ }

من كل ما طلبوه واشتتهته أنفسهم، من لحم الطير وغيرها.

{ يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا }

*الميسر : يتعاطون

أي: تدور كاسات الرحيق والخمر عليهم،

و يتعاطونها فيما بينهم،

و تطوف عليهم الولدان المخلدون بأكواب و أباريق و كأس

{ لَا لَغْوٌ فِيهَا }

أي: ليس في الجنة كلام لغو، و هو الذي لا فائدة فيه

{ وَلَا تَأْنِيْهُ }

و هو الذي فيه إثم و معصية،

و إذا انتفى الأمران، ثبت الأمر الثالث،

و هو أن كلامهم فيها سلام طيب طاهر،

مسر للنفوس،

مفرح للقلوب،

يتعاشرون أحسن عشرة،

و يتنادمون أطيّب المنادمة (I)

و لا يسمعون من ربهم، إلا ما يقر أعينهم،

و يدل على رضاه عنهم ومحبتة لهم.

***وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا مَعَ الشَّيْطَانِ.
فَنَزَّهُ اللَّهُ خَمْرَ الْآخِرَةِ عَنْ قَاذُورَاتِ خَمْرِ الدُّنْيَا وَ أَذَاهَا،
فَنَفَى عَنْهَا -كَمَا تَقَدَّمَ-

1-صُدَاعُ الرَّأْسِ،

2- وَ وَجَعُ الْبَطْنِ،

3-و إِزَالَةُ الْعَقْلِ بِالْكُلِّيَّةِ، و **نضيف:-**

4-م—رارة في الحلق

وَ أَخْبَرَ أَنَّهَا لَا تَحْمِلُهُمْ عَلَى الْكَلَامِ السَّيِّئِ الْفَارِغِ عَنِ الْفَائِدَةِ الْمُتَضَمِّنِ
هَذَايَا وَفُحْشَا،

وَ أَخْبَرَ بِحُسْنِ مَنَظَرِهَا، وَ طَيِّبِ طَعْمِهَا وَ مَخْبَرِهَا

فَقَالَ: {بَيْضَاءٌ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ}

[الصّافّات: 46، 47]

{غَوْلٌ} أي ما يفتال العقل، ولا فساد من فساد خمر الدنيا

[ن د م]. (فعل : رباعي متعد بحرف). نَادَمَ ، يُنَادِمُ ، مُنَادِمَةٌ .

1 . " نَادَمَهُ عَلَى الشَّرَابِ " : جَالَسَهُ عَلَيْهِ ، رَافَقَهُ فِي الشُّرْبِ .

2 . " نَادَمَ جَلِيسَهُ " : سَامَرَهُ .

" لَقَدْ نَادَمْتُكَ مُنْذُ اللَّيْلَةِ يَا صَدِيقِي بِهَذَا الْحَدِيثِ " .

{وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ} أي تنذهب عقولهم.

وَقَالَ {لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ} [الْوَاقِعَةُ: 19] ،

وَقَالَ هَاهُنَا: {يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْوُ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ}

{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ}

أي: خدام شباب

{كَانَتْهُمْ لَوْلُؤُهُمْ مَكْنُونٌ}

من حسنهم و بهائهم، يدورون عليهم بالخدمة

و قضاء ما يحتاجون إليه

و هذا يدل على كثرة نعيمهم وسعته، وكمال راحتهم.

***كقوله {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانُ مُخَلَّدُونَ} (17) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ

{مَعِينٍ}

[الواقعة: 17، 18]

{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانُ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا}

[الإنسان: 19]

{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ}

عن أمور الدنيا و أحوالها.

{قَالُوا}

في ذكر بيان الذي أوصلهم إلى ما هم فيه من الحبرة و السرور:

{إِنَّا كُنَّا قَبْلُ}

أي: في دار الدنيا

{فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ}

أي: خائفين وجلين، فتركنا من خوفه الذنوب، و أصلحنا لذلك العيوب.

{فَمَرَّبَ اللَّهُ عَلَيْنَا}

بالهداية و التوفيق،

{وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ}

أي: العذاب الحار الشديد حره.

{إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ^ط}

أن يقينا عذاب السموم، و يوصلنا إلى النعيم،

و هذا شامل :-

((لدعاء العبادة-- و دعاء المسألة))

أي: لم نزل نتقرب إليه بأنواع القربات و ندعوه في سائر الأوقات،

{إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ}

فمن بره بنا و رحمته (أنالنا رضاه و الجنة- و وقانا سخطه والنار).

فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾

أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَرَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾

قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يذكر الناس، مسلمهم و كافرهم،

لتقوم حجة الله على الظالمين،

و يهتدي بتذكيره الموفقون،

و أنه لا يبالي بقول المشركين المكذبين و أذيتهم و أقوالهم

التي يصدون بها الناس عن اتباعه- مع علمهم أنه أبعد الناس عنها،

و لهذا نفى عنه كل نقص رموه به فقال:

{فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ}

أي: منه و لطفه،

{بِكَاهِنٍ}

أي: له ربي من الجن، يأتيه بأخبار بعض الغيوب، التي يضم إليها مائة كذبة،

{وَلَا مَحْنُونٍ}

فاقد للعقل،

***يتخبطه الشيطان من المس

بل أنت أكمل الناس عقلا

و أبعدهم عن الشياطين،

و أعظمهم صدقا،
و أجلهم و أكملهم،
و تارة { **أَمْ يَقُولُونَ** } فيه: إنه

{ **شَاعِرٌ** }

يقول الشعر، والذي جاء به شعر،
و الله يقول: { **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ** } يس 69

{ **نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ** }

أي: نتظر به الموت فسيطل أمره، و نستريح منه .

{ **قُلْ** }

لهم جوابا لهذا الكلام السخيف:

{ **تَرَبَّصُوا** }

أي: انتظروا بي الموت،

{ **فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ** }

نترصد بكم، أن يصيبكم الله بعذاب من عنده— أو بأيدينا.

*** و لمن تكون العاقبة في الدنيا و الآخرة

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٤﴾
 فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ
 الْخَالِقُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ
 خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمْ الْمُضْطَرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ
 مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ
 الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾

{ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا } أي:

أهذا التكذيب لك، و الأقوال التي قالوها؟

هل صدرت عن عقولهم و أحلامهم؟

فبئس العقول و الأحلام، التي أثرت ما أثرت، و صدر منها ما صدر

فإن عقولا جعلت أكمل الخلق عقلا مجنونا،

و أصدق الصدق و أحق الحق كذبا و باطلا لهي العقول التي ينزه المجانين

عنها،

أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ

أَمْ الذي حملهم على ذلك ظلمهم و طغيانهم؟

و هو الواقع، فالطغيان ليس له حد يقف عليه،
فلا يستغرب من الطاعى المتجاوز الحد كل قول و فعل صدر منه.

{ **أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلُهُ** }

أي: تقول محمد القرآن، و قاله من تلقاء نفسه؟

{ **بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ** }

فلو آمنوا، لم يقولوا ما قالوا .

***كفرهم هو الذي حملهم علي هذه المقالة

{ **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** }

أنه تقوله، فإنكم العرب الفصحاء، و الفحول البلغاء،
و قد تحداكم أن تأتوا بمثله، فتصدق معارضتكم أو تقرؤا بصدقه،

و أنكم لو اجتمعتم، أنتم والإنس والجن،

لم تقدروا على معارضته والإتيان بمثله،

{ **قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ**

وَلَوْ كَانُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } [الإسراء 88]

فحينئذ أنتم بين أمرين:

1- إما مؤمنون به، مهتدون بهديه،

2- وإما معاندون متبعون لما علمتم من الباطل.

{ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ }

و هذا استدلال عليهم،

بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق،

أو الخروج عن موجب العقل والدين

و بيان ذلك:-

أنهم منكرون لتوحيد الله، مكذبون لرسوله،

و ذلك مستلزم لإنكار أن الله خلقهم.

و قد تقرر في العقل مع الشرع، أن الأمر لا يخلو من أحد ثلاثة أمور:-

1- إما أنهم خلقوا من غير شيء أي: لا خالق خلقهم،

بل وجدوا من غير إيجاد و لا موجد، و هذا عين المحال.

2- أم هم الخالقون لأنفسهم،

و هذا أيضا محال، فإنه لا يتصور أن يوجدوا أنفسهم

3- فإذا بطل هذان الأمران، و بان استحالتهما،

تعين القسم الثالث أن الله الذي خلقهم،

و إذا تعين ذلك:-

علم أن الله تعالى هو المعبود وحده،

الذي لا تنبغي العبادة و لا تصلح إلا له تعالى.

***صحيح البخاري

4854 - عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
قَالَ: " سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ،

فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ* أَمْ خَلَقُوا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ* أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيِّطِرُونَ }
" قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ،

عن- مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ، عَنْ أَبِيهِ،
سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ وَلَمْ أَسْمَعْهُ زَادَ الَّذِي قَالُوا لِي ()

و قوله: { أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ }

و هذا استفهام يدل على تقرير النفي أي: -

ما خلقوا السماوات والأرض،

فيكونوا شركاء لله، و هذا أمر واضح جدا.

و لكن المكذبين

(لا يوقنون) لا يصدقون وإنما يكابرون ويعاندون.

(عندهم خزائن ربك) يملكون خزائن الله تعالى من الرزق والنبوة وغيرهما فيخسون من شاؤوا
بما شاؤوا.

(المسيطرون) الجبارون المتسلطون

(كاد قلبي أن يطير) قارب قلبي الطيران لما سمع هذه الآية مما تضمنته من بليغ الحجة.

والقائل هو جبير بن مطعم رضي الله عنه وكان سماعه لهذه الآية من جملة ما حمله على

الدخول في الإسلام[كان قد قدم علي النبي ﷺ بعد وقعة بدر في فداء الاسري و كان إذ ذلك

مشركا فكان سماعه هذه الآية من جملة ما حمله على الدخول الي الاسلام بعد ذلك

{ بَلْ لَا يُوقِنُونَ }

أي: ليس عندهم علم تام،
و يقين يوجب لهم الانتفاع بالأدلة الشرعية و العقلية.

{ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ }

أي:أعند هؤلاء المكذبين خزائن رحمة ربك،
فيعطون من يشاءون و يمنعون من يريدون؟
أي: فلذلك حجروا على الله أن يعطي النبوة عبده و رسوله محمدا ﷺ،
وكانهم الوكلاء المفوضون على خزائن رحمة الله،
و هم أحقر و أذل من ذلك،

فليس في أيديهم لأنفسهم نفع و لا ضرر، و لا موت و لا حياة و لا نشور.

{ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا
بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ } [الزخرف: 32]

{ أَمْ هُمُ الْمُضَيِّطُونَ }

أي: المتسلطون على خلق الله و ملكه، بالقهر و الغلبة؟

ليس الأمر كذلك، بل هم العاجزون الفقراء
***المحاسبون للخلق-المتصرفون في الملك و بيدهم مفاتيح الخزائن

{ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ }^ط

أي: أَلهم اطلاع على الغيب،
و استماع له بين الملاء الأعلى، فيخبرون عن أمور لا يعلمها غيرهم؟

{ فَلَيَاتِ مُسْتَعْتِمُهُم }

المدعي لذلك

{ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ }

و أنى له ذلك؟

*** بحجة ظاهرة علي صحة ما هم فيه من الفعل و المقال
○ و الله تعالى عالم الغيب والشهادة،

فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول يخبره بما أراد من علمه.

و إذا كان محمد ﷺ أفضل الرسل و أعلمهم و إمامهم،

و هو المخبر بما أخبر به، من توحيد الله، و وعده، و وعيده،

و غير ذلك من أخباره الصادقة،

و المكذبون هم أهل الجهل و الضلال و الغي و العناد،

فأي المخبرين أحق بقبول خبره؟

خصوصا و الرسول ﷺ قد أقام من الأدلة و البراهين على ما أخبر به،

ما يوجب أن يكون خبره عين اليقين و أكمل الصدق،

و هم لم يقيموا على ما ادعوه شبهة، فضلا عن إقامة حجة.

و قوله: { أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ } كما زعمتم

{وَلَكُمْ الْبَنُونَ}

فتجمعون بين المحذورين؟

جعلكم له الولد، و اختياركم له أنقص الصنفين؟

فهل بعد هذا التنقص لرب العالمين غاية أو دونه نهاية؟

{أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا

عَظِيمًا} [الإسراء40]

{أَمْ سَتَعْلَمُهُمْ}

يا أيها الرسول

{أَجْرًا}

على تبليغ الرسالة،

***أجرة

{فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ}

ليس الأمر كذلك،

***فهم من أدني شئ يثقلهم

بل أنت الحريص على تعليمهم، تبرعا من غير شيء،

بل تبذل لهم الأموال الجزيلة، على قبول رسالتك،

و الاستجابة لأمرك و دعوتك،

و تعطي المؤلفه قلوبهم ليتمكن العلم و الإيمان من قلوبهم .

{ **أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ** }

ما كانوا يعلمونه من الغيوب،

فيكونون قد اطلعوا على ما لم يطلع عليه رسول الله،

فعارضوه و عاندوه بما عندهم من علم الغيب؟

و قد علم أنهم الأمة الأمية، الجهال الضالون،

و رسول الله ﷺ هو الذي عنده من العلم أعظم من غيره،

و أنبأه الله من علم الغيب على ما لم يطلع عليه أحدا من الخلق،

و هذا كله إلزام لهم بالطرق العقلية و النقلية على فساد قولهم،

و تصوير بطلانه بأحسن الطرق و أوضحها وأسلمها من الاعتراض.

و قوله: { **أَمْ يُرِيدُونَ** }

بقدحهم فيك و فيما جئتهم به

{ **كَيْدًا** }^ط

يبتلون به دينك، و يفسدون به أمرك؟

{ **فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ** }

أي: كيدهم في نحورهم، و مضرتة عائدة إليهم،

و قد فعل الله ذلك -و لله الحمد-

فلم يبق الكفار من مقدورهم من المكر شيئاً
إلا فعلوه، فنصر الله نبيه و دينه عليهم و خذلهم و انتصر منهم.

{ **أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ** }

أي: ألهم إله يدعى و يرجى نفعه، و يخاف من ضره، غير الله ؟

{ **سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ** }

فليس له شريك في الملك و لا في الوجدانية و لا في العبادة،
و هذا هو المقصود من الكلام الذي سيق لأجله،

1- و هو بطلان عبادة ما سوى الله و بيان فسادها بتلك الأدلة القاطعة،

2- و أن ما عليه المشركون هو الباطل

3- و أن الذي ينبغي أن يعبد و يصلى له و يسجد

و يخلص له [دعاء العبادة- و دعاء المسألة]

هو الله المألوه المعبود،

كامل الأسماء و الصفات،

كثير النعوت الحسنة،

و الأفعال الجميلة،

ذو الجلال و الإكرام،

و العز الذي لا يرام،

الواحد الأحد،

الفرد الصمد،

الكبير الحميد المجيد.

وَأَن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ

الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى في ذكر بيان أن المشركين المكذبين بالحق الواضح،
قد عتوا عن الحق و عسوا (I) على الباطل،

وأنه لو قام على الحق كل دليل لما اتبعوه، و لخالفوه و عاندوه،

{ وَأَن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا }

أي: لو سقط عليهم من السماء من الآيات الباهرة كسف
أي: قطع كبار من العذاب

{ يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ }

أي: هذا سحب متراكم على العادة

أي: فلا يبالون بما رأوا من الآيات و لا يعتبرون بها،
و هؤلاء لا دواء لهم إلا العذاب و النكال،

*****كقوله {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ} (14)**

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ} [الحجر: 14- 15]

(يبس و صلب: الفعل عسا)

ولهذا قال: { فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ }
*الميسر: دعهم

و هو يوم القيامة الذي يصيبهم فيه من العذاب و النكال،
ما لا يقادر قدره، و لا يوصف أمره.

{ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا }

أي: لا قليلا و لا كثيرا،

و إن كان في الدنيا قد يوجد منهم كيد يعيشون به زمنا قليلا فيوم القيامة
يضمحل كيدهم، و تبطل مساعيهم،

{ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ }

و لا ينتصرون من عذاب الله

وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ

فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

(وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ)

***كقوله { وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }

[السجدة: 21]

لما ذكر الله عذاب الظالمين في القيامة

أخبر أن لهم عذاباً دون عذاب يوم القيامة و ذلك شامل لعذاب الدنيا،
[بالتقتل - و السبي - و الإخراج من الديار] و لعذاب البرزخ و القبر

{وَلَيْكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}

فلذلك أقاموا على ما يوجب العذاب و شدة العقاب.

***نعذبهم في الدنيا و نبتليهم بالمصائب لعلمهم يرجعون و ينيبون
فلا يفهمون ما يراد بهم بل اذا جلي عنهم مما كانوا فيه عادوا الي أسوأ ما
كانوا عليه

و لما بين تعالى الحجج والبراهين على بطلان أقوال المكذبين،

{وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ}

أمر رسوله ﷺ :-

1- أن لا يعبأ بهم شيئاً،

2- و أن يصبر لحكم ربه القدري و الشرعي بلزومه و الاستقامة عليه،

و وعده الله بالكفاية بقوله:

{فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}

أي: بمرأى منا و حفظ، و اعتناء بأمرك،

و أمره أن يستعين على الصبر بالذكر و العبادة،

فقال: **{وَسَيَحْمَدُ رَبَّكَ حِينَ تَقُومُ}**

أي: من الليل.

ففيه الأمر بقيام الليل، أو حين تقوم إلى الصلوات الخمس،

بدليل قوله: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ}

أي: آخر الليل، و يدخل فيه صلاة الفجر، والله أعلم.

{وَادْبَرْ النُّجُومِ}

*الميسر: و افعل ذلك عند صلاة الصبح وقت إدبار النجوم.

*** سنن أبي داود -775

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ ، ثُمَّ يَقُولُ:

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»،

ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ثلاثًا، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا» ثلاثًا،

«أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمَزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ»

صحيح مسلم -399

عَنْ عَبْدِةَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، كَانَ يَجْهَرُ بِهِؤْلَاءِ الْكَلِمَاتِ يَقُولُ:

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»

صحيح البخاري-1154

عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

" مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ،

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ،

وَ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ،

ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا ، اسْتَجِيبَ لَهُ،
فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ " ()
{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}:

***من كل مجلس

سنن أبي داود 4859

عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ:
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: بِأَخْرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ:
«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ،
أَسْتَغْفِرُكَ وَ أَتُوبُ إِلَيْكَ»
فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى،
فَقَالَ: «كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ»

{وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ}

***أي: اذْكُرْهُ وَ اعْبُدْهُ بِالتَّلَاوَةِ وَ الصَّلَاةِ فِي اللَّيْلِ، كَمَا قَالَ:
{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا}
[الإِسْرَاءِ: 79]

{وَإِذْبَارَ الشُّجُومِ}

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ خ1169 عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،
أَنَّهَا قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ التَّوَافِلِ أَشَدَّ تَعَاهُدًا مِنْهُ
عَلَى رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ

(تعار) انتبه وهو يسبح أو يستغفر أو يذكر الله تعالى بأي ذكر

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ 724:
"رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا"

53- تفسير سورة النجم- و هي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ (١١) أَفَتَمْنُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝ (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝ (١٨) أَفَرَأَيْتُمْ اللَّتِ وَالْعُرَىٰ ۝ (١٩)

*** صحيح البخاري -4863
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:
أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ وَالنَّجْمُ،
قَالَ: فَسَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ سَجَدَ مَنْ خَلْفَهُ إِلَّا رَجُلًا
رَأَيْتُهُ أَحَدًا كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَسَجَدَ عَلَيْهِ
فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قَتَلَ كَافِرًا، وَ هُوَ أُمِّيَّةٌ بَنُو خَلْفٍ

(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ)

يقسم تعالى بالنجم عند هويهِ أي:

سقوطه في الأفق في آخر الليل عند إدبار الليل و إقبال النهار،
لأن في ذلك من آيات الله العظيمة، ما أوجب أن أقسم به،
و الصحيح أن النجم، اسم جنس شامل للنجوم كلها،
وأقسم بالنجوم على صحة ما جاء به الرسول ﷺ من الوحي الإلهي،
لأن في ذلك مناسبة عجيبة:

فإن الله تعالى جعل النجوم زينة للسماء،
فكذلك الوحي وآثاره زينة للأرض،

فلولا العلم الموروث عن الأنبياء، لكان الناس في ظلمة أشد من الليل البهيم.

**** عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: {وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ}

يَعْنِي: الْقُرْآنُ إِذَا نَزَلَ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ

عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِّنْ

رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الْوَاقِعَةُ: 75- 80]

(مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ)

و المقسم عليه، تنزيه الرسول ﷺ عن الضلال في علمه، و الغي في قصده،
و يلزم من ذلك أن يكون مهتديا في علمه، هاديا، حسن القصد، ناصحا للأمة
بعكس ما عليه أهل الضلال من فساد العلم، و فساد القصد .

و قال { صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ }

لينبهم على ما يعرفونه منه، من الصدق و الهداية،
و أنه لا يخفى عليهم أمره،

*** هَذَا هُوَ الْمُقَسَّمُ عَلَيْهِ، وَ هُوَ الشَّهَادَةُ لِلرَّسُولِ ﷺ،
بِأَنَّهُ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ، لَيْسَ بِضَالٍّ،
وَ هُوَ: الْجَاهِلُ الَّذِي يَسْلُكُ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ بَغَيْرِ عِلْمٍ،
وَ الْغَاوِي: هُوَ الْعَالِمُ بِالْحَقِّ الْعَادِلُ عَنْهُ قَصْدًا إِلَى غَيْرِهِ،
فَنَزَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَسُولُهُ وَ شَرَعَهُ عَنْ مُشَابَهَةِ
أَهْلِ الضَّلَالِ كَالنَّصَارَى وَ طَرَائِقِ الْيَهُودِ،
وَ عَنْ عِلْمِ الشَّيْءِ وَكَيْتْمَانِهِ وَ الْعَمَلِ بِخِلَافِهِ،
بَلْ هُوَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ،
وَ مَا بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الشَّرْعِ الْعَظِيمِ فِي غَايَةِ الْإِسْتِقَامَةِ وَ الْإِعْتِدَالِ وَ
السَّدَادِ؛

{ وَمَا يَطُوقُ عَنْ هَوَى }

أي: ليس نطقه صادرا عن هوى نفسه
*** مَا يَقُولُ قَوْلًا عَنْ هَوَى وَ غَرَضٍ

{ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }

أي: لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه من الهدى و التقوى،
في نفسه و في غيره.

و دل هذا على أن السنة وحي من الله ﷻ،

كما قال تعالى: { وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } [النساء: 113]

و أنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى و عن شرعه:
 لأن كلامه لا يصدر عن هوى، و إنما يصدر عن وحي يوحى .
 ثم ذكر المعلم للرسول ﷺ، و هو جبريل عليه السلام،
 أفضل الملائكة الكرام وأقواهم وأكملهم،
 فقال: {عَلَّمَهُ}

أي: نزل بالوحي على الرسول ﷺ جبريل عليه السلام،

{شَدِيدُ الْقُوَى}

أي: شديد القوة الظاهرة و الباطنة،

قوي على تنفيذ ما أمره الله بتنفيذه،

قوي على إيصال الوحي إلى الرسول ﷺ،

و منعه من اختلاس الشياطين له، أو إدخالهم فيه ما ليس منه،

و هذا من حفظ الله لوحيه، أن أرسله مع هذا الرسول القوي الأمين.

*{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُطَاعٍ ثَمَّ

أَمِينٍ} [التكوير: 19 - 21]

{ذَوِ مِرْقٍ}

أي: قوة، و خلق حسن، و جمال ظاهر و باطن.

{فَاسْتَوَى}

جبريل عليه السلام

* الميسر: الذي ظهر واستوى على صورته الحقيقية للرسول ﷺ في الأفق الأعلى،

{ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى }

أي: أفق السماء الذي هو أعلى من الأرض،
فهو من الأرواح العلوية، التي لا تنالها الشياطين
و لا يتمكنون من الوصول إليها.
***الافق الاعلي: الذي يأتي منه الصبح أو مطلع الشمس

{ ثُمَّ دَنَا }

جبريل من النبي ﷺ، لإيصال الوحي إليه.

{ فَدَنَّا }

عليه من الأفق الأعلى

{ فَكَانَ }

في قربه منه

{ قَابَ قَوْسَيْنِ }

أي: قدر قوسين، و القوس معروف (Î)

آلة على هيئة هلال تُرمى بها السهام: المعجم الوسيط

{أَوَ أَدْنَى}

أي: أقرب من القوسين، و هذا يدل على كمال المباشرة للرسول ﷺ بالرسالة،
و أنه لا واسطة بينه وبين جبريل عليه السلام

*** وَ قَوْلُهُ: {أَوَ أَدْنَى}

قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ هَذِهِ الصِّيغَةَ تُسْتَعْمَلُ فِي اللُّغَةِ لِإِثْبَاتِ الْمُخْبَرِ عَنْهُ
وَ نَفْيِ مَا زَادَ عَلَيْهِ، كَقَوْلِهِ:

{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً}

[البقرة: 74] ،

أَيُّ: مَا هِيَ بِأَلَيِّنَ مِنَ الْحِجَارَةِ، بَلْ هِيَ مِثْلُهَا أَوْ تَزِيدُ عَلَيْهَا فِي الشَّدَةِ وَ
الْقَسْوَةِ.

وَ كَذَا قَوْلُهُ: {يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً} [النساء: 77] ،

وَ قَوْلُهُ: {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} [الصافات: 147] ،

أَيُّ: لَيْسُوا أَقَلَّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِائَةُ أَلْفٍ حَقِيقَةً، أَوْ يَزِيدُونَ عَلَيْهَا.
فَهَذَا تَحْقِيقٌ لِلْمُخْبَرِ بِهِ لَا شَكَّ وَلَا تَرَدُّدَ ، فَإِنَّ هَذَا مُمْتَنِعٌ هَاهُنَا،

وَ هَكَذَا هَذِهِ الْآيَةُ: {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} .

وَ هَذَا الَّذِي قُلْنَا مِنْ أَنَّ هَذَا الْمُقْتَرَبَ الدَّائِي الَّذِي صَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ

ﷺ

إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، هُوَ قَوْلُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، وَابْنِ مَسْعُودٍ،
وَأَبِي دَرٍّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، كَمَا سَنُورِدُ أَحَادِيثَهُمْ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

صحيح البخاري -3232

عن أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ زُرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى
{فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [النجم: 10]
قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ:

أَنَّهُ «رَأَى جِبْرِيلَ، لَهُ سِتْمِائَةٌ جَنَاحٍ» ()

{ فَأَوْحَى } الله بواسطة جبريل عليه السلام

{ إِنْ عَبْدِهِ } محمد ﷺ

{ مَا أَوْحَى } أي: الذي أوحاه إليه من الشرع العظيم، والنبأ المستقيم.

{ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى }

أي: اتفق فؤاد الرسول ﷺ ورؤيته على الوحي الذي أوحاه الله إليه،
و تواطأ عليه سمعه و قلبه و بصره،

و هذا دليل على كمال الوحي الذي أوحاه الله إليه،

و أنه تلقاه منه تلقيا لا شك فيه و لا شبهة و لا ريب،

فلم يكذب فؤاده ما رأى بصره، و لم يشك بذلك.

و يحتمل أن المراد بذلك ما رأى ﷺ ليلة أُسري به، من آيات الله العظيمة،

و أنه تيقنه حقا بقلبه و رؤيته،

هذا هو الصحيح في تأويل الآية الكريمة،

(قَاب قَوْسَيْنِ) قدر قوسين أو قدر ما بين الوتر والقوس أو ما بين طرفي القوس

و قيل: إن المراد بذلك رؤية الرسول ﷺ لربه ليلة الإسراء، و تكليمه إياه،
و هذا اختيار كثير من العلماء رحمهم الله،
فأثبتوا بهذا رؤية الرسول لربه في الدنيا،
و لكن الصحيح القول الأول،
و أن المراد به جبريل عليه السلام، كما يدل عليه السياق،

و أن محمداً ﷺ رأى جبريل في صورته الأصلية التي هو عليها مرتين:-

- 1- مرة في الأفق الأعلى، تحت السماء الدنيا كما تقدم،
- 2- و المرة الثانية فوق السماء السابعة ليلة أسري برسول الله

(أَقْتَرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى)

*الميسر: أَتَكْذِبُونَ محمداً ﷺ، فتجادلونه على ما يراه و يشاهده من
آيات ربه؟

و لهذا قال: { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى }

أي: رأى محمد جبريل مرة أخرى، نازلاً إليه.

المرة الاولى:

صحيح البخاري 4925

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:
سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ،
فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: " فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ
فَرَفَعْتُ رَأْسِي،

فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ، فَجِئْتُ مِنْهُ رُعبًا

المرة الثانية:

مسلم 177

فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ
هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ،

رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى
الْأَرْضِ»

-من اوصافه:

صحيح البخاري 3233

{لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم 18]

قَالَ: «رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ سَدًّا أَفُقَ السَّمَاءِ»

صحيح البخاري 3234

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ:

«مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ،

وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلْقَهُ سَادًّا مَا بَيْنَ الْأُفُقِ»

*** صحيح مسلم 178-

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» ()

*** صحيح مسلم -176

عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،

قَالَ: { مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى } [النجم: 11]

{ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى } [النجم: 13]،

قَالَ: «رَأَهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ»،

صحيح مسلم -178

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ،

لَوْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ فَقَالَ:

عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟

قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟

قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ،

فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُورًا»

{ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى }

و هي شجرة عظيمة جدا، فوق السماء السابعة،

سميت سدرۃ المنتهى: لأنه ينتهي إليها ما يعرج من الأرض،

و لا ينزل إليها ما ينزل من الله، من الوحي وغيره،

(نور أنى أراه) ومعناه حجابہ النور فكيف أراه؟ قال الإمام أبو عبد الله المازري رحمه الله

الضمير في أراه عائد على الله سبحانه وتعالى ومعناه أن النور منعني من الرؤية كما جرت

العادة بإغشاء الأنوار الأبصار و منعها من إدراك ما حالت بين الراي وبينه]

أو لانتهاه علم الخلق إليها
أي: لكونها فوق السماوات و الأرض، فهي المنتهى في علوها
أو لغير ذلك، والله أعلم.

فرأى محمد ﷺ جبريل في ذلك المكان،
الذي هو محل الأرواح العلوية الزاكية الجميلة،
التي لا يقربها شيطان ولا غيره من الأرواح الخبيثة.
عند تلك الشجرة

{عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى}

أي: الجنة الجامعة لكل نعيم،
بحيث كانت محلا تنتهي إليه الأمانى،
و ترغب فيه الإرادات،
و تأوي إليها الرغبات،
و هذا دليل على أن الجنة في أعلى الأماكن، و فوق السماء السابعة.

{لَا يَعْشَى السِّدْرَةَ مَا يَعْشَى}

أي: يغشاها من أمر الله، شيء عظيم لا يعلم وصفه إلا الله عز وجل.

{مَا زَاغَ الْبَصَرُ}

أي: ما زاغ يمنية و لا يسرة عن مقصوده

{ وَمَا طَعَنِي }

أي: و ما تجاوز البصر،

و هذا كمال الأدب منه صلوات الله و سلامه عليه،

أن قام مقاما أقامه الله فيه، و لم يقصر عنه و لا تجاوزه و لا حاد عنه،

و هذا أكمل ما يكون من الأدب العظيم، الذي فاق فيه الأولين و الآخرين،

فإن الإخلال يكون بأحد هذه الأمور:

1- إما أن لا يقوم العبد بما أمر به،

أو يقوم به على وجه التفريط،

أو على وجه الإفراط،

2- أو على وجه الحيدة يمينا و شمالا و هذه الأمور كلها منتفية عنه [هـ].

{ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى } من الجنة والنار،

*** هَوَّلُهُ: { لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا } [طه: 23]

أي: الدالة على قُدْرَتِنَا وَعَظَمَتِنَا.

وَبِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ اسْتَدَلَّ مَنْ ذَهَبَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الرُّؤْيَا تِلْكَ اللَّيْلَةُ لَمْ تَقَعْ؛

لأنَّه قَالَ: { لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى } ،

وَلَوْ كَانَ رَأَى رَبَّهُ لَأَخْبَرَ بِذَلِكَ وَلَقَالَ ذَلِكَ لِلنَّاسِ،

وَقَدْ تَقَدَّمَ تَقْرِيرُ ذَلِكَ فِي سُورَةِ "سُبْحَانَ"

و غير ذلك من الأمور التي رآها ليلة أسري به.

*** وَتَقَدَّمَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَانَ يُثْبِتُ الرُّؤْيَا لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، وَ
يَسْتَشْهَدُ بِهَذِهِ الْآيَةِ.

وَتَابَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، وَقَدْ خَالَفَهُ جَمَاعَاتٌ مِنَ الصَّحَابَةِ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَالتَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ.

صحيح البخاري - 4855

عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:-

يَا أُمَّتَاهُ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟

فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمَّا قُلْتُ،

أَيِّنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ، مَنْ حَدَّثَكَهِنَّ فَقَدْ كَذَبَ :

1- مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ:

{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: 103]،

{وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الشورى: 51].

2- وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ:

{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا} [لقمان: 34].

3- وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ:

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [المائدة: 67] الْآيَةُ

وَ لِكَتْنِهِ «رَأَى جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ»

وَ قَوْلُهُ: {وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى} ()

(قف شعري) قام من الفزع والخوف من هيبه الله عز وجل.

(أين أنت) أين فهمك.

(من ثلاث) من استحضار ثلاثة أشياء ينبغي أن لا تغيب عنك.

عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَكِنًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: -
يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ،
قُلْتُ: مَا هُنَّ؟

قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ،
قَالَ: وَكُنْتُ مُتَكِنًا فَجَلَسْتُ،

فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي، وَلَا تُعْجِلِينِي،
أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ} [التكوير: 23]،
{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: 13]؟

فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،
فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ
الْمَرَّتَيْنِ،

رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»،
فَقَالَتْ: أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ:

{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: 103]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ،

(لا تدركه) لا تحيط به وفهمت عائشة رضي الله عنها من هذا نفي الرؤية
(وحيا) بأن يلقي في روعه - نفسه - أو رؤيا في المنام ورؤيا الأنبياء حق.
(من وراء حجاب) أي يكلمه من غير واسطة بحيث يسمع كلامه ولا يراه
(تكسب غدا) ما يقع منها ولها في اليوم الذي يلي يومها أو في مستقبل الزمان

لَوْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَسَأَلْتَهُ فَقَالَ:
عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟
قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟
قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ،
فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُورًا»

صحيح مسلم

(173) عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ مِرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ،
قَالَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى،
وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا،
وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا»،
قَالَ: " {إِذْ يَغْشَى} [النجم: 16] السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى "
قَالَ: «فَرَأَشُ مِنْ ذَهَبٍ»،
قَالَ: " فَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا:
أَعْطَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ،
وَأَعْطَى خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ،
وَعَفَرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا، الْمُقْحَمَاتِ ()

(فراش من ذهب) الفراش دويبة ذات جناحين تتهاافت في ضوء السراج واحداها فراشه
(المقحمت) معناه الذنوب العظام الكبائر التي تهلك أصحابها وتوردهم النار وتقحمهم إياها
والتقحم الوقوع في المهالك ومعنى الكلام من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله غفر له
[المقحمت]

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾
 تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا
 مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ
 ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ

لما ذكر تعالى ما جاء به محمد ﷺ من الهدى و دين الحق، و الأمر بعبادة الله و
 توحيده،

ذكر بطلان ما عليه المشركون من عبادة من ليس له من أوصاف الكمال شيء،
 و لا تنفع ولا تضر، وإنما هي أسماء فارغة عن المعنى،
 سماها المشركون هم و آباؤهم الجهال الضلال،
 ابتدعوا لها من الأسماء الباطلة التي لا تستحقها،
 فخدعوا بها أنفسهم و غيرهم من الضلال،
 فالآلهة التي بهذه الحال، لا تستحق مثقال ذرة من العبادة،
 و هذه الأنداد التي سموها بهذه الأسماء،
 زعموا أنها مشتقة من أوصاف هي متصفة بها،
 فسموا "اللات" من "الإله" المستحق للعبادة،
 *** صحيح البخاري -4859

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ: {اللَّاتُ وَالْعُزَّى} [النجم: 19]
 «كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يَلْتُ سَوِيْقَ الْحَاجِّ»
 و"العزى" من "العزير"
 و"مناة" من "المنان"

*** صحيح البخاري-4861

سَمِعْتُ عُرْوَةَ، قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ:
 "إِنَّمَا كَانَ مِنْ أَهْلِ مَنَاةَ الطَّاغِيَةِ الَّتِي بِالْمُشَلِّ،
 لَا يَطُوفُونَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} [البقرة: 158]

فَطَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ "
 قَالَ سُفْيَانُ: «مَنَاةٌ بِالْمُشَلِّ مِنْ قُدَيْدٍ»
 وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ،
 قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ:
 «نَزَلَتْ فِي الْأَنْصَارِ، كَانُوا هُمْ وَغَسَّانُ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمُوا يَهْلُونَ لِمَنَاةَ مِثْلَهُ»
 وَ قَالَ مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ،
 كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ كَانَ يَهْلُ لِمَنَاةَ - وَمَنَاةٌ صَنَمٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ
 قَالُوا: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ كُنَّا لَا نَطُوفُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ تَعْظِيمًا لِمَنَاةَ نَحْوَهُ»
 قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي السَّيَرَةِ:

وَ قَدْ كَانَتِ الْعَرَبُ اتَّخَذَتْ مَعَ الْكَعْبَةِ طَوَاعِيَتَ،
 وَ هِيَ بُيُوتٌ تَعْظُمُهَا كَتَعْظِيمِ الْكَعْبَةِ، بِهَا سَدَنَةٌ وَ حُجَابٌ،
 وَ تُهْدَى لَهَا كَمَا يُهْدَى لِلْكَعْبَةِ،
 وَ تَطُوفُ بِهَا كَطُوفَاتِهَا بِهَا،
 وَ تَنْحَرُ عِنْدَهَا،

وَهِيَ تَعْرِفُ فَضَلَ الْكَعْبَةِ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ عَرَفَتْ أَنَّهَا بَيْتُ إِبْرَاهِيمَ،
عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ مَسْجِدُهُ.

فَكَانَتْ لِقُرَيْشٍ وَ بَنِي كِنَانَةَ الْعُزَّى بِنَخْلَةٍ،
وَ كَانَتْ سَدَنَّتُهَا وَ حُجَابُهَا) بَنِي شَيْبَانَ مِنْ سُلَيْمٍ خُلَفَاءَ بَنِي هَاشِمٍ
قُلْتُ: بَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَهَدَمَهَا، وَ جَعَلَ يَقُولُ:
يَا عُزَّى، كُفْرَانُكَ لَا سُبْحَانَكَ ... إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ ...

مسند أبي يعلى الموصلي
902 - عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ:

لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى نَخْلَةٍ،
وَ كَانَتْ بِهَا الْعُزَّى، فَأَتَاهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ،
وَ كَانَتْ عَلَى تِلَالِ السَّمُرَاتِ،
فَقَطَعَ السَّمُرَاتِ وَ هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا،
ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ،

فَقَالَ: «ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا»،
فَرَجَعَ خَالِدٌ، فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَيْهِ السَّدَنَةُ - وَ هُمْ حُجَابُهَا -
أَمَعْنُوا فِي الْجَبَلِ وَ هُمْ يَقُولُونَ:-

يَا عُزَّى خَبْلِيهِ، يَا عُزَّى عَوْرِيهِ، وَ إِلَّا فَمَوْتِي بِرَغَمٍ،
قَالَ: فَأَتَاهَا خَالِدٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا تَحْتُوا التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا،
فَعَمَّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: «تِلْكَ الْعُزَّى» ()

[حكم حسين سليم أسد] : إسناده صحيح

○ إلهادا في أسماء الله و تجريا على الشرك به،
وهذه أسماء متجردة عن المعاني،
فكل من له أدنى مسكة (□) من عقل،
يعلم بطلان هذه الأوصاف فيها.

{ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى }

أي: أتجعلون لله البنات بزعمكم، و لكم البنون؟.
{ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ
شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ } [الزخرف 19]

{ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى }

أي: ظالمة جائرة، وأي ظلم أعظم من قسمة تقتضي تفضيل العبد المخلوق
على الخالق؟ تعالى عن قولهم علوا كبيرا .
و قوله:

{ إِن هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ }

أي: من حجة وبرهان على صحة مذهبكم،
و كل أمر ما أنزل الله به من سلطان، فهو باطل فاسد، لا يتخذ دينا،

المُسَكَّةُ الْعَقْلُ الْوَافِرُ وَالرَّأْيُ الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ

و هم - في أنفسهم - ليسوا بمتبعين لبرهان، يتيقنون به ما ذهبوا إليه،

{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ}

وإنما دلهم على قولهم:

1- الظن الفاسد،

2- واجهل الكاسد،

3- وما تهووا أنفسهم من الشرك، و البدع الموافقة لأهويتهم،

و الحال أنه لا موجب لهم يقتضي اتباعهم الظن، من فقد العلم و الهدى،

*** أَي: لَيْسَ لَهُمْ مُسْتَنَدٌ إِلَّا حُسْنُ ظَنِّهِمْ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ سَلَكَوا هَذَا
الْمَسْلَكَ الْبَاطِلَ قَبْلَهُمْ،

وَإِلَّا ((حَظَّ نَفُوسِهِمْ فِي رِيَّاسَتِهِمْ -وَتَعْظِيمِ آبَائِهِمُ الْأَقْدَمِينَ))

ولهذا قال تعالى: **{وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى}**

-أي: الذي يرشدهم في باب التوحيد و النبوة،

و جميع المطالب التي يحتاج إليها العباد،

فكلها قد بينها الله أكمل بيان و أوضحه، و أدله على المقصود،

-و أقام عليه من الأدلة والبراهين، ما يوجب لهم و لغيرهم اتباعه،

-فلم يبق لأحد عذر و لا حجة من بعد البيان و البرهان،

و إذا كان ما هم عليه، غايته اتباع الظن، و نهايته الشقاء الأبدي و العذاب

السرمدي، فالبقاء على هذه الحال، من أسفه السفه، و أظلم الظلم،

و مع ذلك يتمنون الأمانى، ويغترون بأنفسهم.
و لهذا أنكر تعالى على من زعم أنه يحصل له ما تمنى و هو كاذب في ذلك،

فقال: { **أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى** }

فيعطي منهما من يشاء،

و يمنع من يشاء، فليس الأمر تابعا لأمانيتهم، و لا موافقا لأهوائهم.

*** أي: لَيْسَ كُلُّ مَنْ تَمَنَّى خَيْرًا حَصَلَ لَهُ،

{ **لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ** }

[النساء: 123] ،

مَا كُلُّ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُهْتَدٍ يَكُونُ كَمَا قَالَ،

و لَا كُلُّ مَنْ وَدَّ شَيْئًا يَحْصُلُ لَهُ.

{ **فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى** }

أي: إِنَّمَا الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ، مَالِكِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَ الْمُتَصَرِّفِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،
هُوَ الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ، وَ مَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

❖ **وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا**

إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٦٦﴾

يقول تعالى منكرا على من عبد غيره من الملائكة و غيرهم،

و زعم أنها تنفعه و تشفع له عند الله يوم القيامة:

{ **وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ** }

من الملائكة المقربين، و كرام الملائكة،

{ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا }

أي: لا تفيد من دعاها و تعلق بها و رجاها،

{ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرِضَى }

أي: لا بد من اجتماع الشرطين:

1-إذنه تعالى في الشفاعة،

2-و رضاه عن المشفوع له.

ومن المعلوم المتقرر، أنه لا يقبل من العمل:

1-إلا ما كان خالصا لوجه الله،

2-موافقا فيه صاحبه الشريعة،

فالمشركون إذا لا نصيب لهم من شفاعة الشافعين،

و قد سدوا على أنفسهم رحمة أرحم الراحمين.

*** كَهْوَلِهِ: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة: 255] ،

{وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} [سبأ: 23] ،

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي حَقِّ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ،

فَكَيْفَ تَرْجُونَ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ شَفَاعَةَ هَذِهِ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ عِنْدَ اللَّهِ،

وَهُوَ لَمْ يُشْرَعْ عِبَادَتَهَا وَلَا أَذِنَ فِيهَا،

بَلْ قَدْ نَهَى عَنْهَا عَلَى أَلْسِنَةِ جَمِيعِ رُسُلِهِ،

وَأَنْزَلَ بِالنَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ جَمِيعَ كُتُبِهِ؟.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوتُونَ الْمَلَائِكَةَ قَسِيَّةَ الْاُنثَى ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ
 يُبَيِّنُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ
 يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
 وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا
 بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْاِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ
 إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ
 فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾
 وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ
 مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَا نَزَرُ وَأَنْزَرُ وَذُرْ أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لِّئْسَ لِلْإِنْسَانِ
 إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَى
 رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٤٢﴾ وَأَنْتُمْ هُوَ أَضْحَكُ وَأَبْكَى ﴿٤٣﴾ وَأَنْتُمْ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوتُونَ الْمَلَائِكَةَ قَسِيَّةَ الْاُنثَى ﴿٢٧﴾

يعني أن المشركين بالله المكذبين لرسله، الذين لا يؤمنون بالآخرة،
 و بسبب عدم إيمانهم بالآخرة تجرأوا على ما تجرأوا عليه، من الأقوال،
 و الأفعال المحادة لله و لرسوله، من قولهم: " الملائكة بنات الله "

فلم ينزهوا ربهم عن الولادة،
 و لم يكرموا الملائكة و يجلوهم عن تسميتهم إياهم إناثا،
 و الحال أنه ليس لهم بذلك علم، لا عن الله، و لا عن رسوله،
 و لا دلت على ذلك الفطر و العقول،
 بل العلم كله دال على نقيض قولهم،
 وأن الله منزّه عن الأولاد و الصاحبة:
 لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد،

(الذى لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كفوا أحد)

و أن الملائكة كرام مقربون إلى الله،
 قائمون بخدمته { لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }
[التحريم: 6]

و المشركون إنما يتبعون في ذلك القول القبيح:

وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾

***صحيح البخاري -5143

عن أبي هريرة: يَأْتُرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:
 «إِيَّاكُمْ وَ الظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَ لَا تَجَسَّسُوا، وَ لَا تَحَسَّسُوا،
 وَ لَا تَبَاغُضُوا، وَ كُونُوا إِخْوَانًا،

و هو الظن الذي لا يغني من الحق شيئا،

فإن الحق لا بد فيه من اليقين المستفاد من الأدلة القاطعة و البراهين الساطعة.

○ و لما كان هذا دأب هؤلاء المذكورين أنهم لا غرض لهم في اتباع الحق، و إنما غرضهم و مقصودهم، ما تهووا نفوسهم:

فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا

أمر الله رسوله بالإعراض عمن تولى عن ذكره،
الذي هو الذكر الحكيم، و القرآن العظيم، و النبأ الكريم،
فأعرض عن العلوم النافعة،

(وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)

فهذا منتهى إرادته، و من المعلوم أن العبد لا يعمل إلا للشيء الذي يريده،
فسعيهم مقصور على الدنيا و لذاتها و شهواتها،
كيف حصلت حصولها، و بأي: طريق سنحت ابتدروها،

ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ

أي: هذا منتهى علمهم و غايته،
و أما المؤمنون بالآخرة، المصدقون بها، أولو الألباب و العقول،
فهمتهم و إرادتهم للدار الآخرة، و علومهم أفضل العلوم و أجلها،
و هو العلم المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ،
و الله تعالى أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه،

ممن لا يستحق ذلك فيكمله إلى نفسه، و يخذله، فيضل عن سبيل الله،
و لهذا قال تعالى:

(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى)

فيضع فضله حيث يعلم المحل اللائق به.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا

بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾

(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)

يخبر تعالى أنه مالك الملك، المتفرد بملك الدنيا و الآخرة،

و أن جميع من في السماوات و الأرض ملك لله،

يتصرف فيهم تصرف الملك العظيم، في عبيده و مماليكه،

ينفذ فيهم قدره،

و يجري عليهم شرعه،

و يأمرهم و ينهاهم،

و يجزيهم على ما أمرهم به و نهاهم عنه ،

فيثيب المطيع، و يعاقب العاصي،

(لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا)

ليجزي الذين أسأوا العمل السيئات من الكفر

فما دونه بما عملوا من أعمال الشر بالعقوبة البليغة

{وَجَزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا}

في عبادة الله تعالى، و أحسنوا إلى خلق الله، بأنواع المنافع

{بِالْحَسَنَى} { أي: بالحالة الحسنة في الدنيا و الآخرة،

و أكبر ذلك و أجله رضا ربهم، و الفوز بنعيم الجنة.

الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةُ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ

أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ

هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٣﴾

ثم ذكر وصفهم فقال:

{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ}

أي: يفعلون ما أمرهم الله به من الواجبات،

التي يكون تركها من كبائر الذنوب،

و يتركون المحرمات الكبار، كالزنا، و شرب الخمر، و أكل الربا، و القتل،

و نحو ذلك من الذنوب العظيمة،

{إِلَّا اللَّمَمَ}

و هي الذنوب الصغار، التي لا يصير صاحبها عليها،

أو التي يلم بها العبد، المرة بعد المرة، على وجه الندرة و القلة،

فهذه ليس مجرد الإقدام عليها مخرجاً للعبد من أن يكون من المحسنين،
فإن هذه مع الإتيان بالواجبات و ترك المحرمات،
تدخل تحت مغفرة الله التي وسعت كل شيء،

و لهذا قال النبي في صحيح مسلم - 233

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ»

***اي لا يتعاطون المحرمات و الكبائر و ان وقع منهم بعض الصغائر
فانه يغفر لهم و يستر عليهم كقوله

{إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ

مُدْخَلًا كَرِيمًا} [النساء: 31]

صحيح البخاري

6243 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:

مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشَبَهَ بِاللِّمَمِ مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ،

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّنا،

أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ،

فَزَنَا الْعَيْنُ النَّظْرُ،

وَزَنَا اللِّسَانُ الْمَنْطِقُ،

وَالنَّفْسُ قَمْنِي وَتَشْتَهِي،

وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَ يُكَذِّبُهُ» ()

(اللمم) ما يلزم به الشخص من شهوات النفس و هي الذنوب الصغيرة
(حظه) نصيبه.

و لهذا قال: {إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ}

فلولا مغفرته لهلكت البلاد و العباد،

و لولا عفوه وحلمه لسقطت السماء على الأرض،

و لما ترك على ظهرها من دابة.

{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

الدُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: 53]

{هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ

فَلَا تَزْكُوا أَنفُسَكُمْ}

هو تعالى أعلم بأحوالكم كلها،

و ما جبلكم عليه، من الضعف و الخور، عن كثير مما أمركم الله به،

و من كثرة الدواعي إلى بعض المحرمات،

(أدرك ذلك لا محالة) لا حيلة له ولا خلاص من الوقوع فيما كتب عليه وقدر له.

(النظر) إلى العورات والنساء الأجنبيةات.

(المنطق) النطق بالفحش وما يتعلق بالفجور.

(تتمنى) تسول لصاحبها و تحركه

(الفرج) الذي هو آلة الزنا الحقيقي.

(يصدق ذلك) بفعل ما تمنته النفس

(يكذبه) بالترك و البعد عن الفواحش و مقدماتها)

و كثرة الجواذب إليها،

و عدم الموانع القوية،

و الضعف موجود مشاهد منكم حين أنشاكم الله من الأرض،

و إذ كنتم في بطون أمهاتكم، و لم يزل موجودا فيكم،

و إن كان الله تعالى قد أوجد فيكم قوة على ما أمركم به،

و لكن الضعف لم يزل،

فلعلمه تعالى بأحوالكم هذه، ناسبت الحكمة الإلهية والجود الرباني،

أن يتغمدكم برحمته و مغفرته و عفوه، و يغمركم بإحسانه،

و يزيل عنكم الجرائم و المآثم،

خصوصا إذا كان العبد مقصوده مرضاة ربه في جميع الأوقات،

و سعيه فيما يقرب إليه في أكثر الآنات،

و فراره من الذنوب التي يتمقت بها عند مولاه،

ثم تقع منه الفلطة بعد الفلطة،

فإن الله تعالى أكرم الأكرمين و أرحم الراحمين أرحم بعباده من الوالدة بولدها،

فلا بد لمثل هذا أن يكون من مغفرة ربه قريبا

وأن يكون الله له في جميع أحواله مجيبا،

*** وَ قَوْلُهُ: {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ}

أَي: هُوَ بَصِيرٌ بِكُمْ، عَلِيمٌ بِأَحْوَالِكُمْ وَ أَفْعَالِكُمْ وَ أَقْوَالِكُمْ الَّتِي تَصْدُرُ عَنْكُمْ
وَ تَقَعُ مِنْكُمْ،

حِينَ أَنْشَأَ آدَمَ مِنَ الْأَرْضِ،
وَأَسْتَخْرِجَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ صُلْبِهِ أَمْثَالَ الذَّرِّ،
ثُمَّ قَسَمَهُمْ فَرِيقَيْنِ: فَرِيقًا لِلْجَنَّةِ وَفَرِيقًا لِلسَّعِيرِ .
وَكَذَا قَوْلُهُ: {وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَتُهُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ}
قَدْ كَتَبَ الْمَلِكُ الَّذِي يُوَكَّلُ بِهِ رِزْقَهُ وَ أَجَلَهُ وَ عَمَلَهُ، وَ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ.
و لهذا قال تعالى:

{فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ}

أي: تخبرون الناس بطهارتها على وجه التمدح
**** كقوله

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا }
[النساء: 49]

{ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا
تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [آل عمران: 188]

صحيح مسلم -2142
حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَطَاءٍ، حَدَّثَنِي زَيْنَبُ بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ،
قَالَتْ: " كَانَ اسْمِي بَرَّةَ،
فَسَمَّاني رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبَ،
قَالَتْ: وَ دَخَلْتُ عَلَيْهِ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَ اسْمُهَا بَرَّةٌ فَسَمَّاهَا زَيْنَبَ "

صحيح البخاري
2662 - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ،
قَالَ: أَتَنِي رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ:

«وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» مِرَارًا،
 ثُمَّ قَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ،
 فَلْيُقِلَّ أَحْسَبُ فَلَانًا، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَيِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا أَحْسَبُهُ كَذَا وَكَذَا»
 إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ» ()

*** صحيح مسلم-3002

عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ حَبِيبٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ،
 قَالَ: قَامَ رَجُلٌ يُثْنِي عَلَى أَمِيرٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ،
 فَجَعَلَ الْمَقْدَادُ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ، وَقَالَ:
 «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ الْمَدَاحِينَ التُّرَابَ» ()

{ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى }

فإن التقوى، محلها القلب،

(أثنى) مدح.

(ويلك) الويل الحزن والهلاك ويستعمل بمعنى التفجع والتعجب.
 (قطعت عنق صاحبك) تسببت بهلاكه لأنه ربما أخذه العجب بسبب مدحك له.
 (مرارا) أي كرر قوله مرات.
 (لا محالة) لا بد منه ألبتة.

(أحسب) أظن.

(حسيبه) كافيه.

(لا أزيي على الله أحدا) لا أقطع له ولا أجزم على عاقبة أحد بخير أو غيره

(أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثي في وجوه المداحين التراب)

هذا الحديث قد حملة على ظاهره المقداد الذي هو راويه ووافقه طائفة
 و كانوا يحثون التراب في وجهه حقيقة

و قال آخرون معناه خيبوهم فلا تعطوهم شيئا ملدحهم

و الله هو المطلع عليه، المجازي على ما فيه من بر و تقوى،
و أما الناس، فلا يغنون عنكم من الله شيئاً.

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٧﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٨﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٩﴾
أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٤٠﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٤١﴾ أَلَا نَزَرُ وَإِرْزَ وَزَرًا أُخْرَى ﴿٤٢﴾
﴿٢٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعَاهُ سَوْفَ يَرَى ﴿٤٠﴾
ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٤٢﴾
وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

إلى آخر السورة يقول تعالى:

(أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى)

قبح حالة من أمر بعبادة ربه و توحيده، فتولى عن ذلك و أعرض عنه؟

(وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى)

*الزبدة:أكدي :قل خيره

فإن سمحت نفسه ببعض الشيء، القليل

فإنه لا يستمر عليه، بل ييخل و يكدى و يمنع.

فإن المعروف ليس سجية له و طبيعة

بل طبعه التولي عن الطاعة،

و عدم الثبوت على فعل المعروف،

و مع هذا، فهو يزكي نفسه، و ينزلها غير منزلتها التي أنزلها الله بها. *** قَالَ عِكْرِمَةُ وَ سَعِيدٌ:

كَمَثَلَ الْقَوْمَ إِذَا كَانُوا يَحْفِرُونَ بُئْرًا،
فَيَجِدُونَ فِي أَثْنَاءِ الْحَفْرِ صَخْرَةً تَمْنَعُهُمْ مِنْ تَمَامِ الْعَمَلِ،
فَيَقُولُونَ: "أَكْذِبْنَا"، وَ يَتْرُكُونَ الْعَمَلَ.

{أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى}

الغيب و يخبر به، أم هو متقول على الله
متجرئ على الجمع بين الإساءة و التزكية كما هو الواقع،
لأنه قد علم أنه ليس عنده علم من الغيب،
و أنه لو قدر أنه ادعى ذلك فالإخبارات القاطعة عن علم الغيب التي على يد
النبي المعصوم، تدل على نقيض قوله، و ذلك دليل على بطلانه.

*** أَعِنْدَ هَذَا الَّذِي قَدْ أَمْسَكَ يَدَهُ خَشْيَةُ الْإِنْفَاقِ،
و قَطَعَ مَعْرُوفَهُ، أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ أَنَّهُ سَيَنْفَدُ مَا فِي يَدِهِ،
حَتَّى قَدْ أَمْسَكَ عَنْ مَعْرُوفِهِ، فَهُوَ يَرَى ذَلِكَ عِيَانًا؟!
أَي: لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ،

وَ إِنَّمَا أَمْسَكَ عَنِ الصَّدَقَةِ وَ الْمَعْرُوفِ وَ الْبَرِّ وَ الصَّلَةِ بُخْلًا وَ شُحًّا وَ هَلَعًا؛

كقوله {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ

شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبا: 39]

{أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ}

هذا المدعي

{بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}

أي: قام بجميع ما ابتلاه الله به،

و أمره به من الشرائع و أصول الدين و فروعه،

***كقوله

{وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا}

[البقرة: 124]

و في تلك الصحف أحكام كثيرة من أهمها ما ذكره الله بقوله:

{أَلَا نَزَرُ وَإِرْزَ وَزَرَأُفَرَى}

أي: كل عامل له عمله الحسن والسيئ،

فليس له من عمل غيره و سعيهم شيء،

و لا يتحمل أحد عن أحد ذنبا

***كقوله {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِثْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ

شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ} [فاطر: 18]

{وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ}

كَمَا لَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ وِزْرُ غَيْرِهِ،

كَذَلِكَ لَا يُحْصَلُ مِنَ الْأَجْرِ إِلَّا مَا كَسَبَ هُوَ لِنَفْسِهِ.

و من وهذه الآية الكريمة اسْتَنْبَطَ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَ مَنْ اتَّبَعَهُ:

أَنَّ الْقِرَاءَةَ لَا يَصِلُ إِيَّاهَا إِلَى الْمَوْتِ؛

لَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَمَلِهِمْ وَ لَا كَسْبِهِمْ؛

وَلِهَذَا لَمْ يَنْدُبْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمَّتَهُ وَلَا حَتَّهْمُ عَلَيْهِ،
وَلَا أَرْشَدَهُمْ إِلَيْهِ بِنَصٍّ وَلَا إِيْمَاءٍ،
وَلَمْ يُنْقَلْ ذَلِكَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،
وَلَوْ كَانَ خَيْرًا لَسَبَقُونَا إِلَيْهِ، وَبَابُ الْقُرْبَاتِ يُقْتَصَرُ فِيهِ عَلَى النُّصُوصِ،
وَلَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ بِأَنْوَاعِ الْأَفْيَسَةِ وَالْأَرَاءِ،
فَأَمَّا الدُّعَاءُ وَالصَّدَقَةُ فَذَاكَ مُجْمَعٌ عَلَى وَصُولِهِمَا،
وَمَنْصُوصٌ مِنَ الشَّارِعِ عَلَيْهِمَا.

وَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ -1631 فِي صَحِيحِهِ
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ:
مِنْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ، أَوْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ مِنْ بَعْدِهِ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ"،
فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ مِنْ سَعْيِهِ وَكَدِّهِ وَعَمَلِهِ،

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ (صحيح) فِي أَبِي دَاوُدَ 3528:
"إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنْ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ .
وَالصَّدَقَةُ الْجَارِيَةُ كَالْوَقْفِ وَنَحْوِهِ هِيَ مِنْ آثَارِ عَمَلِهِ وَوَقْفِهِ،
وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ}

الآيَةُ [يس: 12]
وَالْعِلْمُ الَّذِي نَشَرَهُ فِي النَّاسِ فَافْتَدَى بِهِ النَّاسَ بَعْدَهُ هُوَ أَيْضًا مِنْ سَعْيِهِ
وَعَمَلِهِ،

وَتَبَّتْ فِي الصَّحِيحِ مُسْلِمَ 2674:
"مَنْ دَعَا إِلَى هَدْيٍ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ اتَّبَعَهُ،
مَنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا".

{ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى }

في الآخرة فيميز حسنه من سيئه،

***كقوله {وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى

عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [التوبة: 105]

فيخبركم به و يجزيكم عليه أتم الجزاء إن خيرا فخير و إن شرا فشر

{ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى }

***الافر

أي: المستكمل لجميع العمل الحسن الخالص بالحسنى،

و السيئ الخالص بالسوأى، و المشوب بحسبه،

جزاء تقر بعدله و إحسانه الخليقة كلها،

و تحمد الله عليه، حتى إن أهل النار ليدخلون النار،

و إن قلوبهم مملوءة من حمد ربهم،

و الإقرار له بكمال الحكمة و مقت أنفسهم،

و أنهم الذين أوصلوا أنفسهم و أوردوها شر الموارد،

و قد استدل بقوله تعالى:

{وَأَنَّ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}

من يرى أن القرب لا يفيد إهداؤها للأحياء و لا للأموات قالوا

لأن الله قال: {وَأَنَّ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}

فوصول سعي غيره إليه مناف لذلك،

و في هذا الاستدلال نظر،

فإن الآية إنما تدل على أنه ليس للإنسان إلا ما سعى بنفسه،

و هذا حق لا خلاف فيه،

و ليس فيها ما يدل على أنه لا ينتفع بسعي غيره، إذا أهداه ذلك الغير له،

كما أنه ليس للإنسان من المال إلا ما هو في ملكه و تحت يده،

و لا يلزم من ذلك، أن لا يملك ما وهبه له الغير من ماله الذي يملكه.

و قوله: { وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ }

أي: إليه تنتهي الأمور، و إليه تصير الأشياء و الخلائق بالبعث و النشور،

و إلى الله المنتهى في كل حال،

فإليه ينتهي العلم و الحكم، و الرحمة و سائر الكمالات.

***المعاد الي يوم القيامة

{ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكٌ }

أي: هو الذي أوجد أسباب الضحك و البكاء،

و هو الخير و الشر، و الفرح والسرور و الهم و الحزن ،

و هو سبحانه له الحكمة البالغة في ذلك،

***خلق الضحك و البكاء في عباده و هما مختلفان و سببهما

{ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا }

أي: هو المنفرد بالإيجاد و الإعدام،
و الذي أوجد الخلق و أمرهم و نهاهم، سيعيدهم بعد موتهم،
و يجازيهم بتلك الأعمال التي عملوها في دار الدنيا.
***كقوله

{ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ }

[الملك: 2]

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّهُ عَلَيْهِ النَّشَأُ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَنَمُودًا ثَانِيًا ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤَنَفَكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهُمَا غَشْيًا ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَنَ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْبُجُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَعِيدُونَ ﴿٦١﴾ فَاتَّعِظُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾

54- سورة القمر- مكية - بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذِرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَىٰ شَيْءٍ نَّكِرٍ ﴿٦﴾

{وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ}

فسر الزوجين

بقوله: {الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ}

و هذا اسم جنس شامل لجميع الحيوانات،

ناطقها و بهيمها، فهو المنفرد بخلقها،

{ مِنْ نُطْفَةٍ }

و هذا من أعظم الأدلة على كمال قدرته و انفراده بالعزة العظيمة،
حيث أوجد تلك الحيوانات، صغيرها و كبيرها من نطفة ضعيفة من ماء مهين،
ثم نماها و كملها، حتى بلغت ما بلغت،
ثم صار الآدمي منها إما إلى أرفع المقامات في أعلى عليين،
و إما إلى أدنى الحالات في أسفل سافلين

(إِذَا تَمَنَّى)

الزبدة: تُمْنَى: تصب في الرحم
و لهذا استدل بالبداة على الإعادة،

فقال: { وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْآخِرَى }

فيعيد العباد من الأجداث،
و يجمعهم ليوم الميقات، و يجازيهم على الحسنات و السيئات.

{ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى }

أي: أغنى العباد بتيسير أمر معاشهم
من التجارات و أنواع المكاسب، من الحرف و غيرها،

(وَأَقْنَى)

أي: أفاد عباده من الأموال بجميع أنواعها، ما يصيرون به مقتنين لها،

و مالكين لكثير من الأعيان،
و هذا من نعمه على عباده أن جميع النعم منه تعالى
وهذا يوجب للعباد أن يشكروه، ويعبدوه وحده لا شريك له

{وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى}

و هي النجم المعروف بالشعري العبور، المسماة بالمرزم،
***يقال له ((مِرْزَمُ الجوزاء)) كانت طائفة من العرب يعبدونه
و خصها الله بالذكر، و إن كان رب كل شيء،
لأن هذا النجم مما عبد في الجاهلية،
فأخبر تعالى أن جنس ما يعبد المشركون مربوب مدبر مخلوق،
فكيف تتخذ إلها مع الله

*جاء في موقع الاعجاز العلمي

الشعري هو نجم الشعري اليمانية ([سirus](#) **Sirius**)
و هو النجم الوحيد الذي ورد اسمه صريحاً في القرآن الكريم
بخلاف الشمس و هو واحد من أقرب و ألمع النجوم إلينا.
يبلغ بريقه 25 ضعف بريق الشمس.

راجع البحث رقم 2 في ابحاث تابعة للجزء 27 [من هنا](#)

{وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادَ الْأُولَى}

و هم قوم هود عليه السلام، حين كذبوا هوداً،

فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية

***و يقال لهم عاد بن ارم بن سام بن نوح

{وَتَمُودًا}

قوم صالح عليه السلام، أرسله الله إلى ثمود فكذبوه،
فبعث الله إليهم الناقة آية، فعقروها و كذبوه، فأهلكهم الله تعالى،

{فَأَتَيْنِ}

منهم أحدا، بل أهلكهم الله عن آخرهم .

{وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ}

من هؤلاء الأمم،

فأهلكهم الله و أغرقهم في اليم

{وَالْمُؤَنَفَكَةَ}

و هم قوم لوط عليه السلام

{أَهْوَىٰ}

أي: أصابهم الله بعذاب ما عذب به أحدا من العالمين،

قلب أسفل ديارهم أعلاها، و أمطر عليهم حجارة من سجيل((***منضود))

و لهذا قال:

{فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ}

أي: غشيتها من العذاب الأليم الوحيم ما غشى

أي: شيء عظيم لا يمكن وصفه.

***كقوله {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ} [الشعراء: 173]

{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ} [النمل: 58]

{فَبَآئِيَ آلَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى}

أي: فبأي: نعم الله وفضله تشك أيها الإنسان؟

فإن نعم الله ظاهرة لا تقبل الشك بوجه من الوجوه،

فما بالعباد من نعمة إلا منه تعالى، و لا يدفع النقم إلا هو.

{هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى}

أي: هذا الرسول القرشي الهاشمي محمد بن عبد الله، ليس ببدع من الرسل،

بل قد تقدمه من الرسل السابقين، و دعوا إلى ما دعا إليه،

فلأي شيء تنكر رسالته؟

و بأي حجة تبطل دعوته؟

أليست أخلاقه أعلا أخلاق الرسل الكرام،

أليست دعوته إلى كل خير والنهي عن كل شر؟

ألم يأت بالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه،

تنزيل من حكيم حميد؟

ألم يهلك الله من كذب من قبله من الرسل الكرام؟

فما الذي يمنع العذاب عن المكذبين

لمحمد سيد المرسلين، وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين؟

***كقوله

{قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ} [الأحقاف: 9]

فَإِنَّ النَّذِيرَ هُوَ: الْحَذَرُ لِمَا يُعَايَنُ مِنَ الشَّرِّ، الَّذِي يُخْشَى وَقُوعُهُ فَيَمْنُ أَنْذَرَهُمْ

كما قال

{ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةً أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ ثَمَرٍ مُّثْقَلٍ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَنظَرْ أَلَمَ يَكُنْ فِي الْكِتَابِ مِثْلُ نَذِيرٍ لِّكُلِّ بَشَرٍ فَاجِرٍ } [سبأ: 46]

صحيح البخاري -6482

عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

مِثْلِي وَ مِثْلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ، كَمِثْلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا

فَقَالَ: رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ،

وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ،

فَالنَّجَا النَّجَاءَ،

فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَذْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا،

وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَاجْتَاَحَهُمْ" ()

(الجيش) عسكر العدو مغيرا.

{أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ}

أي: قربت القيامة، و دنا وقتها، و بانَّت علاماتها.

{لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ}

أي: إذا أتت القيامة و جاءهم العذاب الموعود به.

*** لَا يَدْفَعُهَا إِذَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَحَدٌ، وَ لَا يَطْلُعُ عَلَى عِلْمِهَا سِوَاهُ.

○ ثم توعَّد المنكرين لرسالة الرسول محمد ﷺ، المكذبين لما جاء به من القرآن الكريم،

فقال: {أَفِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ} ؟

أي: أفمن هذا الحديث الذي هو خير الكلام و أفضله و أشرفه تتعجبون منه،

(العریان) الذي تجرد من ثوبه و رفعه بيده إعلاما لقومه بالغارة عليهم.

ضرب به النبي ﷺ المثل لأمته لأنه تجرد لإنذارهم.

(فالنَّجَاءُ النِّجَاءُ) انجوا بأنفسكم وأسرعوا بالهرب

(فأدلبوا) من الإدلاج وهو السير في الليل أو أوله.

(مهلهم) تأنيهم وسكينتهم.

(فصبحهم) أتاهاهم صباحا أي بغتة.

(فاجتاحهم) استأصلهم وأهلكهم]

قال بن كثير : أَي: الَّذِي أَعَجَلَهُ شِدَّةُ مَا عَايَنَ مِنَ الشَّرِّ عَنْ أَنْ يَلْبَسَ عَلَيْهِ شَيْئًا،

بَلْ بَادَرَ إِلَى إِنْذَارِ قَوْمِهِ قَبْلَ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمْ عُرْيَانًا مُسْرِعًا

مُنَاسِبٌ لِقَوْلِهِ: {أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ} أَي: اقْتَرَبَتِ الْقُرَيْبَةُ، يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ

كَمَا قَالَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ الَّتِي بَعْدَهَا: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ} [القَمَر: 1]

و تجعلونه من الأمور المخالفة للعادة الخارقة للأمور و الحقائق المعروفة؟

هذا من جهلهم وضلالهم و عنادهم،

و إلا فهو الحديث الذي إذا حدث صدق،

و إذا قال قولاً فهو القول الفصل الذي ليس بالهزل، و هو القرآن العظيم،

الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله،

الذي يزيد ذوي الأحلام رأياً و عقلاً و تسديداً و ثباتاً، و إيماناً و يقيناً

و الذي ينبغي العجب من عقل من تعجب منه، و سفهه و ضلاله.

{وَضَحَكُونَ وَلَا يَتَكُونُ}

أي: تستعملون الضحك و الاستهزاء به،

مع أن الذي ينبغي أن تتأثر منه النفوس، وتلين له القلوب،

و تبكي له العيون،

سماعاً لأمره ونهييه،

و إصغاء لوعده و وعيده،

و التفاتاً لأخباره الحسنة الصادقة

***يكون كما يفعل الموقنون به كما اخبر عنهم:

{قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ

يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا

(108) وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } [الإسراء: 107- 109]

{وَأَنْتُمْ سَكِيدُونَ}

أي: غافلون عنه، لاهون عن تدبره،

*** قيل المراد به الغناء و قيل معرضون و قيل غافلون

و هذا من قلة عقولكم و أديانكم

فلو عبدتم الله و طلبتم رضاه في جميع الأحوال لما كنتم بهذه المثابة التي

يأنف منها أولو الألباب،

*** تفسير القاسمي = محاسن التأويل

و عن ابن عباس: هو الغناء:

كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا و لعبوا،

و هي لغة أهل اليمن.

يقولون: اسمد لنا: تغنّ لنا.

و المآل واحد. و إن اختلفت العبارة عنه. و لا ريب

و لهذا قال تعالى: {فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا} {

الأمر بالسجود لله خصوصا،

ليدل ذلك على فضله و أنه سر العبادة و لبها،

فإن لبها الخشوع لله و الخضوع له،

و السجود هو أعظم حالة يخضع بها العبد

فإنه يخضع قلبه و بدنه،

و يجعل أشرف أعضائه على الأرض المهينة موضع وطاء الأقدام.

ثم أمر بالعبادة عموماً، الشاملة لجميع ما يحبه الله و يرضاه من الأعمال و الأقوال الظاهرة و الباطنة.

*** صحيح البخاري

4862 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

قَالَ: «سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ بِالنَّجْمِ

وَ سَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَ الْمُشْرِكُونَ وَ الْجِنُّ وَ الْإِنْسُ» ()

*** صحيح البخاري

4863 عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ وَ النَّجْمِ

قَالَ: فَسَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ سَجَدَ مَنْ خَلْفَهُ

إِلَّا رَجُلًا رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَسَجَدَ عَلَيْهِ "

فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قَتَلَ كَافِرًا، وَ هُوَ أُمِّيَّةٌ بَنُ خَلْفٍ

54- تفسير سورة اقتربت (القمر) -مكية

*** قَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ أَبِي وَقْدٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(سجد) عند الانتهاء من قراءتها.

(المشركون) سجدوا معارضة للمسلمين إذ إنهم سجدوا لمعبودهم أو أنهم سجدوا بلا قصد أو خافوا من مخالفة المسلمين في ذاك المجلس.

(الجن والإنس) أي لم يكن السجود خاصا بالإنس بلا قصد]

كَانَ يَقْرَأُ بِقَافٍ، وَ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، فِي الْأُصْحَى وَ الْفِطْرِ،
وَ كَانَ يَقْرَأُ بِهِمَا فِي الْمَحَافِلِ الْكِبَارِ،

لِاشْتِمَالِهِمَا عَلَى ذِكْرِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَبَدْءِ الْخَلْقِ وَإِعَادَتِهِ، وَالتَّوْحِيدِ وَإِثْبَاتِ
النُّبُوتِ، وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْمَقَاصِدِ الْعَظِيمَةِ.
54-سورة القمر-مكية -بسم الله الرحمن الرحيم

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾
وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ
الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ
يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ ﴿٦﴾

*جاء في الصحيح المسند من اسباب النزول
سنن الترمذي 3286 -

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: " سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً،
فَانْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ،

فَنَزَلَتْ { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } [القمر:1]-
إِلَى قَوْلِهِ - { سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ } [القمر:2]

○ قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية 3/ ط 120:
و فيه أنه كسف تلك الليلة فلعلة حصل له انشقاق في ليلة
كسوفه ولهذا خفي أمره على كثير من أهل الأرض،
و يقال إنه أرخ ذلك في بعض بلاد الهند

و بني بناء تلك الليلة و أُرِخَ بليلة انشقاق القمر ا. هـ
 *** كَمَا قَالَ تَعَالَى: { أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ } [النَّحْل: 1] ،
 وَ قَالَ: { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ } [الْأَنْبِيَاء: 1]

صحيح البخاري -5301

عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ:
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ، أَوْ: كَهَاتَيْنِ "
 وَ قَرَنَ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَ الْوُسْطَى

يخبر تعالى أن الساعة و هي القيامة اقتربت و آن أوانها، و حان وقت مجيئها،
 و مع ذلك، فهؤلاء المكذبون لم يزالوا مكذبين بها، غير مستعدين لنزولها،
 و يريهم الله من الآيات العظيمة الدالة على وقوعها ما يؤمن على مثله البشر،
 فمن أعظم الآيات الدالة على صحة ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ،
 أنه لما طلب منه المكذبون أن يريهم من خوارق العادات ما يدل على صحة
 ما جاء به و صدقه، أشار ﷺ إلى القمر بإذن الله تعالى:

فانشق فلقتين:

1-فلقة على جبل أبي قبيس

2-و فلقة على جبل قعقعان،

و المشركون و غيرهم يشاهدون هذه الآية الكبرى الكائنة في العالم العلوي،
التي لا يقدر الخلق على التمويه بها و التخيل.

فشاهدوا أمرا ما رأوا مثله، بل و لم يسمعوا أنه جرى لأحد من المرسلين قبله
نظيره، فانبهروا لذلك،

و لم يدخل الإيمان في قلوبهم، و لم يرد الله بهم خيرا،
ففزعوا إلى بهتهم و طغيانهم،

و قالوا: سحرنا محمد،

و لكن علامة ذلك أنكم تسألون من قدم إليكم من السفر،
فإنه و إن قدر على سحرهم، لا يقدر أن يسحر من ليس مشاهدا مثلكم،
فسألوا كل من قدم،

فأخبرهم بوقوع ذلك،

*** صحيح البخاري

4767 عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: " خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ:

الدُّخَانُ، وَ الْقَمَرُ، وَ الرُّومُ، وَ الْبَطْشَةُ، وَ اللَّزَامُ " : { فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا }

[الفرقان: 77]

جاء هذا الحديث مفسرا في مسلم

صحيح مسلم -2798

عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ جُلُوسًا،
وَ هُوَ مُضْطَجِعٌ بَيْنَنَا، فَأَتَاهُ رَجُلٌ

فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ قَاصًّا عِنْدَ أَبْوَابِ كِنْدَةَ يَقْصُ

وَيَزَعُمُ، أَنَّ آيَةَ الدُّخَانِ تَجِيءُ فَتَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ،
وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَّامِ،
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَجَلَسَ وَهُوَ غَضَبَانُ:
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ، مَنْ عِلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ،
وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ،
فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ: لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ،
فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ:

{قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ}

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى مِنَ النَّاسِ إِذْ بَارَأَ،
فَقَالَ: «اللَّهُمَّ سَبْعُ كَسْبَعٍ يُوسُفَ»

قَالَ: فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ مِنَ الْجُوعِ،
وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ أَحَدُهُمْ فَيَرَى كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ،
فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ جِئْتَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَبِصَلَةِ الرَّحِمِ،
وَإِنْ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَأَدْعُ اللَّهَ لَهُمْ،

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **{فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ* يَغْشى النَّاسَ هَذَا**

عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الدخان: 11] إِلَى قَوْلِهِ: **{إِنَّكُمْ عَائِدُونَ}** [الدخان: 15]،
قَالَ: أَفَيُكْشَفُ عَذَابُ الْآخِرَةِ؟

{يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ} [الدخان: 16]
فَالْبَطْشَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدْ مَضَتْ آيَةُ الدُّخَانِ، وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ،

وَ آيَةُ الرُّومِ ()

*** صحيح البخاري -3637

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ:

أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً «فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ»

صحيح البخاري -3636

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَقَّتَيْنِ،

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَشْهَدُوا»

مسند أبي داود الطيالسي

(عند أبواب كندة) هو باب الكوفة

(حصت) أي استأصلته

(أفكشف عذاب الآخرة) هذا استفهام إنكار على من يقول إن الدخان يكون يوم القيامة كما

صرح به في الرواية الثانية فقال ابن مسعود هذا قول باطل لأن الله تعالى قال

(إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون)

ومعلوم أن كشف العذاب ثم عودهم لا يكون في الآخرة وإنما هو في الدنيا

(واللزام) المراد به قوله سبحانه وتعالى

(فسوف يكون لازما) أي يكون عذابهم لازما

قالوا وهو ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر وهي البطشة الكبرى

(وآية الروم) المراد به قوله تعالى {غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون}

وقد مضت غلبة الروم على فارس يوم الحديبية]

عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ:
 انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: هَذَا سِحْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ،
 قَالَ: وَ قَالُوا: انْتَظَرُوا مَا تَأْتِيكُمْ بِهِ السُّفَّارُ
 فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ
 قَالَ: فَجَاءَ السُّفَّارُ فَقَالُوا ذَاكَ "
 *جاء في موقع الكحيل

[http://kaheel7.com/modules.php?name=News
 &file=article&sid=758](http://kaheel7.com/modules.php?name=News&file=article&sid=758)

راجع البحث رقم 3
 فقد كشف علماء وكالة ناسا وجود شق في القمر يبلغ طوله عدة
 مئات من الكيلومترات،
 ثم كشفوا عدداً من التشققات على سطح القمر، ولم يعرفوا حتى
 الآن سبب وجود هذه الشقوق،
 إلا أن بعض العلماء يعتقدون أنها نتيجة لتدفق بعض الحمم
 المنصهرة ولكن هذه وجهة نظر فقط.
 وهناك عدد كبير من التشققات على سطح القمر،
 وبعض هذه التشققات أشبه "بوصلات لحام"
 وكأننا أمام سطح معدني تشقق ثم التحم!!
 وكل ما قاله علماء وكالة ناسا حول هذه الشقوق هو:

rilles are still a topic of research

ومعنى ذلك أن هذه الشقوق لا زالت قيد البحث.

والحقيقة هذه الشقوق حيرت الباحثين حتى الآن

ولم يجدوا لها تفسيراً.

وكل النظريات التي طُرحت لا تتناسب مع طبيعة الصور الملتقطة،

إذ أن الصور تبين وكأن هناك لحام ماهر قام بلحام سطح القمر

المتمزق! هذا ما تقوله الصور.



صور لشق كبيرة في القمر، واللافت للانتباه الطريقة التي

"لُحِم" بها هذا الشق، ويقول العلماء إن هذه الشقوق لا مثيل لها

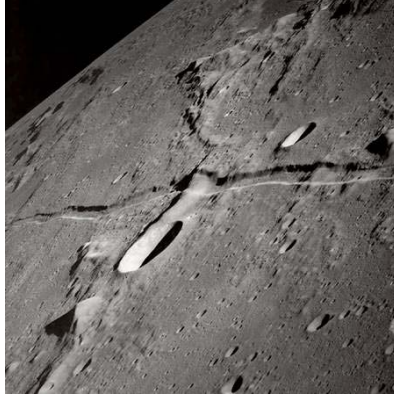
على الأرض لأنها طويلة وغريبة بالنسبة لنا وهي تناقض النظريات

التي نعرفها في الفيزياء، فما هو سر وجودها وكيف تشكلت ومتى

وما هي القوانين التي تحكم هذه العملية...

كلها أسئلة تنتظر من يبحث ويجيب عنها.

وفي رحلة الفضاء التي قامت بها وكالة ناسا الأمريكية التقط العلماء عدداً كبيراً من الصور لظاهرة الشقوق القمرية rilles وقد حيرت هذه الصور الباحثين في العالم لم يجدوا لها تفسيراً منطقياً أو علمياً حتى هذه اللحظة.



هذه الصورة التقطت للقمر من قبل وكالة ناسا 1969 من ارتفاع 14 كيلو متر عن سطح القمر، وتبين وجود شق يظهر عليه آثار "التيار" فاعتقدوا أن هناك كميات من الحمم المنصهرة تدفقت من خلاله وساهمت بتغليف هذا الشق. المرجع للصورة وكالة

الفضاء الأمريكية ناسا: [رابط الصورة](#)

فقالوا: {سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ}

سحرنا محمد و سحر غيرنا،

و هذا من البهت، الذي لا يروج إلا على أسفه الخلق و أضلهم عن الهدى و العقل،

و هذا ليس إنكاراً منهم لهذه الآية وحدها،

بل كل آية تأتيهم، فإنهم مستعدون لمقابلتها بالباطل والرد لها،

و لهذا قال: {وَأِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا}

و لم يعد الضمير على انشقاق القمر

فلم يقل: و إن يروها

بل قال: {وَأِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا}

و ليس قصدهم اتباع الحق و الهدى، و إنما قصدهم اتباع الهوى،

و لهذا قال: {وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ}

كقوله تعالى: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ}

فإنه لو كان قصدهم اتباع الهدى، لآمنوا قطعاً، و اتبعوا محمداً ﷺ،

لأنه أراهم الله على يديه من البينات و البراهين و الحجج القواطع،

ما دل على جميع المطالب الإلهية، و المقاصد الشرعية،

{وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ}

إلى الآن، لم يبلغ الأمر غايته و منتهاه، و سيصير الأمر إلى آخره،

—فالمصدق يتقلب في جنات النعيم، و مغفرة الله ورضوانه،

—و المكذب يتقلب في سخط الله و عذابه، خالداً مخلداً أبداً.

و قال تعالى —مبينا أنهم ليس لهم قصد صحيح، و لا اتباع للهدى—:

{وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ}

أي: الأخبار السابقة و اللاحقة و المعجزات الظاهرة

{ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ }

أي: زاجر يزرجرهم عن غيهم و ضلالهم،

و ذلك { حِكْمَةٌ }

منه تعالى

{ بَالِغَةٌ }

*الميسر: حكمة عظيمة بالغة غايتها،

○أي: لتقوم حجته على المخالفين

و لا يبقى لأحد على الله حجة بعد الرسل،

{ فَمَا تُغْنِي النُّذُرُ }

*الميسر: فأي شيء تغني النذر عن قوم أعرضوا و كذبوا بها؟

كقوله تعالى: { وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ لَا يَوْمِنُوا حَتَّى يَرْوَا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ }

***كقوله { قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } [الأنعام: 149]

{ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ } [يونس: 101]

(فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نَكِيرٍ)

يقول تعالى لرسوله ﷺ: قد بان أن المكذبين لا حيلة في هداهم،

فلم يبق إلا الإعراض عنهم والتولي عنهم،

فقال: { فَتَوَلَّ عَنْهُمْ }

و انتظر بهم يوما عظيما و هولا جسيما،
و ذلك حين

{يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ} إسرائيل عليه السلام

{إِلَى شَيْءٍ وَتُكْرِرُ}

أي: إلى أمر فظيع تنكره الخليفة،
فلم تر منظرا أفظع و لا أوجع منه، فينفخ إسرائيل نفخة،
يخرج بها الأموات من قبورهم لموقف القيامة.

البحث رقم 2

و أنه هو رب الشعري

<http://quran-m.com/container.php?fun=artview&id=815>

الأستاذ الدكتور مسلم شلتوت

أستاذ علوم الفلك في الجامعات
المصرية



الشعرى هو نجم الشعرى اليمانية

(سِيرُوس [Sirius](#)) وهو النجم الوحيد الذي ورد اسمه صريحاً في القرآن الكريم بخلاف الشمس وهو واحد من أقرب وألمع النجوم إلينا.

الشَّعْرَى الِيمَانِيَّةُ أسطع النجوم في السماء ليلاً (أي أكثرها لمعاناً وبريقاً)، يبلغ بريقها 25 ضعف بريق الشمس.

الكريم بخلاف الشمس وهو واحد من

أقرب وألمع النجوم إلينا.

وأثبتت الدراسات الفلكية بأن هذا النجم كان معروفاً في فترة العصر الحجري المتأخر لعدد من سكان الأرض وأنه كانت له قدسية خاصة عندهم.

فكان نبتة القدماء في المنطقة الواقعة في منتصف ما بين أبو سمبل وشرق العوينات في جنوب غرب مصر كانوا قد أقاموا صف من الأحجار على هيئة أعمدة على خط مستقيم للاتجاه الذي سيشرق منه نجم الشعرى يوم الانقلاب الصيفي وهو بداية الصيف وهبوط الرياح الموسمية الصيفية المحملة بالأمطار لتحيل الصحارى الجافة لمراعي خصبة يملؤها العشب والكلأ للبقر وتملئ الأحواض الجافة وتصير برك ومستنقعات ... كانت هذه المنطقة منطقة سافانا في عصر الهولوسين المطير ... وكان لبداية

الصيف قدسيته وللشعري قدسيته الكبرى في ذلك اليوم وغيره وذلك منذ 4800 عام قبل الميلاد.



صورة قديمة للهرم الأكبر خوفو

ونظراً لأن الزراعة في مصر كانت معتمدة على الري من النيل فإن التنبؤ بميعاد فيضان النيل كان هو أهم ما يجب عمله اتقاء لشره إذا كان فيضاناً عارماً وذلك بترميم الجسور وتحسباً له إذا جاء الفيضان خفيفاً غير وافي؛ لأن ذلك معناه

المجاعة بكل أبعادها المخيفة، ولقد لاحظ قدماء المصريين بأن بداية فيضان النيل مرتبطة بشروق الشمس من اتجاه النجم سيروس (الشعري اليمانية) وهو ما يسمى فلكياً بظاهرة الاحتراق الشروقي للنجم سيروس وكان هذا يحدث في صيف كل عام.

كان للنجم سيروس قداسته عند قدماء المصريين لارتباطه بفيضان النيل لذلك أسموه **نجم إيزيس** لارتباط دموع إيزيس زوجة أوزيريس بفيضان النيل عندما حزنت عليه بعد مقتله على أخيه ست حسب الأسطورة المصرية القديمة. وكان هذا النجم هو قرين للملكات في مصر القديمة في السماء لذلك فإن ما يسمى بفتحة التهوية في الهرم الأكبر الممتد من حجرة الملكة إلى اتجاه الجنوب ما هو إلا فتحة لكي تطل منها الملكة في

مرقدها على قرينها في السماء سيروس عند مروره على دائرة الزوال، لذلك فإن هذه ليست فتحات تهوية بل هي مناظير مزوالية ثابتة متجهة لنجوم معينة في السماء حسب علم الفلك الحديث. ونظراً للمكانة الكبيرة لنجم الشعري اليمانية (سيروس) وقديسيته عند الشعوب القديمة جاء قول الله تعالى ليؤكد (وإنه هو رب الشعري) ولا سجود لغيره ... سبحانه وتعالى الواحد الأحد ... لا شريك له في الملك ولا ند ولا ولد.

البحث رقم 1

من نطفة اذا تمنى العودة

وقفه مع "النطفة"

د. أحمد الحميدي

أستاذ علم الأجنة المشارك جامعة الملك سعود
أشارت نصوص القرآن والسنة إلى أن الإنسان يخلق في أطوار وأن طور
الخلق بعد آدم هو طور النطفة قال الله تعالى:

(مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) نوح (12،13)

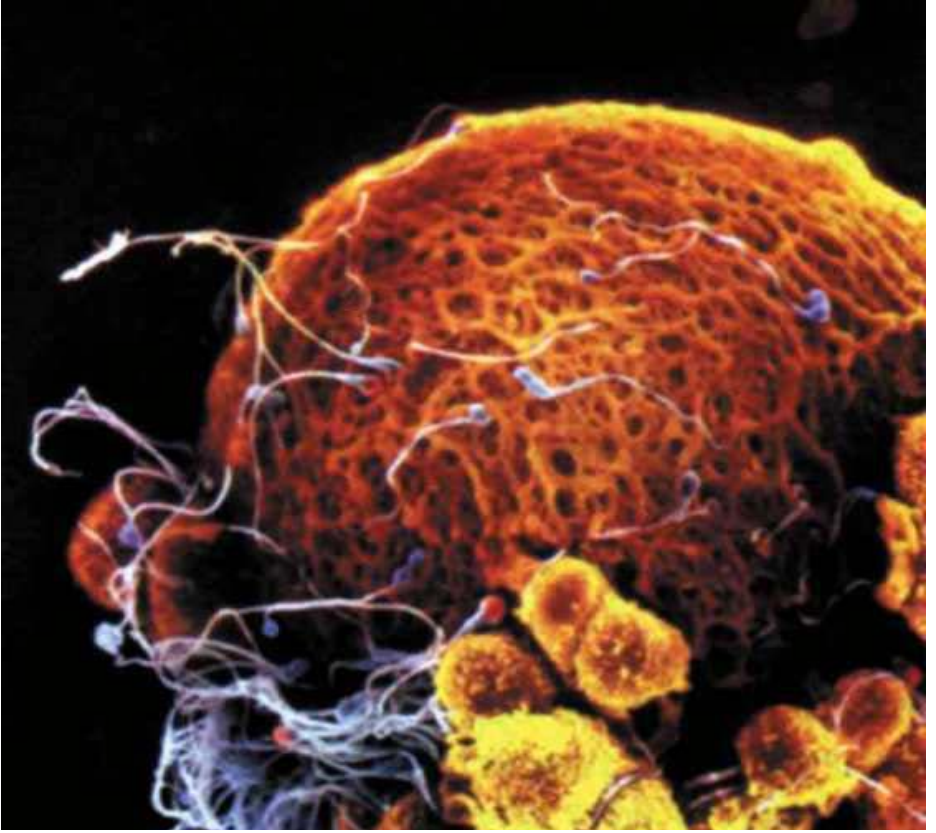
وقال الله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً

فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ)

المؤمنون (12،13).

وذكرت النصوص عدة حقائق مذهلة في هذا الطور لم تكتشف -
و تؤكد بيقين علمي لا يقبل الشك - إلا في نهاية القرن الثامن عشر
و خلال القرن التاسع عشر والعشرين
و سنذكر في هذا المقال بعضاً من هذه الحقائق.

أولاً: حقائق إعجازية

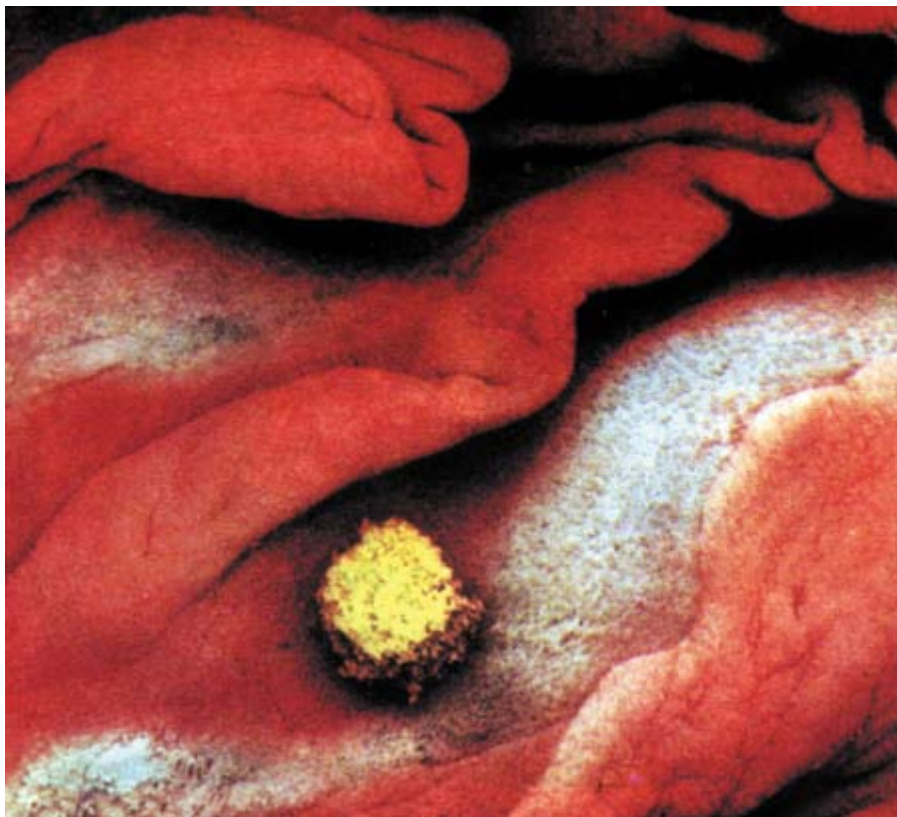


الحقيقة الأولى: يخلق الإنسان من كل من نطفتي الرجل والمرأة

روى الإمام مسلم بسنده:

"أن يهوديًا مر بالنبي - ﷺ - وهو يحدث أصحابه فقالت قريش:
يا يهودي إن هذا يزعم أنه نبي فقال:
لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي

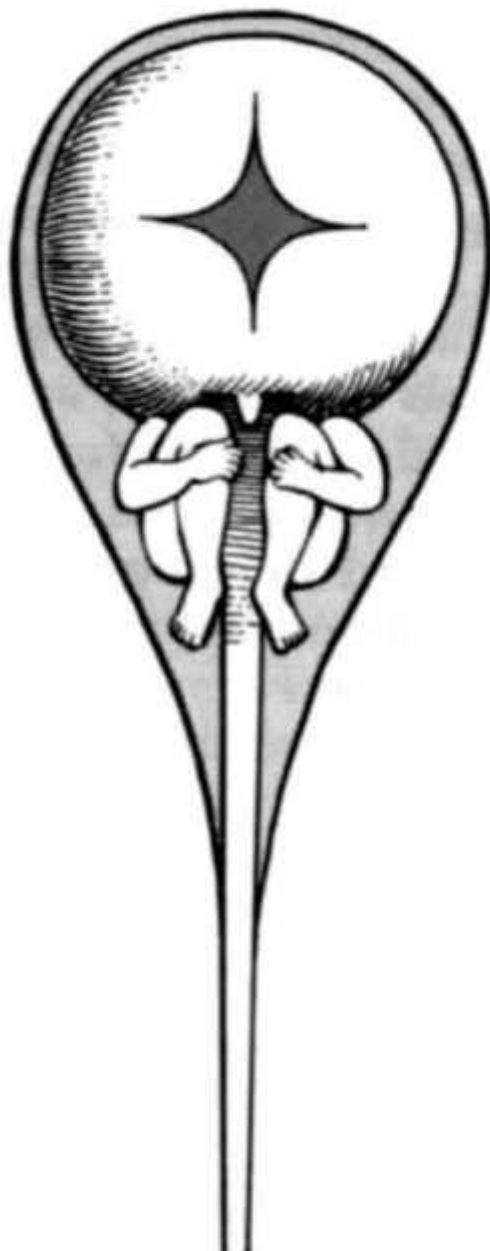
فقال: يا محمد مم يخلق الإنسان؟
 فقال رسول الله - ﷺ: يا يهودي من كل يخلق من نطفة الرجل
 ومن نطفة المرأة.
 فقال اليهودي: هكذا كان يقول من قبلك". (أي من الأنبياء).



<شكل رقم (1) وفي تفسير الطبري:
 (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا
 إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الحجرات (13)

قال الطبري: يا أيها الناس !
إنّا خلقناكم من ماء ذكر من الرجال وماء أنثى من النساء،
وروى بسنده عن مجاهد قال:

(ما خلق الله الولد إلا من نطفة الرجل والمرأة جميعاً).



<شكل رقم (2) هذه الحقيقة العلمية الدقيقة

والتي ذكرها النبي - ﷺ - منذ أربعة عشر قرناً لم تكن معلومة للأطباء في زمنه ولا بعد زمنه حتى نهاية القرن الثامن عشر حيث كان يعتقد لقرون أن الإنسان يخلق كقزم كامل من دم الحيض،

و بعد اكتشاف الببيضة قالوا إن الإنسان يخلق كاملاً فيها شكل (1)

و بعد اكتشاف الحوين المنوي قالوا بل إن الجنين يخلق كاملاً في رأس الحوين المنوي شكل (2)

و انقسم العلماء بين مؤيد لنظرية الخلق التام في الببيضة أو الحوين المنوي ولم ينته الجدل بين الفريقين إلا في عام 1775م

عندما أثبت سيالا نراني أهمية كل من الحوين المنوي والببيضة في عملية التخلق البشري،

ولم يتوصلوا إلى حقيقة أن الإنسان يخلق من اختلاط أمشاج الذكر بأمشاج الأنثى إلا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي

عندما تمكن هيرتوج Hertweig عام 1875م من ملاحظة عملية تلقيح الحيوان المنوي للبويضة،

وتم تأكيد ذلك عام 1883م عندما تمكن فان بندين Van beneden من إثبات أن الحيوان والبويضة يساهمان بالتساوي في تكوين البويضة الملقحة. شكل (3)

بينما كانت هذه القضية محسومة بين علماء المسلمين فهذا ابن حجر العسقلاني يقول وهو يشرح أحاديث الباب:



شكل رقم (3)

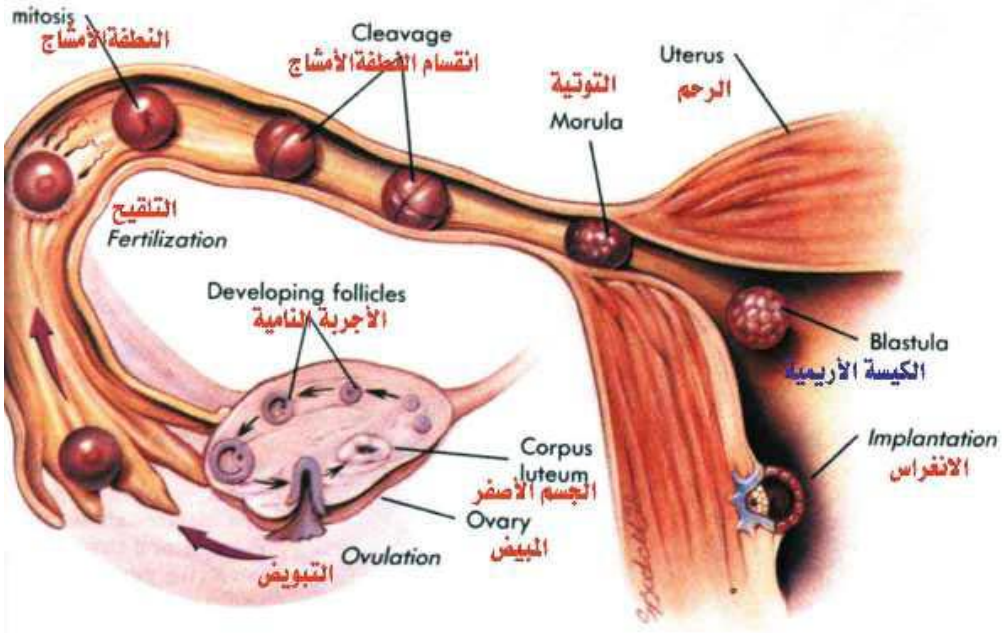
(ويزعم كثير من أهل التشريح أن مني الرجل لا أثر له في الولد إلا في عقده وأنه إنما يتكون من دم الحيض وأحاديث الباب تبطل ذلك).

ويقول ابن القيم الجوزية في كتابه التبيان في علوم القرآن ص 244:
(ومني الرجل وحده لا يتولد منه الولد ما لم يمازجه مادة أخرى من الأنثى).

الحقيقة الثانية:

لا يشارك كل ماء الرجل وكل ماء المرأة في الخلق قال تعالى:
(ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) السجدة: آية 8.

وروى الإمام مسلم بسنده أن النبي - ﷺ - قال:
 (ما من كل الماء يكون الولد وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء).



<شكل رقم (4)

فمن مئات الملايين من النطف الذكورية يصل منها إلى قناة الرحم حوالي 500 خمسمائة حوين منوي خلاصة من هذا الماء ينجح واحد منها فقط

في تلقيح الببيضة والتي هي جزء أيضًا من ماء المرأة المفرز منها من حويصلة جراف وقناة الرحم. شكل (4).

الحقيقة الثالثة:

النطف الذكورية تحمل مواصفات تحديد جنس الأجنة؛ يقول الحق تبارك وتعالى في سورة النجم:

(وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى)

وكذلك في سورة القيامة:

(أَيُحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكْ نُطْفَئْ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عُلُقَةً فَخَلَقَ فَسَوَى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى).

من المعلوم في الوقت الحاضر أن النطفة الذكورية والأنثوية للإنسان تحتوي كل واحدة منها على نصف العدد (23 فردًا) من الأجسام الصبغية أو الكروموسومات التي تحمل المورثات

فعندما يتم الإخصاب بينهما ويتكون منهما أول خلية للجنين يتكون العدد الثنائي (23 زوجًا)

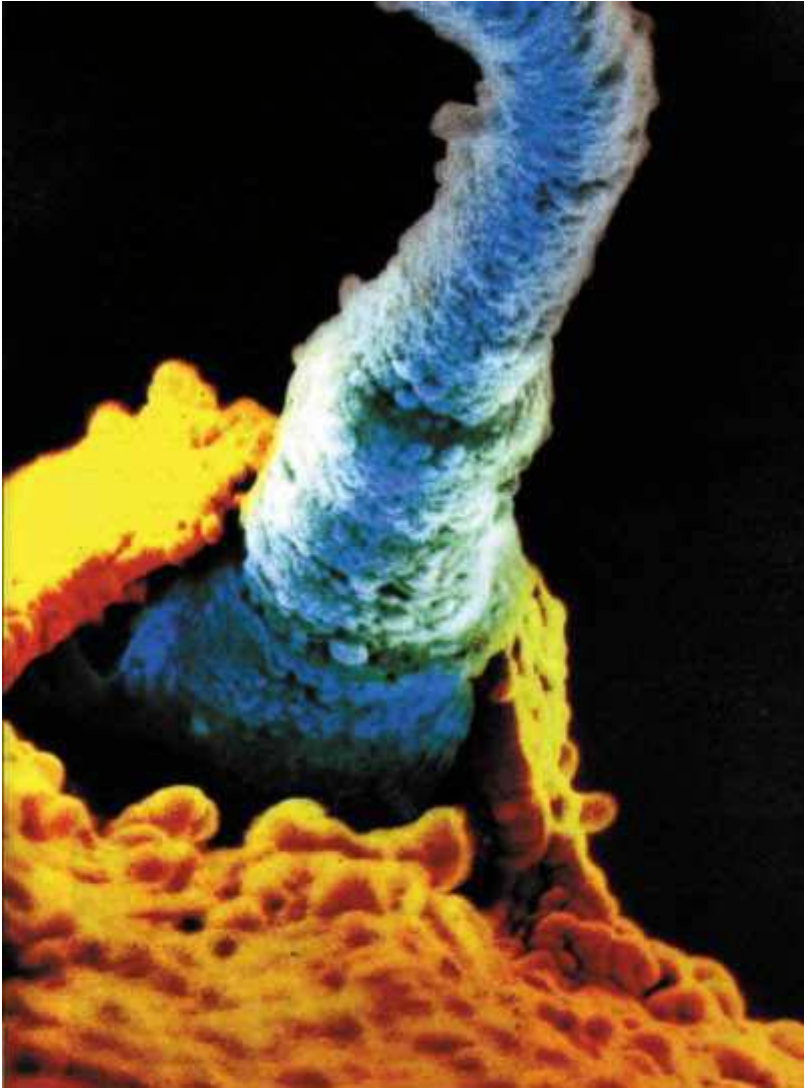
و هو العدد الحقيقي للأجسام الصبغية في كل خلية من خلايا الإنسان. كما توصل العلماء في العصر الحديث إلى معرفة أن مني الرجل يحمل نوعين من الأمشاج:

الحيوانات المنوية التي تحمل الصبغي Y الذي يؤدي إلى الذكورة والنوع الآخر X يحمل الصبغي الذي يؤدي إلى أن يكون جنس الجنين أنثى إذا ما أخصب أي منهما البويضة وقدر لها أن يتكون منها الجنين. حيث يكون التركيب الوراثي للصبغيات الجنسية (الكروموسومات الجنسية) في الجنين الذكر هي (XY) وللأنثى (XX) شكل (5).

و لعل الأعرابية أدركت أن الرجل هو الذي يحمل مسببات الذكورة والأنوثة
للذرية الناتجة عندما كانت تعاتب زوجها الذي غاضبها لتكرار ولادتها
الإناث - فقالت:

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا
تالله ما ذلك في أيدينا
ونحن كالأرض لزارعينا
ننبت ما قد بذروه فينا

ثانيًا: تساؤلات علمية:



نشرت المجلة العلمية (Zygote) عدد شهر فبراير عام 1999م ص
37-43 مقالاً للباحث قوتريز وزملانه (Guitierrez)

أثبت فيه أن قدرة الحيوانات المنوية التي تحمل شارة الذكورة أو الأنوثة على إخصاب البويضة تعتمد على وقت الإماء وكذلك على وقت الخروج ونضوج البويضة أو على الأقل على العوامل الفسيولوجية الداخلية المختلفة والتي ترجح أحد النوعين من الأمشاج الذكرية على الأخرى لتحديد نسبة الأجنة الناتجة من التلقيح. كما قد أوردت مجلة نيو سيانست العلمية في تقرير لها في العدد الصادر بتاريخ 24/يوليو/ 1999م ص 21؛

بأن الجماع أثناء فترة الحرارة تأتي غالباً بالذكورة بينما البرودة تأتي بالإناث حيث خلصت الدراسة

(والتي تتبع فيها الباحث المواليد في ألمانيا منذ عام 1964م - 1995م وعلاقة ذلك بموجات الحرارة والبرودة)

إلى أن الحرارة تؤثر على المني فتكون الحيوانات المنوية التي تحمل شارة الذكورة أكثر مقاومة للحرارة من تلك التي تحمل شارة الأنوثة مما يعطي فرصة أكبر لإنجاب الذكور في حين أن عدد المواليد الإناث يزداد عقب الموجات الباردة، ويقول لرشل - وهو الباحث في هذه الدراسة:

إن ما خلصت إليه الدراسة لا يعني أن الناس في المناطق الحارة مثلاً يرزقون بذكور أكثر من الإناث لأنهم يتكيفون مع مناخ بلادهم.

ولي



بعض التساؤلات التي أ طرحها للبحث والتأمل:

شكل رقم (5)

هل يمكن أن تلقي هذه الدراسات الضوء لتفسير حديث النبي ﷺ -
الذي أورده الإمام مسلم في صحيحه في باب صفة مني الرجل والمرأة
بسنده عن ثوبان مولى رسول الله - ﷺ - قال:
(كنت قائمًا عند رسول الله - ﷺ - فجاء خبر من أحبار اليهود... وسأل النبي -
ﷺ - عن عدة مسائل... حتى قال:

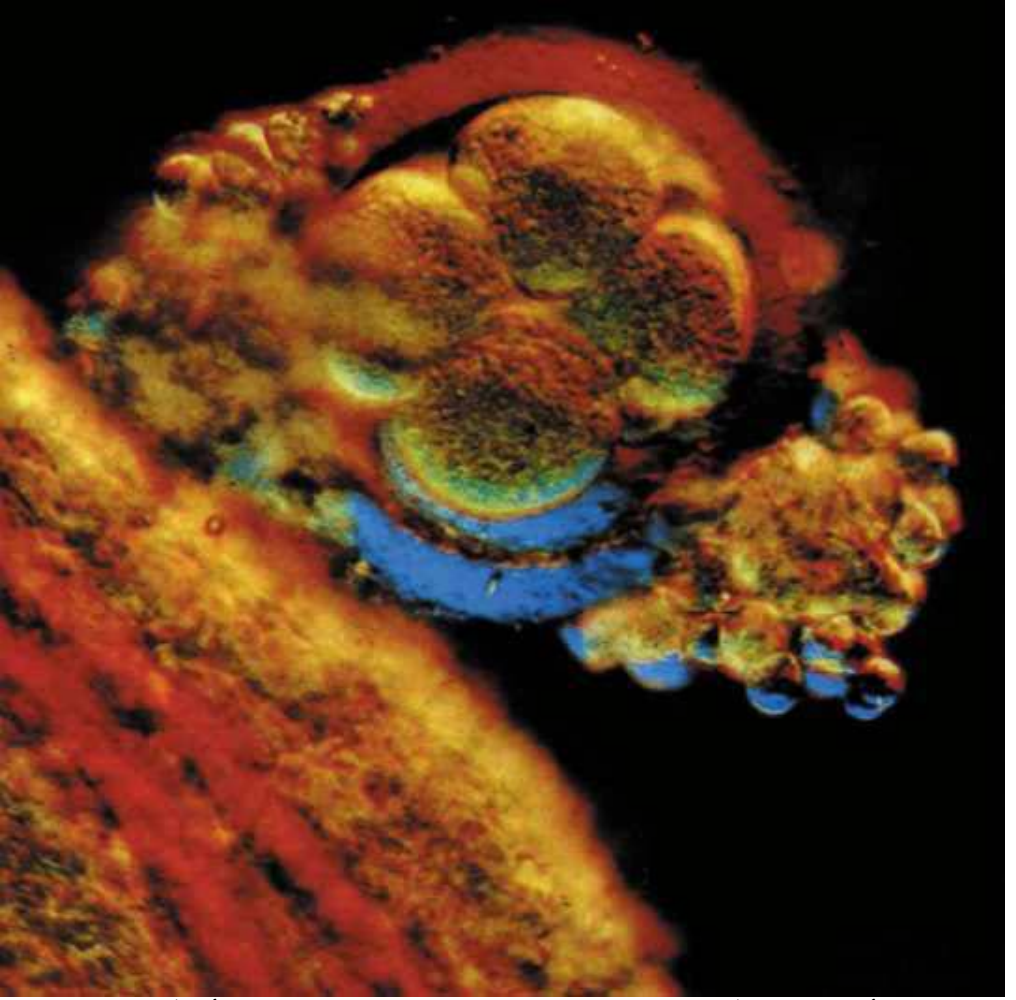
وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلاً؛ قال: ينفعك إن حدثتك؟ قال أسمع بأذني.

قال: جئت أسألك عن الولد قال: ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلاً مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله،

وإذا علا مني المرأة مني الرجل أننا بإذن الله.

فقال اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبي ثم انصرف فذهب.

فقال رسول الله ﷺ: لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به).



هل يمكن أن تكون إفرازات المهبل هي المقصودة بماء المرأة في الحديث وهل يكون لونها أصفر؟

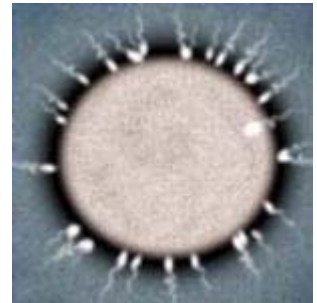
وهل يمكن أن يفسر ماء الرجل وماء المرأة في الحديث على أنه الحيينات التي تحمل شارة الذكورة والحيينات التي تحمل شارة الأنوثة؟ حيث إنه من المعلوم طبيًا أن مفرزات المهبل للمرأة حمضية بينما السائل المنوي للرجل قاعدي

وقد وجد بعض الباحثين أن النطف الذكورية التي تحمل مسببات الذكورة (Y) لا تستطيع أن تقاوم الحموضة العالية ويموت أغلبها وتميل للوسط القاعدي

فإذا تغلبت قاعدية ماء الرجل على حمضية ماء المرأة
قد يعطي هذا فرصة أو علوًا للنطف الذكورية التي تحمل شارة الذكورة
في أن تخصب البويضة فيكون بذلك جنس الجنين ذكرًا بإذن الله،
ويكون هنا علو لماء الرجل على ماء المرأة؛

في حين أن النطف الذكورية التي تحمل شارة الأنوثة (X) تكون أكثر تحملاً
وتميل للوسط الحامضي فإذا علت أو تغلبت حمضية ماء المرأة على قلوية
ماء الرجل قد يعطي هذا فرصة لها بأن تخصب بويضة المرأة فيكون جنس
الجنين أنثى بإذن الله ويكون هنا علوًا لماء المرأة على ماء الرجل.

وقد يكون هذا هو الذي يفسر لنا دور المرأة في ترجيح أي من الأمشاج
الذكورية التي يمكن أن تخصب البويضة كما قد يوضح ذلك لنا لماذا بعض
الأسر يكون لديهم أبناء من الذكور أكثر نتيجة لتغلب قلوية سائل المنى
للرجل أو العكس يكون لديهم إناث أكثر نتيجة لتغلب حمضية ماء المرأة
التي تقضي على معظم الحيوانات المنوية التي تحمل شارة الذكورة.



كما أن إفرازات عنق الرحم تكون رقيقة خفيفة عند وقت نزول
البويضة وقد يكون معنى العلو في الحديث هنا هي الغلبة أو السبق فإذا

كانت الغلبة أو السبق للنطف الذكورية التي تحمل مسببات الذكورة (Y)
وسبقت النطف الذكورية الأخرى التي تحمل مسببات الأنوثة (X) في لقاء
وإخصاب البويضة التي لا تحمل إلا شارة الأنوثة (X) كان هنا علوًا أو
غلبة لمنى الذكورة وكان جنس الجنين ذكرًا (XY) بإذن الله؛
وإذا كانت الغلبة أو السبق للأمشاج الذكورية التي تحمل شارة الأنوثة (X)
ولقحت البويضة الأنثوية كانت هنا الغلبة أو العلو للأمشاج المؤنثة فيكون
جنس الجنين أنثى بإذن الله؛ والله أعلم.

مجلة الإعجاز:



نرى أن هذا مشروع بحث يجب أن يتكاتف فيه أهل الاختصاص للاستفادة
منه وتحقيقه حيث أثبت النبي - ﷺ - في هذا الحديث أن نوع الجنين يخضع
لسنن تجري بقدر الله ويمكن تحصيل نتائجها إن نجحنا في تحديد ورصد
مقدماتها وأسبابها،

فإذا حددنا بالضبط ما هو العلو والسبق من الناحية العلمية،
وحددنا ما هو ماء المرأة المقصود في الحديث،

واستطعنا بالأجهزة الحديثة الدقيقة أن نرصد علو أو سبق أحد المائين
للآخر؛ حصلنا على نتائج يقينية عن نوع الجنين وشبهه لأحد أبويه وشجرة
عائلته،

وأضفنا بعدًا جديدًا في التأثير البيئي على المنظومة الجينية للإنسان.

النفطة والبويضة



تلتقي النفطة ذات الـ 23 صبغياً، مع البويضة ذات الـ 23 صبغياً لتشكلا
خلية واحدة تحوي 46 صبغياً، وهذا هو عدد الصبغيات في خلايا جسم
الإنسان.

ويعجب العلماء ما الذي يدفع النفطة للالتقاء مع البويضة وتشكيل
الجنين، إنه الله القائل:

(وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (45) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (46))

[النجم: 46-46].

لاحظوا معي كيف جاء رقم الآية (مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ) 46 بعدد الصبغيات؟
للمزيد راجع الابحاث للجزء 27 رقم 1 من هنا

خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ

الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾

فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ

عَيْنُونَا فَأَلْقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَجٍ وَدُسْرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءُ

لِمَن كَانَ كَفِرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ ﴿١٦﴾

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ ﴿١٨﴾

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْصِ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ

﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثْلَنَا وَحَدًّا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِئَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ يَلْقَ الْذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ

هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾

إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ

الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾

{ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ }

أي: من الهول و الفرع الذي وصل إلى قلوبهم،
فخضعت و ذلت، و خشعت لذلك أبصارهم.

{يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ}

و هي القبور،

{كَانَتْهُمْ}

من كثرتهم، و روجان بعضهم ببعض

{جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ}

أي: مبعوث في الأرض، متكاثر جدا،

{مُهَاطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ}

أي: مسرعين لإجابة النداء الداعي

و هذا يدل على أن الداعي يدعوهم و يأمرهم بالحضور لموقف القيامة،

فيلبون دعوته، و يسرعون إلى إجابته،

{يَقُولُ الْكَافِرُونَ}

الذين قد حضر عذابهم:

{هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} كما قال تعالى

{عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ يُسِيرٌ} [المذثر: 10]

مفهوم ذلك أنه يسير سهل على المؤمنين

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَحْنُونا وَازْدُجِرْ ① فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ
 فَأَنْصِرْ ② فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ③ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَفَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ
 قَدِيرٍ ④ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرَ ⑤ تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءُ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ⑥ وَلَقَدْ
 تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ⑦ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ⑧ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ
 فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ⑨ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ⑩ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي
 يَوْمٍ نَخِيسُ مُسْتَمِرٍّ ⑪ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ⑫ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ⑬
 وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ⑭

لما ذكر تبارك و تعالى حال المكذبين لرسوله،

و أن الآيات لا تنفع فيهم،

و لا تجدي عليهم شيئا،

أنذرهم و خوفهم بعقوبات الأمم الماضية المكذبة للرسول،

و كيف أهلكهم الله و أحل بهم عقابه.

(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَحْنُونا وَازْدُجِرْ)

فذكر قوم نوح، أول رسول بعثه الله إلى قوم يعبدون الأصنام،

فدعاهم إلى توحيد الله و عبادته وحده لا شريك له،

فامتنعوا من ترك الشرك

و قالوا: { لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا }

و لم يزل نوح يدعوهم إلى الله ليلا و نهارا، و سرا و جهارا،
فلم يزددهم ذلك إلا عنادا و طغيانا، و قدحا في نبيهم،

و لهذا قال هنا: { **فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ** }

لزعمهم أن ما هم عليه و آباؤهم
من الشرك والضلال هو الذي يدل عليه العقل،
و أن ما جاء به نوح ~~عليه السلام~~ جهل و ضلال،
لا يصدر إلا من المجانين، و كذبوا في ذلك،
و قلبوا الحقائق الثابتة شرعا و عقلا
فإن ما جاء به هو الحق الثابت، الذي يرشد العقول النيرة المستقيمة،
إلى الهدى و النور و الرشد، و ما هم عليه جهل و ضلال مبين،

و قوله: { **وَأَزْدَجَرَ** }

أي: زجره قومه و عنفوه عندما دعاهم إلى الله تعالى،
فلم يكفهم -قبحهم الله- عدم الإيمان به، و لا تكذيبهم إياه،
حتى أوصلوا إليه من أذيتهم ما قدروا عليه، و هكذا جميع أعداء الرسل،
هذه حالهم مع أنبيائهم.

***كقوله { **قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ** }

[الشعراء: 116]

فعند ذلك دعا نوح ربه { **فَدَعَا رَبَّهُ** }

فقال: { أَنِّي مَغْلُوبٌ }

لا قدرة لي على الانتصار منهم،
لأنه لم يؤمن من قومه إلا القليل النادر،
و لا قدرة لهم على مقاومة قومهم،

{ فَأَنْصِرْ }

اللهم لي منهم،
و قال في الآية الأخرى:

{ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا } الآيات
فأجاب الله سؤاله، و انتصر له من قومه، قال تعالى:

{ فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ }

أي: كثير جدا متتابع

{ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا }

فجعلت السماء ينزل منها من الماء شيء خارق للعادة،
و تفجرت الأرض كلها، حتى النور الذي لم تجر العادة بوجود الماء فيه،
فضلا عن كونه منبعا للماء، لأنه موضع النار.

*جاء في الويكبيديا طوفان نوح:-

هي تسمية تطلق على قصة طوفان عظيم حصل بسبب طغيان
البشر على الأرض، ورغم اختلاف القصة في مختلف الديانات

والمعتقدات إلا أن جميعها تتفق على حصوله ونجاة الناجين على سفينة أبحرت فوقه،

أما من وجهة نظر المؤرخين فقد حصل طوفان قبل حوالي 3000 قبل الميلاد في منطقة وادي الرافدين الذي يُعتقد أنه طوفان نوح، ولقد أجرت عدة بعثات أثرية ببعض التنقيبات في سهول بلاد الرافدين للبحث عن الآثار التي تذكّر بها تلك المنطقة التي شهدت عدة حضارات

و لقد كشفت تلك التنقيبات إلى أن هذه المنطقة شهدت طوفاناً عظيماً قضى على الحضارة السومرية التي كان أهلها يقطنون في سهول الرافدين

فقد ظهرت آثار الطوفان جلية في أربعة مدن رئيسية في بلاد الرافدين : أور - أريش - شورباك - كيش.

{ فَالْتَقَى الْمَاءُ }

أي: ماء السماء و الأرض

{ عَلَيَّ أَمْرٌ }

من الله له بذلك،

{ قَدْ قُدِّرَ }

أي: قد كتبه الله في الأزل و قضاه، عقوبة لهؤلاء الظالمين الطاغين

{ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ }

أي: و نجينا عبدنا نوحا على السفينة ذات الألواح

{وُدُسِرِ}

أي: المسامير التي قد سمّرت بها ألواحها و شدَّ بها أسرها

{تَجَرَى بِأَعْيُنِنَا}

أي: تجري بنوح و من آمن معه،

و من حمّله من أصناف المخلوقات برعاية من الله،
و حفظ منه لها عن الغرق و نظر، و كلائه منه تعالى،
و هو نعم الحافظ الوكيل،

{جَزَاءَ لِمَن كَانَ كُفِرَ}

أي: فعلنا بنوح ما فعلنا من النجاة من الغرق العام،
جزاء له حيث كذبه قومه و كفروا به فصبر على دعوتهم،
و استمر على أمر الله،

فلم يردّه عنه راد، و لا صده عنه صاد، كما قال تعالى عنه في الآية الأخرى:

{ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ

سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ } [هود: 48]

و يحتمل أن المراد:-

أنا أهلكنا قوم نوح، و فعلنا بهم ما فعلنا من العذاب و الخزي،

جزاء لهم على كفرهم و عنادهم،

و هذا متوجه على قراءة من قرأها بفتح الكاف

{ وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ } أي:

1- ولقد تركنا قصة نوح مع قومه آية يتذكر بها المتذكرون،

على أن من عصى الرسل و عاندهم أهلكه الله بعقاب عام شديد،

2-أو أن الضمير يعود إلى السفينة و جنسها،

و أن أصل صنعتها تعليم من الله لعبده نوح عليه السلام

ثم أبقى الله تعالى صنعتها و جنسها بين الناس ليدل ذلك على رحمته بخلقه

و عنايته، و كمال قدرته، و بديع صنعته،

{ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ } ؟

أي: فهل من متذكر للآيات، ملق ذهنه و فكرته لما يأتيه منها،

فإنها في غاية البيان واليسر؟

*جاء في موقع الاعجاز العلمي

في الأعوام التي تلت عام 1953 قامت عدة بعثات أثرية بزيارة موقع جبل

الجودي (Mt.Cudi (Judi في تركيا،

وعاينت الأخشاب المتحجرة للسفينة، وفحصتها بنظير الكربون المشع

للتعرف على عمرها الحقيقي،

و وجدت أنها صنعت قبل حوالي 4500 سنة

و ان هذا التقدير العمري المبني على قراءات أجهزة الفحص الفيزيائية

يتطابق تماما مع ما ورد في المدونات السومرية.

بيد أن الفضل الكبير في اكتشاف أسرار و خبايا الموقع الذي رست فيه

سفينة نوح (عليه السلام) NOAH'S ARK،

و التوسع في شرح التفاصيل الدقيقة المتعلقة بتلك السفينة و رحلتها الأسطورية،

يعزى إلى الباحثين ديفيد فاسولد David Fasold و رون وايت Ron Wyatt، ويعزى أيضا إلى جهود البروفسور التركي احمد ارسلان الذي تسلق جبل الجودي أكثر من 50 مرة على مدى 40 عام لاستطلاع موقع السفينة،

حيث جاءت إحدائيات الموقع المكتشف تحت جبل الجودي مطابقة تماما للموقع الذي ورد ذكره في القرآن الكريم. قال تعالى

(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (هود:44).

{ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ }

أي: فكيف رأيت أيها المخاطب عذاب الله الأليم و إنذاره الذي لا يبقى لأحد عليه حجة.

{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ }

أي: و لقد يسرنا و سهلنا هذا القرآن الكريم،

الفاظه :- للحفاظ و الأداء،

و معانيه: للفهم و العلم،

لأنه أحسن الكلام لفظا، و أصدقه معنى، و أبينه تفسيرا،

فكل من أقبل عليه يسر الله عليه مطلوبه غاية التيسير، و سهله عليه،

و الذكر شامل لكل ما يتذكر به العاملون :

من الحلال و الحرام،
و أحكام الأمر و النهي،
و أحكام الجزاء و المواعظ و العبر،
و العقائد النافعة و الأخبار الصادقة،
و لهذا كان علم القرآن حفظا و تفسيراً، أسهل العلوم، و أجلها على الإطلاق،
و هو العلم النافع الذي إذا طلبه العبد أعين عليه،
قال بعض السلف عند هذه الآية:-

هل من طالب علم فيعان عليه؟
و لهذا يدعو الله عباده إلى الإقبال عليه و التذكر بقوله:

{ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ }

***متعظ و متذكر

{ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } [ص: 29]

{ فَإِنَّمَا يَسِرُنَا فِي لِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا } [مريم: 97]

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ

﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسْرَنَا الْفُرَّانَ

لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾

{ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي }

هي القبيلة المعروفة باليمن، أرسل الله إليهم هودا عليه السلام يدعوهم إلى توحيد الله
و عبادته، فكذبوه،

{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ}

فأرسل الله عليهم

{رِيحًا صَرْصَرًا}

أي: شديدة جدا

***الباردة الشديدة البرد

{فِي يَوْمٍ نَخْسٍ}

أي: شديد العذاب و الشقاء عليهم،

***و دماره لانه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالاخروي

{مُتَسَمِّرٍ}

عليهم سبع ليال و ثمانية أيام حسوما.

{تَنْزِعُ النَّاسَ}

من شدتها، فترفعهم إلى جو السماء

***ثم تخيبيهم عن الابصار ثم تدفعهم بالأرض

***علي أم رؤوسهم فيسقط علي الارض فتتلج رؤوسهم

فيبقون جثة بلا رأس فتهلكهم، فيصبحون

{كَانُتُمْ أَعْجَازًا مُنْخَلٍ مُنْقَعِرٍ} أي:

كأن جشهم بعد هلاكهم مثل جذوع النخل الخاوي الذي أصابته الريح فسقط على الأرض، فما أهون الخلق على الله إذا عصوا أمره

{ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي }

كان و الله العذاب الأليم، و النذارة التي ما أبقت لأحد عليه حجة،

{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ }

كرر تعالى ذلك رحمة بعباده و عناية بهم،
حيث دعاهم إلى ما يصلح دنياهم و آخراهم.

راجع البحث العلمي [من هنا](#)

كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٣٢) فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَحَدَّا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٣٤)

أَمَلَيْتِ الذِّكْرَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشَرٌّ (٣٥) سَيَعْمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَابِ أَلْأَشَرُّ (٣٦)

إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فَنِنَّ لَهُمْ فَأَرْقَبَهُمْ وَأَصْطَبِرُ (٣٧)

(كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ) راجع الاعجاز العلمي [من هنا](#)

أي كذبت ثمود و هم القبيلة المعروفة المشهورة في أرض الحجر،
نبههم صالحا حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له،
و أنذرهم العقاب إن هم خالفوه

فكذبوه و استكبروا عليه،

(فَقَالُوا) - كبرا و تيهأ-:

{أَشْرَكْنَا مَثَلاً وَاحِداً نَتَّبِعُهُ}

أي: كيف نتبع بشرا، لا ملكا منا، لا من غيرنا،
ممن هو أكبر عند الناس منا، و مع ذلك فهو شخص واحد

{إِنَّا إِذَا}

أي: إن اتبعناه و هو بهذه الحال

{لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ}

*الميسر: إنا إذا لفي بُعدٍ عن الصواب و جنون.
أي: إنا لضالون أشقياء، و هذا الكلام من ضلالهم و شقائهم،
فإنهم أنفوا أن يتبعوا رسولا من البشر،
و لم يأنفوا أن يكونوا عابدين للشجر و الحجر و الصور.

{أَمْ لِفِي الذِّكْرِ عَلِيمٌ بَيْنَنَا}

أي: كيف يخصه الله من بيننا و ينزل عليه الذكر؟
فأي ميزة خصه من بيننا؟
و هذا اعتراض من المكذبين على الله، لم يزالوا يدلون به،
و يصلون و يجولون و يردون به دعوة الرسل،
و قد أجاب الله عن هذه الشبهة بقول الرسل لأممهم:

{ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ دُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَثُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ } [إبراهيم: 10]

فالرسل من الله عليهم بصفات و أخلاق و كمالات،
بها صلحوا لرسالات ربهم و الاختصاص بوحيه،
و من رحمته و حكمته أن كانوا من البشر،
فلو كانوا من الملائكة لم يمكن البشر، أن يتلقوا عنهم،
و لو جعلهم من الملائكة لعاجل الله المكذبين لهم بالعقاب العاجل.
و المقصود بهذا الكلام الصادر من ثمود لنبيهم صالح، تكذيبه،
و لهذا حكموا عليه بهذا الحكم الجائر،

فقالوا: {بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشَرٌ}

أي: كثير الكذب و الشر،
فقبحهم الله ما أسفه أحلامهم و أظلمهم،
و أشدهم مقابلة للصادقين الناصحين بالخطاب الشنيع،
لا جرم عاقبهم الله حين اشتد طغيانهم

(سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ ﴿١٦﴾ إِنَّا مَرْسَلُونا النَّاقَةَ فَبَنَنَّا لَهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ)

فأرسل الله الناقة التي هي من أكبر النعم عليهم،
آية من آيات الله، و نعمة يحتلبون من ضرعها ما يكفيهم أجمعين،

{فَنَنْتَ لَهُمْ}

أي: اختبارا منه لهم و امتحانا

{فَارْتَقِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ}

أي: اصبر على دعوتك إياهم، و ارتقب ما يحل بهم،

أو ارتقب هل يؤمنون أو يكفرون؟

*جاء في موقع الدكتور زغلول النجار قوم ثمود

(الذين جابوا الصخر بالواد) العودة

قوم "ثمود" سكنوا منطقة "الحجر" وما حولها، ولذلك سماهم القرآن الكريم باسم "أصحاب الحجر"، وأنزل سورة باسم سورة "الحجر"

وثبت أنه كان بين آدم ونوح - عليهما السلام - عشرة قرون كانوا كلهم علي الإسلام القائم علي التوحيد الخالص لله - تعالى - كما أخبر بذلك ابن عباس - رضي الله عنهما - فقد جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه قال:

"كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم علي الإسلام، ثم اجتالت الشياطين قوم نوح وأغرتهم بعبادة الأوثان والأصنام"

كما أخبر ابن عباس كذلك "بأن الأوثان التي كانت في قوم نوح صارت في العرب من بعد، وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح؛

فلما هلكوا أوحى الشيطان إلي قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتفسخ العلم عبت" (صحيح البخاري).

وكانت وثنية المشركين من قوم نوح أول وثنية في تاريخ البشرية كلها، وأسست للانحراف العقدي بعبادة الأصنام والأوثان. ولرد هؤلاء المشركين إلي التوحيد الخالص لله - تعالى - بعث ربنا - تبارك وتعالى - عبده ونبيه نوحا - عليه السلام - لهداية هؤلاء الضالين من قومه، ولبث يدعوهم إلي توحيد الله الخالق - سبحانه وتعالى - ألف سنة إلا خمسين عاماً فما آمن معه إلا قليل،

ولذلك أرسل الله - تعالى - عليهم الطوفان فأغرقهم،
 * ونجي نوحا والذين آمنوا معه وكان من ذرية هؤلاء الناجين قوم "عاد" الذين
 سكنوا منطقة الأحقاف في أقصى الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية،
 والذين كانوا علي التوحيد الخالص لله - تعالى -،
 ثم اجتالتهم الشياطين فأشركوا بالله - تعالى -، وعبدوا الأصنام والأوثان،
 فبعث الله - تعالى - إليهم عبده ونبيه "هودا" - عليه السلام - ليصحح لهم
 دينهم بردهم إلي التوحيد الخالص لله الخالق البارئ المصور، فما آمن معه إلا
 قليل،
 وكذلك عاقبهم الله - سبحانه وتعالى - بأن أرسل عليهم ريحا صرصرا عاتية
 (سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا) فأبادهم، ونجي الله بقدرته نبيه
 "هودا" والذين آمنوا معه، فلجأوا إلي بيته الحرام في مكة المكرمة.
 * وكان من ذرية هؤلاء الناجين من قوم "عاد" من سكن منطقة "الحجر" في
 أقصى الشمال الغربي من شبه الجزيرة العربية، علي الطريق القديم المؤدي من
 مدينة رسول الله - صلي الله عليه وسلم - إلي مدينة تبوك، في إقليم "العلا"،
 وكونوا قبيلة "ثمود" التي عاشت علي التوحيد فترة، ثم اجتالتهم الشياطين
 فأشركوا بالله - تعالى - وعبدوا الأصنام والأوثان فبعث الله - تعالى - فيهم
 نبيه "صالحا" - عليه السلام - يدعوهم إلي التوحيد الخالص لله - تعالى -
 فكذبوه، وأنكروا نبوته، وقاوموا دعوته، ثم طلبوا منه آية تشهد له بالنبوة،

فأرسل الله - تعالى - إليهم آية "الناقة" كما طلبوها، وفي ذلك يقول القرآن

الكريم علي لسان نبيهم: (... يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (الأعراف: 73).

وذكرهم نبيهم "صالح" - عليه السلام - بنعم الله - تعالى - عليهم
و في ذلك تقول الآيات:

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالِينَ * أَتُتْرَكُونَ فِيمَا هَذَا آمِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَخَلِّ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْجِثُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شَرْبٌ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ * فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ * فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (الشعراء: 141 - 159).

وهكذا ظلت البشرية - وستظل - يعتورها الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك
حتى قيام الساعة. والآيات القرآنية الكريمة،

والأحاديث النبوية الشريفة تربط بين قومي "عاد" و"ثمود"، وتؤكد أن "ثمود" هم خلفاء "عاد" (وجاء ذلك في سور "الأعراف"، "التوبة"، "إبراهيم"، "الفرقان"، "ص"، "ق"، "النجم"، والفجر).

ولذلك فكثيرا ما يطلق علي قوم "ثمود" اسم "عاد ثانية"،
ليبقى اسم "عاد الأولي" خاصا بقوم نبي الله "هود" عليه السلام
كذلك تؤكد أحاديث رسول الله - صلي الله عليه وسلم - أن الذين نجوا مع
نبي الله "صالح" عليه السلام - لجأوا إلي مكة المكرمة،
و أنه كان من ذراريهم قبيلة ثقيف التي سكنت منطقة الطائف،
فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال:
سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين خرجنا معه إلي الطائف، فمررنا بقبر، فقال:
"إن هذا قبر أبي رغال، وهو أبو ثقيف، وكان من ثمود، وكان بهذا الحرم يدفع
عنه، فلما خرج منه أصابته النقرة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه،
وآية ذلك أنه دفن معه عُصْنٌ من ذهب، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه معه".
فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن (سنن أبي داود).

الحديث ضعيف -الجامع الصغير

وتفصيل القرآن الكريم لكل من قصتي "عاد" و"ثمود" يعتبر وجهها من أوجه
الإعجاز التاريخي في كتاب الله خاصة مع إغفال كل من "العهدين القديم

والجديد" وكتب التاريخ لهاتين الأمتين إغفالا تاما، مع ذكر أمم أسبق منهما تاريخا كالفراعنة الذين أقاموا حضارة وادي النيل (من 5000 ق.م. إلي 300 م.)،

وكل من السوماريين، والأكاديين، والبابليين والآشوريين، والكلدانيين الذين أقاموا حضارات ما بين النهرين (من 4000 ق.م. - 500 ق.م.) وذكر حضارات مزمنة لهما كالحضارتين الهندية والصينية القديمتين (2500 ق.م. - 250 ق.م.)

ومع ذكر كل الحضارات التالية لهما بشيء من التفصيل.

وهذا الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم يجسده وجود "مدائن صالح" في منطقة "الحجر" قائمة علي هيئة العديد من القصور، والبيوت، ودواوين الدولة، والمقابر المنحوتة في صخور جوانب وادي القرى، وفي كتل صخرية هائلة جلبت إلي بطن الوادي تماما كما وصف القرآن الكريم، مما يؤكد أن هؤلاء القوم كانوا عمالقة جبارين، ابتلاهم الله - تعالى - ببسطة في الجسم، وسعة في الرزق، فأصابهم ذلك بشيء من الاستعلاء في الأرض، فكانوا يقطعون قطعا ضخمة من الصخور ويأتون بها إلي بطن الوادي لنحتها وتشكيلها علي هيئة القصور، والدواوين، والبيوت، التي تشكل بعضها من أكثر من طابقين، بالبوابات، والدرج الخارجي والداخلي، والمداخل، والنوافذ، والشرفات، والأعمدة المنقوشة بالزخارف المتقنة الصنع إلي درجة مذهلة.

كذلك قاموا بنحت كل ذلك في الجبال المحيطة بوادي القرى من جانبيه
تماما كما وصف القرآن الكريم.

وفي سنة (1975م) تم اكتشاف آثار لمدينة قديمة في شمال غربي سوريا
باسم مدينة (إبلا = Ebla)، وتم تحديد تاريخها بحوالي (4500) سنة
مضت. وفي بقايا مكتبة قصر الحكم في هذه المدينة القديمة وجدت مجموعة
كبيرة من الألواح الصلصالية (حوالي 15.000 لوح) ووجد أن هذه الألواح
تحمل كتابات بإحدى اللغات القديمة التي تم معرفة مفاتيحها وبالتالي تمت
قراءة الكتابات المدونة علي تلك الألواح.

وفي عددها الصادر بتاريخ ديسمبر (1978م) نشرت المجلة الجغرافية
(National Geographic Magazine vol. 154, no.6,
p. 731-759 مقالا بعنوان: "Ebla: Splendour of an
unknown Empire" لكاتب باسم هوارد لا فاي (Howard La
Fay) وفي هذا المقال جاءت الإشارة إلي أن من الأسماء التي وجدت علي
ألواح مدينة "إبلا" الاسم "إرم" علي أنه اسم لمدينة غير معروفة جاء ذكرها في
السورة رقم (89) من القرآن الكريم.

وفي سنة (1979م) صدر كتاب بعنوان "Ebla – A Revelation in
Archaeology" للمؤلفين (C. Bermant & M. Wetzman) وجاء في الكتاب أن من الاكتشافات في ألواح "إبلا" أسماء

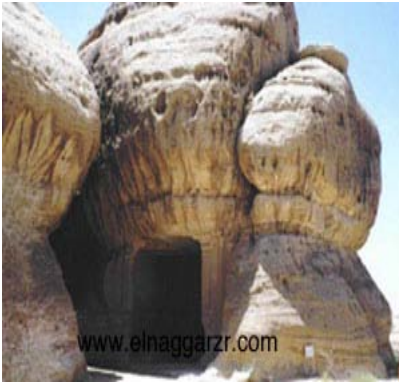
ثلاثة هي: شاموتو أو (ثمود) ، (عاد) ، و (إرم) وذكر الكاتبان أن هذه الأسماء الثلاثة ذكرت في السورة رقم (89) من القرآن الكريم. وأشارا إلي أن الاسم (ثمود) وهو اسم إحدى القبائل العربية وجدت إشارة له في آثار الملك الأشوري سارجون الثاني في القرن الثامن قبل الميلاد (722 – 705 ق.م.). كل ذلك يشير إلى المعجزة التاريخية للقرآن الكريم في ذكر تفاصيل قصة قوم "ثمود" الذين عاشوا من قبل (4500) سنة، ولم يكن أحد من الخلق يعلم

العودة

شيئا عنهم قبل بعثة المصطفى - ﷺ

وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ

هذه الآية القرآنية الكريمة جاءت في خواتيم الثلث الأول من سورة "الفجر" ، وهي سورة مكية، وآياتها ثلاثون (30) بعد



البسملة، وقد سميت بهذا الاسم لاستهلاكها بالقسم بالفجر (وقتاً وصلاة).

ويدور المحور الرئيسي للسورة حول عدد من ركائز العقيدة الإسلامية شأنها في ذلك شأن كل السور المكية مع الإشارة إلى بعض صور العقاب الذي نال عددا من كفار ومشركي الأمم

السابقة، واستعراض عدد من طبائع النفس الإنسانية في كل من حالات الرخاء والشدة، واستنكار عدد من الأمراض النفسية، مع توضيح أن الابتلاء بالخير

والشر هو من سنن الله في عباده المكلفين.

هذا وقد سبق لنا استعراض ومضة الإعجاز التاريخي في ذكر قوم "ثمود" في القرآن الكريم في حين لم يذكر أي من "العهدين القديم أو الجديد" شيئاً عنهم ولا عن سابقهم قوم "عاد"،

وكذلك لم تذكر كتب التاريخ القديم شيئاً عن هاتين الأمتين البائدتين مع إفاضتها في ذكر أمم أقدم منهما، وأمم معاصرة لكل منهما، وأمم لاحقة بهما. ثم تأتي الكشوف الآثرية في أواخر القرن العشرين لتؤكد صدق القرآن الكريم في كل ما أشار به إلى كل من أمتي "عاد" و "ثمود"

وإلى النبي الذي أرسل إلى كل منهما: نبي الله هود إلى قوم "عاد" ونبي الله صالح إلى قوم "ثمود" -على نبينا وعليهما من الله السلام-.

وفي هذا المقال نستكمل رواية القرآن الكريم عن قوم "ثمود" ونبرز جوانب الإعجاز العلمي والتاريخي في قول ربنا - تبارك وتعالى:

(**وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ**) (الفجر: 9).

من الإعجاز العلمي والتاريخي في قول ربنا - تبارك وتعالى:-

(...الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ)

تقع "مدائن صالح" عاصمة قوم "ثمود" في منطقة "الحجر" بوادي القرى على الطريق القديم بين المدينة المنورة وتبوك في إقليم "العلا"،

والمنطقة تتكون أساساً من صخور رملية عالية المسامية والنفاذية تنبع "مكون جبل الساق" الذي يمثل أهم خزان للمياه تحت السطحية في شبه الجزيرة العربية، وتحد المنطقة من الغرب حرة "عويرض" المكونة من الصخور البازلتية والتي ينتج عن تعريتها رواسب طينية غنية بالمواد اللازمة للإنبات تملأ الأودية العديدة التي تقطع أراضي المنطقة، ومن هنا كانت المنطقة مهياً تهيئة كاملة للإعمار، كما كانت منطقة آمنة لإحاطتها بالجبال من كل جانب ويشير القرآن الكريم إلى ذلك بقول ربنا - تبارك وتعالى - على لسان نبيهم صالح - **العليه السلام**:-

(**أَتُتْرَكُونَ فِيمَا هَآ هُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَآتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَهَا هَٰضِمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**)
(الشعراء: 146 - 152).

وكان القوم عمالقة جبارين في الأرض وكان الله - تعالى - قد ابتلاهم ببسطة في الجسم، وسعة في الرزق، فأصابهم شيء من الغرور والبطر والاستعلاء في الأرض، فأشركوا بالله - تعالى - بعد أن كانوا موحدين، وقد حمل أسلافهم ذكرى هلاك قوم "عاد" الذين كانوا قد انحرفوا إلى الشرك من قبل فأبادهم الله - تعالى - ونجي نبيه "هودا" والذين آمنوا معه وكان من هؤلاء الناجين

أسلاف قوم ثمود ولذلك يجمع القرآن الكريم بين "عاد" و "ثمود" في العديد من الآيات من مثل ما جاء في سور "الأعراف"، "التوبة"، "إبراهيم"، "الفرقان"، "ص"، "ق"، "النجم"، "الفجر"، ومنها قوله - تعالى - على لسان نبيه صالحاً -عليه السلام- موجهها الخطاب إلى قومه "ثمود" قائلاً لهما: (وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ...) (الأعراف: 74).

وبالرغم من ذلك انحرفت غالبية قبيلة "ثمود" فأرسل الله - تعالى - إليهم نبيه "صالحاً" ليصلح لهم دينهم، ويردهم إلى التوحيد من جديد، فما آمن معه إلا قليل منهم.

وفي قول ربنا - تبارك وتعالى -:

(وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) (الفجر: 9).

ومضة تاريخية وعلمية معجزة لأنه لم يكن أحد من الخلق في زمن الوحي وإلى أواخر القرن العشرين يعلم شيئاً عن قوم ثمود غير ما جاء في القرآن الكريم وفي أحاديث سيد المرسلين - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين.

العودة

و(الجوب) في اللغة هو القطع، والتجويف، والخرق، وهي عمليات قام بها قوم "ثمود" في الجبال المحيطة بوادي "القرى" على الجانبين، فنحتوا فيها القصور والبيوت والقبور، ولم يكتفوا بذلك، فكانوا يقطعون كتلا ضخمة من صخور الجبال، ويأتون بها إلى بطن الوادي، ثم ينحتون منها القصور،

والدواوين، والمساكن من طابقين وثلاث طوابق بالدرج الخارجي والمداخل
المقامة على الأعمدة المزدانة بأدق النقوش والزخارف والدرج الداخلي
وتجاويف كل من الغرف والممرات والأبواب والنوافذ والشرفات، وقد
ساعدهم على ذلك قلة تماسك الصخور الرملية، وسهولة تشكيلها، مع تباين
ألوانها من البياض إلى الصفرة والحمرة، وقد وصف القرآن الكريم تلك
الأعمال الخارقة للعادة بقول ربنا - تبارك وتعالى:-
(وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) (الفجر: 9).

وقال - عز من قائل - مخاطبا قوم "ثمود" على لسان نبيهم صالح (عليه السلام):-
(**وَإِذْ كُورُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ
سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ**) (الأعراف: 74).

وكذلك قال ربنا - وقوله الحق - على لسان نبيه "صالح" مخاطبا قومه:-
(**وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ**) (الشعراء: 149).

و"مدائن صالح" بقصورها، ودواوينها ومساكنها وقبورها المنحوتة في الجبال
المكونة لجانبي وادي "القرى"، وفي الكتل الصخرية الهائلة المجلوبة إلى
بطن الوادي تمثل نموذجا معماريا فريدا، مقسما بعدد من الشوارع الفسيحة،
المستقيمة، والمنظمة تنظيما دقيقا والمقطوعة في الكتل الجبلية المكونة
للمنطقة مما يدل على الجهود الجبارة التي بذلت في تخطيط وإنشاء تلك

المدينة الفريدة، من نوعها وإن كان الأنباط من بعد ذلك قد أقاموا مدينة "البترا" (مدينة الصخر) أو المدينة الوردية أو "سلع"، أو "رقيمو" باللغة النبطية) على منوال مدائن صالح في سنة (400) ق.م. وتم اكتشافها سنة 1812م على يد الآثاري السويدي "يوهان بيركاردت" ثم انتهت دولة الأنباط سنة (105) ق.م بواسطة الغزو الروماني للمنطقة العربية.

ودراسة منطقة "الحجر" تؤكد أن بعض جبال "مدائن صالح" مفرغة من الداخل تفريغا هندسيا رائعا يجعل منها السكن، والستر، والحصن، والوقاية، ومناطق الدفاع عن المدينة، ومتعة التحرك والتنزه فيها. والأودية التي تقطع جبال المنطقة ثم حفر الآبار فيها (وإن كان أغلبها مطمورا الآن)، وبذلك تم تهيئتها للزراعة.

ولا يمكن لزائر المنطقة أن يتخيل كيفية نقل الكتل الصخرية الهائلة إلى بطن الوادي، ولا إمكانية تشكيل تلك القصور والدواوين والمسكن والقبور بالحفر في ذلك الزمن البعيد، ولا إمكانية تزيينها بهذا القدر من الأعمدة والزخارف والنقوش المتقنة أشد الإتقان.

ومن ومضات الإعجاز العلمي والتاريخي في القرآن الكريم تمييزه بين النحت في الجبال، والنحت في الكتل الصخرية المجلوبة إلى بطن الوادي، وهو ما لا يقدر على تمييزه إلا الخبراء في علوم الأرض، خاصة وأن أغلب الآيات

التي تتحدث عن قوم "ثمود" وعن نبهم صالح - عليه السلام - هي من الآيات المكية، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يمر بمدائن صالح إلا وهو في طريقه لغزوة تبوك في السنة التاسعة بعد الهجرة. فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: لما نزل رسول الله - ﷺ - بالناس على تبوك نزل بهم "الحجر" عند بيوت "ثمود" فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها "ثمود" فعجنوا منها ونصبوا القدور فأمرهم رسول الله - ﷺ - فأهراقوا القدور، وعلفوا العجين الإبل،

ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا فقال: "إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم" (مسند الإمام أحمد)

كذلك روى الإمام أحمد عن عمرو (عامر) بن سعد - ﷺ - أنه لما كان في غزوة "تبوك" تسارع الناس إلى أهل "الحجر" يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله - ﷺ - فنادى في الناس: "الصلاة جامعة". قال: فأتي النبي - ﷺ - وهو ممسك ببعيره وهو يقول:

"ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم"
فناداه رجل: نعجب منهم يا رسول الله!

قال - ﷺ -: "أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك؟

رجل من أنفسكم بنبئكم بما كان قبلكم وما هو كائن بعدكم فاستقيموا
وسددوا فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئاً،

وسياتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً" (مسند الإمام أحمد)

العودة

وقد اختلف الباحثون في تحديد زمن قوم "ثمود" كما اختلفوا في تحديد زمن
أسلافهم قوم "عاد" ولكن الإشارات القرآنية تؤكد على أنهم كانوا قبل زمن
نبي الله موسى - عليه السلام - بفترة طويلة،
وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

(وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَعَنِي حَمِيدٌ *
أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا
يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا
كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ)
(إبراهيم: 8،9).

و هاتان الآيتان الكريمتان تؤكدان أن أقوام نوح وعاد و ثمود و الذين من
بعدهم كانوا قبل زمن نبي الله موسى - ﷺ - بفترة طويلة.
و يؤيد ذلك قول مؤمن آل فرعون الذي جاء نصه في القرآن الكريم على
النحو التالي:-

(وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ
نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ)
(غافر: 30، 31).

ولما كان الآثاريون يؤرخون فترة حكم فرعون موسى رمسيس الثاني (المعروف
باسم فرعون الاضطهاد) بالفترة من (1301 ق.م.) إلى (1234 ق.م.)
فإن قوم ثمود لابد وأنهم عاشوا في النصف الأول من الألفية الثانية من قبل
الميلاد على أقل تقدير (من 2000 – 1500 ق.م.)
ووجود العديد من النقوش الثمودية والنبطية والآرامية في أجزاء كثيرة من
الجزيرة العربية (بما فيها مدائن صالح) يشير إلى أن المنطقة قد سكنت
بالعديد من الأقوام من بعد هلاك قوم "ثمود"
لأن القرآن الكريم يؤكد على هلاك المشركين من هؤلاء القوم هلاكا تاما وذلك
بقول ربنا - تبارك وتعالى :-

وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى * وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى * وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ
أَظْلَمَ وَأَطْغَى * وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى * فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى
* هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى (النجم: 50 – 56).

و كذلك قال - تعالى :- (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ
مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ
فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا

بُعْدًا لِمُودَ) (هود: 66-68).

العودة

أما وجود إشارات أثرية إلى قوم "ثمود" في نقش للملك الآشوري سرجون الثاني (722 - 705 ق.م.) سجل فيه انتصارات للجيش الآشوري على عدد من القبائل الثمودية في شمال الجزيرة العربية فإن هذه الآثار تشير بالتأكيد إلى سلالات عدد من الناجين من دمار قوم ثمود، خاصة وأن هناك ما يشير إلى أن عددا من الذين نجوا مع نبي الله "صالح" قد نزحوا إلى كل من منطقة الطائف في جنوب الحجاز، ومنطقة "الرس" في شمال شبه الجزيرة العربية.

من هذا الاستعراض تتضح ومضة الإعجاز العلمي والتاريخي في قول ربنا - تبارك وتعالى: (وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) وفي استعراض القرآن الكريم لقصة نبي الله صالح - عليه السلام - مع قومه "ثمود" الذين أغفلتهم كتب التاريخ القديم إغفالا كاملا كما أغفلتهم كتب

العودة

العهدين القديم والجديد

قوم عاد

<http://www.elnaggarzr.com/index.php?itm=6f4865c8646b395cdeb6d9d782248937#>

(فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الأحقاف: 24,25)

هاتان الآيتان القرآنيتان الكريمتان جاءتا في أوائل الثلث الأخير من سورة



الأحقاف وهي سورة مكية، وآياتها خمس وثلاثون (35) بعد البسملة، وقد سميت السورة

بهذا الاسم لورود الإشارة فيها إلي منطقة

الأحقاف، وهي المنطقة التي سبق أن سكنتها

قبيلة عاد، وهم قوم نبي الله هود . عليه السلام . و(الأحقاف) جمع (حقاف)

التي هي جمع (حقف) وهو ما استطال من الكشبان الرملية واعوج، ومنطقة

الأحقاف هي من رمال الجزء الجنوبي الشرقي من الربع الخالي وشمال منطقة

حضر موت من بلاد اليمن. وأبناء قبيلة عاد كانوا من أشد الناس قوة، وأكثرهم

ثراء وترفا في زمانهم، ولكن بدلا من شكر الله . تعالي . علي نعمه العديدة،

والخضوع لجلاله بالطاعة والعبادة، فإن غالبية قوم عاد كفروا، أو أشركوا بالله

عبادة الأصنام والأوثان، فبعث الله . تعالى . نبيه هودا . ^{عليه السلام} لهدايتهم فعصوه،
وسخروا منه، كما سخروا من وعيد الله . تعالى . لهم،

فأرسل الله عليهم ريحا صرصرا عاتية فيها عذاب أليم فدمرتهم وقضت
عليهم، ونجي الله . سبحانه وتعالى . نبيه هودا والذين آمنوا معه،

وترك آثار عذاب قوم عاد عبرة لكل من جاء بعدهم . وإن كانت رمال الربع



الخالى السافية قد طمرت تلك الآثار .

وتستفتح سورة الأحقاف بحرفين من حروف

الفواتح الهجائية هما (حم) وقد تكررا

بمفردهما ست مرات في القرآن الكريم، وجاء

في المرة السابعة بإضافة ثلاثة حروف أخرى ليصبح الجميع (حم * عسق)

وذلك في مطلع سورة الشوري . وتعرف هذه السور السبع باسم (الحواميم)

وتشمل: سور غافر، فصلت، الشوري، الزخرف، الدخان، الجاثية، والأحقاف .

والفواتح الهجائية التي استهلكت بها تسع وعشرون سورة من سور القرآن الكريم

سبق لنا التعرض لها بما يغنينا عن تكرار ذلك هنا . وبعد هذا الاستفتاح يأتي

التأكيد الإلهي علي أن القرآن الكريم منزل بالوحي من لدن رب العالمين الذي

وصف ذاته العلية بالعزة والغلبة المطلقتين، وبالحكمة البالغة في كل أمر،

ويتضح ذلك من خلق السماوات والأرض وما بينهما علي نواميس ثابتة، وإلي

آماد محددة . وإن طالت . مما يؤكد حقيقة الخلق، وعلي ألوهية الخالق،

وربوبيته، ووحدانيته المطلقة فوق جميع خلقه، وعلي حتمية الآخرة. وبالرغم من وضوح ذلك يكفر الكافرون، ويشرك المشركون،

ويعرض هؤلاء الملاحدة عن إنذار رب العالمين بالآخرة وأهوالها، وفي ذلك تعبت الآيات في مطلع سورة الأحقاف علي المشركين شرهم فتقول:

(حَمَّ*تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ*مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ*قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ اثْنُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ*وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عِنْدَ عَابِهِمْ غَافِلُونَ*وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ)(
الأحقاف: 1. 6).

وفي هذه الآيات تأكيد ربانية القرآن الكريم، وعلي حقيقة الخلق، وحتمية الآخرة، كما أن فيها استنكارا لشرك المشركين، ولضلالهم عن حقيقة الألوهية بدعاء معبودات غافلة عنهم، لا تسمع دعاءهم، ولشركهم، ولا تستجيب لهم، ولا تملك لهم نفعا ولا ضرا، وفي يوم القيامة سوف تتنكر لهم ولعبادتهم الخاطئة، وتقف منهم موقف التبرؤ والاستهجان، والمعاداة والإنكار.

ثم تنتقل الآيات إلي قضية أخرى وهي تناول هؤلاء الكفار والمشركين علي كتاب رب العالمين، وعلي خاتم الأنبياء والمرسلين . ﷺ فتقول:

(وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يُفَعَّلُ بِيَوْلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ * وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنَذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ)
(الأحقاف: 12.7).



ومن قبيل تهديد الكفار والمشركين في زمن
الوحي ومن بعده إلي يوم الدين، ومن أجل
تشبث الله . تعالي . لختام أنبيائه ورسله . صلي
الله عليه وسلم . في مواجهة هؤلاء الكفار
والمشركين الذين كذبوا بعثته الشريفة، وتنكروا

للقرآن الكريم، تعرض الآيات لقصة قوم عاد مع نبيهم هود . عليه السلام
ولما أصابهم من تدمير كامل جزاء كفرهم وشركهم فتقول:

﴿وَإِذْ كُنَّا أَهْلًا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ التُّدُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ

خَلْفِهِ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ* قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ* قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ* فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُنْطَرِنًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ* تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِيهُمُ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) (الأحقاف: 21-25).

والعارض سحاب يعرض في الأفق. ومع استمرار الحديث عن قوم عاد ينتقل الخطاب إلي كفار ومشركي قريش ليقول لهم رب العالمين:

(وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ* وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ* فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (الأحقاف: 26-28).

ثم تنتقل الآيات بالحديث عن إسلام نفر من الجن بعد الاستماع إلي تلاوة من رسول الله ﷺ. لبعض آيات القرآن الكريم في تهجده بوادي النخلة في أثناء عودته من الطائف،

وفي ذلك توبيخ لكفار ومشركي قريش الذين أعرضوا عن الإيمان بالإله الواحد الذي خلقهم ورزقهم، واتجهوا إلي الكفر أو الشرك به،

وهو توبيخ للكفار والمشركين في كل عصر إلي يوم الدين،
وفي ذلك تقول الآيات:

(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الأحقاف: 29-32).

وتختتم سورة الأحقاف بالاستشهاد بخلق السماوات والأرض علي طلاقة قدرة الله . تعالي . في تحقيق إحياء الموتى وبعثهم، وبتهديد الكافرين بعرضهم علي النار، وبتوصية خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بالتمسك بالصبر كما صبر أسلافه من أولي العزم من الرسل، مع التأكيد علي قصر الحياة الدنيا ومرحليتها فتقول:

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ سَوَّيْتَنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿33﴾ (الأحقاف: 33-35).

وفي المقال القادم إن شاء الله سوف نستعرض كلا من ركائز العقيدة والإشارات العلمية والتاريخية في سورة الأحقاف. والدلالات في هذين المجالين للآيتين الكريمتين اللتين اتخذناهما عنوانا لهذا المقال.

من الإشارات العلمية والتاريخية في سورة الأحقاف

1. وصف خلق السماوات والأرض وما بينهما بالحق وأجل مسمى، أي حسب عدد من القوانين والسنن الثابتة، وأن هذا الخلق له أجل محدد، والعلوم المكتسبة في مجال علم الفلك والفيزياء، الفلكية تؤكد ذلك وتدعمه.
2. الإشارة إلى مركزية الأرض من الكون بالبينية الفاصلة للأرض عن السماوات، وهو ما لا يستطيع الإنسان إثباته.
3. التأكيد علي وجود عدد من البشارات بمقدم رسول الله . صلي الله عليه وسلم . في كتب الأولين، رغم ضياع أصولها، وتعرض ما بقي منها من ذكريات للتحريف والتبديل والتغيير، وعلي الرغم من ذلك كله فقد بقيت تلك البشارات صامدة إلي يومنا هذا، رغما عن أنوفهم، وإن حاولوا حذف بعضها أو تزيفه خاصة في الطبقات العربية.
4. ذكر قصة إسلام أحد أبحار اليهود وهو (عبد الله بن سلام) رضي الله عنه . بناء علي ما جاء في بعض صحف اليهود من ذكر لاسم رسول الله . صلي الله عليه وسلم ووصفه . ووقائع التاريخ تؤكد ذلك وتدعمه.
5. تحديد فترتي الحمل والفصال للوليد البشري بثلاثين شهرا في سورة

الأحقاف، وتحديد فترة فصال الوليد في عامين كما جاء في الآية(14) من سورة لقمان وبذلك تكون أقصر مدة للحمل في أنثى الإنسان هي ستة شهور، وهو ما أثبتته علم الأجنة البشرية مؤخرًا.

6 . الإشارة إلي قوم عاد وإلي سكناهم في الأحقاف، وإلي نبهم هود . عليه السلام . وإلي عصيانهم لدعوته، وإلي نزول عقاب الله . تعالى . بهم، وإلي وصف وسيلة ذلك العقاب: ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها.. والكشوف الأثرية الحديثة تؤكد ذلك كله.

7 . تقديم السمع علي الأبصار والأفئدة، وذكر السمع بالإفراد وذكر كل من الأبصار والأفئدة بالجمع، والبحوث الطبية الحديثة تؤكد أن السمع هو أول حاسة يستخدمها الجنين البشري، وهو لا يزال في بطن أمه، وأول ما يستخدم من حواسه بعد ميلاده مباشرة، بينما يتأخر استخدامه لبقية حواسه لفترات تطول وتقصّر. كذلك فإنه علي الرغم من وجود الأذنين، ووجود مركزين للسمع بالمخ فوق موقعي الأذنين إلا أن الإنسان لا يسمع في اللحظة الواحدة إلا صوتا واحدا فقط، ومن هنا جاء ذكر السمع بالإفراد.

8 . الاستشهاد بخلق السماوات والأرض علي إمكانية البعث وعلي طلاقة القدرة الإلهية بلا حدود.

9 . الإشارة إلي طي الزمن لمن يموت، فلا يشعر به لحظة البعث إلا كساعة من نهار، مهما طال مداه، وهذا من رحمه الله . تعالى . بعباده.

وكل قضية من هذه القضايا تحتاج إلى معالجة خاصة بها ولذلك أقصر الحديث هنا علي النقطة السادسة من القائمة السابقة والتي جاءت في الآيتين (24)، (25) من سورة الأحقاف.

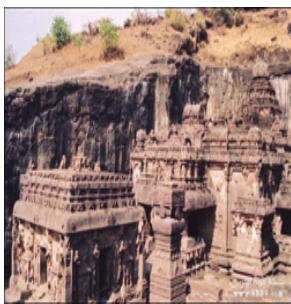
من الدلالات العلمية والتاريخية للآيتين الكريمتين:

يقول ربنا تبارك وتعالى . في سورة الأحقاف :

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أُنْذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُنْطَرِنًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِيْنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأحقاف: 21-25).

ولم يعرف معظم المؤرخين وعلماء الآثار شيئا عن قوم عاد إلا ما أورد القرآن الكريم عنهم، حتي كانت سنة 1984 م حين تم تزويد إحدي مركبات الفضاء بجهاز رادار له قدرة علي اختراق التربة الجافة إلي عمق عشرات الأمتار

فكشف عن العديد من البحيرات والمجاري المائية الجافة المدفونة تحت رمال الحزام الصحراوي الممتد



من موريتانيا غربا إلى أواسط آسيا شرقا، وتحليل الصور المأخوذة بواسطة تلك المركبة لجنوب الجزيرة العربية اتضح وجود أعداد من تلك الأودية والأنهار والبحيرات الجافة المطمورة بواسطة رمال الربع الخالي، كما اتضحت آثار طرق برية قديمة تؤدي إلى عديد من الأبنية المدفونة التي تمت نسبتها إلى آثار قوم عاد ولعاصمة ملكهم إرم.

وقد اهتم معهد الدفع النفاث بولاية كاليفورنيا وهو جزء من معهد كاليفورنيا للتقنية بإعداد تقرير مطول عن نتائج دراسة تلك الصور، ويدعو التقرير في ختامه كلا من الحكومات العربية ورجال الأعمال العرب إلى دعم عملية الكشف عن تلك الآثار التي لا يعرف الأثريون والمؤرخون شيئا عنها، علي الرغم من أن اثنين من قدامي المؤرخين قد أوردوا في مدوناتهما أن كلا منهما قد زار أرض قوم عاد منفردا في أواخر عهدها، وكانت المنطقة لاتزال عامرة بحضارة مادية زاهرة، الأنهار فيها متدفقة بالمياه، والبحيرات عامرة بالحياة، واليابسة مكسوة بالخضرة، و قوم عاد مستكبرون في الأرض، ويشكلون الحضارة السائدة في زمانهم قبل أن يهلكهم الله . تعالي . بكفرهم وشركهم. وكان أحد الزائرين هو بليني الكبير وهو من مؤرخي الحضارة الرومانية(عاش في الفترة من 23 م إلى 79 م تقريبا)، وكان الآخر هو بطليموس الإسكندري الذي كان أمينا لمكتبة الإسكندرية(وعاش في الفترة من 100 م إلى 170 م تقريبا).

وقد قام بطليموس هذا برسم خارطة للمنطقة بأنهاها المتدفقة، وطرقها المتشعبة والتي تلتقي حول منطقة واسعة سماها باسم سوق عمان. وقد وصف بليني الكبير حضارة عاد بقوله: إنها لم يكن يدانيها في زمانها حضارة أخرى علي وجه الأرض، وذلك في ثرائها، ووفرة خيراتها، وقوتها المادية، حيث كانت علي مفترق طرق التجارة بين كل من الصين والهند شرقا، وبلاد الشام وأوروبا غربا.

وكانت قبيلة عاد تصدر كلا من البخور والعطور والأخشاب والفواكه المجففة والذهب، والحريز، وغيرها إلي كل الدول من حولها. وقد علق كثير من المتأخرين علي كتابات كل من هذين المؤرخين واصفين إياهما بالأساطير والخرافات، لأنهم لم يستطيعوا تصور أن منطقة الربع الخالي كانت مليئة بالماء والحياة والعمران وهي من أكثر مناطق الأرض قحولة وجفافا اليوم. إن لم تكن أكثرها علي الإطلاق!!.

ولكن في يناير سنة 1991 م بدأت عمليات الكشف عن الآثار في المنطقة التي حددتها الصور الفضائية، واستمر العمل بها حتي سنة 1998 م ثم توقف بسبب حرب الخليج، وتم استئنافه بعدها إلي اليوم،

وخلال هذه الفترة تم الإعلان عن اكتشاف قلعة ثمانية الأضلاع سمكة
الجدران بأبراج في زواياها قائمة علي أعمدة ضخمة يصل ارتفاع الواحد منها
إلي تسعة أمتار، ويصل قطره إلي ثلاثة أمتار
ونسبت القلعة إلي مدينة إرم التي وصفها القرآن الكريم بقول ربنا . تبارك
وتعالى .:

﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ*الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ (الفجر: 6. 8).

وتوالي بعد ذلك نشر العديد من الكتب والمقالات والمواقع علي شبكة
المعلومات الدولية عن هذا الكشف الأثري الفريد الذي يؤكد الحقيقة التاريخية



عن قوم عاد، وأنهم كانوا في نعمة من الله
عظيمة ولكنهم بطروها ولم يشكروها فعاقبهم
الله . تعالى . بـ (ربح فيها عذاب أليم)
والدراسات علي آثارهم تؤكد أنها طمرت
بعاصفة رملية غير عادية. وسبق القرآن الكريم
بالإشارة إلي قوم عاد، وتحديد اسم نبي الله .

تعالى . إليهم وهو هود . عليه السلام .، ووصف موقفهم من دعوته، ووصف
عقاب الله . تعالى . لهم بالتدمير الكامل بـ ربح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ
بأمر ربها.. بعد كل ما كانوا فيه من نعيم العيش ورغده، ومع عدم وجود أي
ذكر لهذه الأمة أو لنبيها في كتب الأقدمين فيه الرد الدافع ببطلان دعوي

المدعين بأخذ القرآن الكريم قصصه عن تلك الكتب، كما أن فيه الشهادة التاريخية والعلمية بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، الموحى به إلي خاتم أنبيائه، ورسله، والم محفوظ في نفس لغة وحيه اللغة العربية علي مدي أربعة عشر قرنا أو يزيد، والذي سوف يقي محفوزا بحفظ الله . تعالي . إلي ما شاء الله، تحقيقا للوعد الإلهي المطلق الذي قطعه ربنا . تبارك وتعالى . علي ذاته العلية فقال . عز من قائل:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:9).

فالحمد لله علي نعمة الإسلام، والحمد لله علي نعمة القرآن، والحمد لله علي بعثة خير الأنام . صلي الله وسلم وبارك عليه وعلي آله وصحبه ومن تبع هداة ودعا بدعوته إلي يوم الدين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّخَضَّرٌ ۖ (٢٨) فَنادوا أصحابهم فَنَعَاطَى فَقَعَرُوا (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحُمْظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ (٣٢) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَوْدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِ (٣٧) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ (٤٠) وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْنَدٍ (٤٢) أَكْفَارَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنْصَرُونَ (٤٤) سِيرَهُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذًى وَأَمْرٌ (٤٦) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)

{وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ}

أي: و أخبرهم أن الماء موردهم الذي يستعذبونه،

(قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ)

و بين الناقة، لها شرب يوم و لهم شرب يوم آخر معلوم،

{كُلُّ شَرِبٍ مُخَضَّرٌ}

أي: يحضره من كان قسمته، و يحظر على من ليس بقسمة له.

***كقوله {قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ} [الشعر: ١١ ١٢]

{فَنَادَا صَاحِبَهُمَا}

الذي باشر عقرها، الذي هو أشقى القبيلة

***قدار بن سالف و كان اشقي قومه كقوله {إِذْ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا} [الشمس: ١٢ ١٣]

{فَنَعَاطَى}

أي: انقاد لما أمروه به من عقرها

{فَفَقَّرَ}

*الميسر: فنحرها

{فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ}

كان أشد عذاب، أرسل الله عليهم صيحة و رجة أهلكتهم عن آخرهم،

و نجى الله صالحا و من آمن معه

(إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً)

*الصيحة : الصوت العالي

(فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحَنْظَرِ)

الزبدة: صاروا كالعشب اليابس في الحظيرة اذا داسته الغنم بعد سقوطه

من موقع الاعجاز العلمي

لك أن تتساءل كيف يمكن أن يموت الإنسان في دياره دون أن تصيب داره بأي أذى كما ذكر القرآن الكريم؟

(فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ).

لم تكن الرجفة التي مات عن طريقها قوم مدين والتي تحدث عنها القرآن هي زلزالا

وإنما كانت نتيجة تأثير الرنين الناتج عن الموجات تحت الصوتية في أعضاء الجسم

والتي تتسبب بارتجاف بعض الأعضاء الداخلية للإنسان.

والدليل على ذلك أن هذه الرجفة لم تؤثر على المباني وإنما فقط على الإنسان.

وما يمكن أن يدلنا على ذلك هو الاستخدام الحديث لبعض

الأسلحة الفتاكة والتي تعتمد على الموجات تحت الصوتية

والتي يبلغ ترددها (7 هيرتز) مع درجة شدة معينة من الديسيبلز

فإنها تولد ذبذبة مماثلة لدرجة ذبذبة الموجات الصوتية،

نتيجة للرنين،

و لهذا تصاب الأعضاء بالرجفة التي تؤدي بدورها إلى انفجار

العضو الداخلي لجسم الإنسان

{ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ }

[هود:65]

قوم ثمود وقوم مدين قضاوا بالصيحة
و لكن السؤال لماذا أماتهم الله تعالى في وقت الصباح؟
و ما التفسير العلمي لذلك؟

عند التعرض الطويل للموجات تحت الصوتية
فإن هذه الموجات - غير المسموعة - التي- يشعر بها الجسم فقط
- تسبب حالة من الشعور بالضييق والضغط الشديد تؤدي إلى إفراز
هرمون الكورتيزول (cortisol) في الجسم.
وهذا أمر معروف طبياً.

وكذلك التعرض أثناء النوم لموجات تحت صوتية يؤدي إلى
ارتجاف بعض أعضاء الجسم كالمعدة أو القلب
ويحفز الجسم على إنتاج هرمون الكورتيزول.
فما تأثير إنتاج الكورتيزول على الجسم؟
إنَّ هرمون الكورتيزول الذي يفرز عن طريق الغدد المجاورة
للكلية- يلعب دوراً مهماً ورئيسياً في تهيئة الجسم لمقاومة
الضغوطات.

فهو يرفع ضغط الدم ويرفع مستوى السكر في الدم أيضاً،
وذلك ليزود الجسم بالطاقة اللازمة لمواجهة الحالات الطارئة.
إلا أنه في حالة التعرض للضغوطات لمدة طويلة
فإنَّ إنتاج هرمون الكورتيزول (cortisol)
يزداد مما يؤدي إلى إضعاف جهاز المناعة،
والإصابة بارتفاع ضغط الدم أو تجلط الدماغ أو إضعاف عمل
الغدد الصماء،

وكل هذه الأعضاء أساسية لاستمرار الحياة.

و النتيجة هي أن زيادة إنتاج هرمون الكورتيزول يؤدي إلى الوفاة. هرمون الكورتيزول تقوم بإفرازه الغدة الأدرينالية في جسم الإنسان،

و يسمى أيضاً هرمون الضغط لأنه ينشأ عن الضغط النفسي و يسبب ارتفاع في ضغط الدم والسكري ويخفّض مناعة الجسم. ولكن لماذا كان تأثير الموجات تحت الصوتية شديد في الساعات الأولى من الصباح ؟

لأنه في ذلك الوقت يكون إفراز هرمون الكورتيزول في أعلى مستوى له.

فإذا تم تحفيز إنتاج هذا الهرمون في هذا الوقت من الصباح فإنه يؤدي إلى تخريب الإنتاج الطبيعي لهرمون الكورتيزول بأسوء طريقة ممكنة ذلك لأنّ النائم يتلقى الموجات تحت الصوتية على أنها شيء يهدد الإنسان،

فترتفع نسبة إنتاج الكورتيزول في الجسم. إلّا أنّ هذه المادة لا يستخدمها الجسم لأنّ الإنسان نائم، فتبقى في الجسم مسببة تخريباً في عمل أعضاءه.

وهذا هو التفسير العلمي لموت الأقوام ثمود ومدين بالصيحة "مصبحين" .

ولكن ماهي المدة الزمنية التي يلزم تعرّض النائم لها لتحصل الوفاة؟

إنَّ الأبحاث العسكرية السرية لا زالت تقوم بتجارب في ذلك الشأن لاستخدام الموجات تحت الصوتية كسلاح قتل أو تعذيب .
 في موضوع نشر حول هذا الموضوع يوصف المتعرض للموجات تحت الصوتية بأن لونه يصبح مخضراً كلون العشب الأخضر.
 3. المقالة عن سلاح الصوت مأخوذة من موقع : [الرابط](#)

{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ }

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِي إِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾

{ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِي }

لوطا عليه السلام حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له
 و نهاهم عن الشرك و الفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين،
 فكذبوه و استمروا على شركهم و قبائحهم،
 حتى إن الملائكة الذين جاءوه بصورة أضياف حين سمع بهم قوم لوط،
 جاؤوهم مسرعين، يريدون إيقاع الفاحشة فيهم، لعنهم الله و قبحهم، و راودوه
 عنهم،

فأمر الله جبريل عليه السلام فطمس أعينهم بجناحه و أنذرهم نبيهم بطشة الله

{ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ }

*** يَقُولُ تَعَالَى مُخْرِجًا عَنْ قَوْمِ لُوطٍ كَيْفَ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ وَ خَالَفُوهُ،
وَ ارْتَكَبُوا الْمَكْرُوهَ مِنْ إِيْتَانِ الذُّكُورِ،
وَ هِيَ الْفَاحِشَةُ الَّتِي لَمْ يَسْبِقْهُمْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ؛
وَ لِهَذَا أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ هَلَاكًا لَمْ يَهْلِكْهُ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ،
فَإِنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ،
فَحَمَلَ مَدَائِنَهُمْ حَتَّى وَصَلَ بِهَا إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ،
ثُمَّ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ وَ أَرْسَلَهَا،
وَ اتَّبَعَتْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ مَنْضُودٍ؛

وَ لِهَذَا قَالَ هَاهُنَا. { إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا }
وَ هِيَ: الْحِجَارَةُ،

{ إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ }

أَي: خَرَجُوا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَنَجَّوْا مِمَّا أَصَابَ قَوْمَهُمْ،
وَلَمْ يُؤْمِنْ بِلُوطٍ مِنْ قَوْمِهِ أَحَدٌ وَلَا رَجُلٌ وَاحِدٌ حَتَّى وَ لَأَ امْرَأَتُهُ،
أَصَابَهَا مَا أَصَابَ قَوْمَهَا،
وَ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ لُوطٌ وَ بَنَاتُ لَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ سَالِمًا لَمْ يَمَسَّهُ
سُوءٌ؛

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

{ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا }

أَيُّ: وَ لَقَدْ كَانَ قَبْلَ حُلُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ قَدْ أَنْذَرَهُمْ بِأَسِّ اللَّهِ
وَعَذَابِهِ، فَمَا التَفَتُوا إِلَى ذَلِكَ، وَلَا أَصْغَوْا إِلَيْهِ،

{فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ}

زبدة: شكوا في الانذار و لم يصدقوه

{وَلَقَدْ رَدُّوهُ عَنْ ضَيْفِهِ، فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذْرِي}

و ذَلِكَ لَيْلَةٌ وَرَدَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ: جَبْرِيلُ، وَمِيكَائِيلُ، وَإِسْرَافِيلُ
فِي صُورَةِ شَبَابٍ مُرْدٍ حَسَانَ مُحَنَّةٍ مِنَ اللَّهِ بِهِمْ،
فَأَضَافَهُمْ لُوطٌ عليه السلام

و بَعَثَتْ أَمْرَأَتُهُ الْعَجُوزُ السَّوْءُ إِلَى قَوْمِهَا،
فَاعْلَمَتَهُمْ بِأَضْيَافِ لُوطٍ، فَأَقْبَلُوا يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ،
فَأَغْلَقَ لُوطٌ دُونَهُمُ الْبَابَ،
فَجَعَلُوا يُحَاوِلُونَ كَسْرَ الْبَابِ، وَ ذَلِكَ عَشِيَّةً، وَ لُوطٌ، عليه السلام يُدَافِعُهُمْ
وَ يُمَانِعُهُمْ دُونَ أَضْيَافِهِ،

وَ يَقُولُ لَهُمْ: **{هَؤُلَاءِ بَنَاتِي}** يَعْنِي: نِسَاءَهُمْ،

{إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} [الحجر 71]

{قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ}

أَيُّ: لَيْسَ لَنَا فِيهِنَّ أَرْبٌ،

{وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ} [هو 79]

فَلَمَّا اشْتَدَّ الْحَالُ وَ أَبَوْا إِلَّا الدُّخُولَ،
خَرَجَ عَلَيْهِمْ جَبْرِيلُ، عليه السلام فَضَرَبَ أَعْيُنَهُمْ بِطَرَفِ جَنَاحِهِ،
فَانْطَمَسَتْ أَعْيُنُهُمْ. يُقَالُ: إِنَّهَا غَارَتْ مِنْ وَجْهِهِمْ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمْ تَبْقَ لَهُمْ عِيُونٌ بِالْكُلْيَةِ، فَارْجِعُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ
يَتَحَسَّسُونَ بِالنَّحِيطَانِ، وَيَتَوَعَّدُونَ لُوطًا، الطَّيِّفَاتِ إِلَى الصَّبَاحِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ}

أَي: لَأَمْحِيدَ لَهُمْ عَنْهُ، وَلَأَنْفِكَاهُمْ مِنْهُ،

*الزبدية: اتاهم صباحا عذاب مستقر نازل عليهم لا يفارقهم و لا
ينفك عنهم

○ قلب الله عليهم ديارهم،

○ وجعل أسفلها أعلاها،

○ وتبعهم بحجارة من سجيل منضود، مسومة عند ربك للمسرفين،

و نجي الله لوطا و أهله من الكرب العظيم،

جزاء لهم على شكرهم لربهم، و عبادته وحده لا شريك له.

{فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ .}

*جاء في موقع الاعجاز العلمي

عذاب قوم لوط بالصيحة:

قال تعالى في سورة الحجر:

(وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ* قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ* وَاتَّقُوا

اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ* قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ* قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ

فَاعِلِينَ* لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ* فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ *

فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ

تشير هذه الآيات إلى أن الصيحة التي قضت على قوم لوط كانت
مترافقة مع زلزال كبير وبركان قوي،
فكانت الحمم البركانية تخرج من باطن
ثم تهبط عليها كالمطر على قوم لوط الذين كانوا يسكنون
منطقة (سديم) في الأردن.

و تشير الآيات السابقة إلى أن قوم لوط جاءتهم الصيحة
"مشرقين" أي في ساعات الصبح الأولى.
ويمكننا التساؤل عما إذا كان موت لوط الفعلي بالصيحة والرجفة
أولاً ثم بالبراكين والزلازل لأن الله تعالى أراد أن لا يبقى لهم
أثراً.

ويؤكد هذا عالم الآثار الألماني وورنر كيلر
(Werner Keller) قائلاً:

"خاص وادي سديم الذي يتضمن (سدوم) و(عامورا) مع الشق
العظيم، الذي يمر في هذه المنطقة، إلى أعماق سحيقة في يوم
واحد،

قال إن هذا الدمار حدث بفعل هزة أرضية عنيفة صاحبته عدة
انفجارات وأضواء نتج عنها غاز طبيعي وحريق شامل تحررت معه
القوى البركانية التي كانت هامة في الأعماق على طول الصدع
في ذلك الغور.

أما قوله تعالى: (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنصُودٍ)

فيمكن أن يعني حدوث انفجار بركاني على ضفتي بحيرة لوط، و لهذا كانت الحجارة التي انطلقت (من سجيل)

و عن ذلك يقول وورنر كيلر أيضاً في كتابه :

تحررت القوى البركانية التي كانت هامة في الأعماق على طول الصدع من ذلك الغور،

و لا تزال فوهات البراكين الخامدة تبدو ظاهرة في الوادي العلوي من الضفة الغربية،

بينما تترسب هنا الحمم البركانية و تتوضع طبقات عميقة من البازلت على مساحة واسعة من السطح الكلسي."

وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارًا كُفِّرُوا
مِنْ أَوْلِيَائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴿٤٤﴾ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ
الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾
يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

{وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ}

أي: فرعون و قومه

{النَّذِيرُ}

فأرسل الله إليهم موسى الكليم، و أيدته بالآيات الباهرات،

و المعجزات القاهرة

و أشهدهم من العبر ما لم يشهد عليه أحدا غيرهم

(كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا)

فكذبوا بآيات الله كلها،

(فَاَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْنَدِرٌ)

فأغرقهم في اليم هو و جنوده

و المراد من ذكر هذه القصص تحذير الناس و المكذبين لمحمد ﷺ،

و لهذا قال: **{ أَكْفَارُكُمْ }**

***كفار قريش - هؤلاء الذين كذبوا أفضل الرسل،

(خَيْرٌ مِّنْ أَوْلَئِكَ)

خير من أولئك المكذبين، الذين ذكر الله هلاكهم و ما جرى عليهم؟

فإن كانوا خيرا منهم، أمكن أن ينجوا من العذاب،

و لم يصيبهم ما أصاب أولئك الأشرار،

و ليس الأمر كذلك، فإنهم إن لم يكونوا شرا منهم، فليسوا بخير منهم،

{ أَمَرَ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ }

أي: أم أعطاكم الله عهدا و ميثاقا في الكتب التي أنزلها على الأنبياء،

فتعتقدون حينئذ أنكم الناجون بإخبار الله و وعده؟

و هذا غير واقع، بل غير ممكن عقلا و شرعا،

أن تكتب براءتهم في الكتب الإلهية المتضمنة للعدل والحكمة،
فليس من الحكمة نجاة أمثال هؤلاء المعاندين المكذبين،
لأفضل الرسل و أكرمهم على الله،
فلم يبق إلا أن يكون بهم قوة ينتصرون بها،
فأخبر تعالى أنهم يقولون:

{ أَمْرُ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ }

قال تعالى مبينا لضعفهم، و أنهم مهزومون:

{ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّفُ الدُّبُرَ }

فوقع كما أخبر، هزم الله جمعهم الأكبر يوم بدر،
و قتل من صناديدهم و كبرائهم ما ذلوا به
و نصر الله دينه ونبيه و حزبه المؤمنين.

و مع ذلك، فلهم موعد يجمع به أولهم و آخرهم،
و من أصيب في الدنيا منهم، و من متع بلذاته،

***صحيح البخاري -4875

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:-
وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْرٍ:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَنشُدُكَ عَهْدَكَ وَ وَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِن تَشَأْ لَا تُعَبِّدَ بَعْدَ الْيَوْمِ»
فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ:

حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، وَهُوَ يَثْبُ فِي الدَّرْعِ،

فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر: 45]

و لهذا قال:

{بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ}

الذي يحازون به، و يؤخذ منهم الحق بالقسط،

{وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ}

أي: أعظم و أشق، و أكبر من كل ما يتوهم، أو يدور بالبال.

***صحيح البخاري-4876

يُوسُفُ بْنُ مَاهَكٍ، قَالَ: إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ:
" لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ مَكَّةَ وَإِنِّي لَجَارِيَةُ أَلْعَبُ،

{بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ} [القمر: 46] ()

{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ}

أي: الذين أكثروا من فعل الجرائم،

و هي الذنوب العظيمة من الشرك و غيره، من المعاصي

(لجارية) حديثه السن.

(الساعة) يوم القيامة.

(موعدهم) موعد عذابهم.

(والساعة) أي عذابها.

(أذهى) أشد وأفظع.

(أمر) أعظم بلية وأشد مرارة من الهزيمة والقتل والأسر في الدنيا.

{ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرِ }

أي: هم ضالون في الدنيا،

ضلال عن العلم،

و ضلال عن العمل،

الذي ينجيهم من العذاب، و يوم القيامة في العذاب الأليم،

و النار التي تتسعر بهم، و تشتعل في أجسامهم، حتى تبلغ أفئدتهم.

{ يَوْمَ يُسَجَّوْنَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ }

التي هي أشرف ما بهم من الأعضاء،

و ألمها أشد من ألم غيرها، فيهانون بذلك و يخزون

و يقال لهم: { ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ }

أي: ذوقوا ألم النار و أسفها و غيظها و لهبها.

* جاء في الصحيح المسند من اسباب النزول:

صحيح مسلم 2656

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:

جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يَخَاصِمُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْقَدَرِ،
فَنَزَلَتْ

{يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ* إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ
بِقَدَرٍ} [القمر 49] (□)

{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}

و هذا شامل للمخلوقات و العوالم العلوية و السفلية،
أن الله تعالى وحده خلقها لا خالق لها سواه، و لا مشارك له في خلقها .
و خلقها بقضاء سبق به علمه، و جرى به قلمه، بوقتها و مقدارها،
و جميع ما اشتملت عليه من الأوصاف، و ذلك على الله يسير،
***كقوله {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: 2]

{سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى}
[الأعلى: 1 - 3]

أَيُّ: قَدَّرَ قَدَرًا، وَ هَدَى الْخَلَائِقَ إِلَيْهِ؛
و لِهَذَا يَسْتَدِلُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أُمَّةُ السُّنَّةِ عَلَى إِثْبَاتِ قَدَرِ اللَّهِ السَّابِقِ
لِخَلْقِهِ،
وَ هُوَ عِلْمُهُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا وَكِتَابَتُهُ لَهَا قَبْلَ بُرْئِهَا،
وَ رَدُّوا بِهَذِهِ الْآيَةِ وَمِمَّا شَاكَلَهَا مِنَ الْآيَاتِ،
وَ مَا وَرَدَ فِي مَعْنَاهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الثَّابِتَاتِ عَلَى الْفِرْقَةِ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ نَبَغُوا
فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ

(بقدر) المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ما قدره الله وقضاه وسبق به علمه
وإرادته وفي هذه الآية الكريمة والحديث تصريح بإثبات القدر وأنه عام في كل شئ
فكل ذلك مقدر في الأزل معلوم لله مراد له

(2664) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَ فِي كُلِّ خَيْرٍ احْرَضَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَ اسْتَعَنَ بِاللَّهِ وَ لَا تَعْجَزْ، وَ إِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَ لَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَ مَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» ()

سنن الترمذي - 2516

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَ إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ،

(المؤمن القوي خير) المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد وأسرع خروجا إليه وذهابا في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك

(وفي كل خير) معناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات

(احرص على ما ينفعك) معناه احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب [الإعانة]

وَاعْلَمَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ
قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ،

وَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ
عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَ جَفَّتِ الصُّحُفُ.

صحيح مسلم-2653

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ:
" كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ
سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ()

(كتب الله مقادير الخلائق) قال العلماء المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره
لا أصل التقدير فإن ذلك أزلي لا أول له
(وعرشه على الماء) أي قبل خلق السموات والأرض]

وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا الْوَاحِدَةَ كَلِمَتٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ
 مَذْكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ
 الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ ﴿٥٥﴾

سورة الرحمن - و هي مكية - بسم الله الرحمن الرحيم

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ
 وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾
 أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾
 وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَكِكْهُمُ وَالنَّخْلَ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو
 الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آيَاءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ
 صَلَصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٥﴾
 فَبِأَيِّ آيَاءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

{وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا الْوَاحِدَةَ كَلِمَتٍ بِالْبَصَرِ }

فإذا أراد شيئاً قال له كن فيكون كما أراد، كلمح البصر،
 من غير ممانعة و لا صعوبة.

{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ }

***امثالكم و سلفكم

— من الأمم السابقين الذين عملوا كما عملتم، و كذبوا كما كذبتم

{ فَهَلْ مِنْ مَّدَكِرٍ }

أي: متذكر يعلم أن سنة الله في الأولين و الآخرين واحدة،
و أن حكمته كما اقتضت إهلاك أولئك الأشرار،
فإن هؤلاء مثلهم، و لا فرق بين الفريقين.

***كقوله { وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ

كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ } [سبأ: 54]

{ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ }

أي: كل ما فعلوه من خير و شر مكتوب عليهم في الكتب القدريّة
***مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة

{ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ }

أي: مسطر مكتوب

***لا يغادر صغيرة و لا كبيرة

و هذا حقيقة القضاء و القدر، و أن جميع الأشياء كلها، قد علمها الله تعالى،
و سطرها عنده في اللوح المحفوظ، فما شاء الله كان، و ما لم يشأ لم يكن،
فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، و ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

{ إِنَّ الْتَقِينَ }

لله، بفعل أوامره و ترك نواهيه، الذين اتقوا الشرك و الكبائر و الصغائر.

{ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ }

أي: في جنات النعيم، التي فيها ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت،
و لا خطر على قلب بشر، —من:—

1-الأشجار اليانعة،

2-و الأنهار الجارية،

3-و القصور الرفيعة،

4-و المنازل الأنيقة،

5-و المآكل و المشارب اللذيذة،

6-و الحور الحسنان،

7-و الروضات البهية في الجنان

8-و رضوان الملك الديان، و الفوز بقره،

***بعكس ما عليه الأشقياء فيه من الضلال و السعر و السحب في النار
علي وجوههم مع التوبيخ و التقريع و التهديد

و لهذا قال: { فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ }

***في دَارِ كَرَامَةِ اللَّهِ وَ رِضْوَانِهِ وَ فَضْلِهِ، وَ امْتِنَانِهِ وَ جُودِهِ وَ إِحْسَانِهِ

{ عِنْدَ مَلِيكَ }

***عِنْدَ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ الْخَالِقِ لِلْأَشْيَاءِ كُلِّهَا وَ مُقَدِّرَهَا،

(مُقْتَدِرٍ)

وَهُوَ مُقْتَدِرٌ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ مِمَّا يَطْلُبُونَ وَيُرِيدُونَ

{عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ}

فلا تسأل بعد هذا عما يعطيهم ربهم من كرامته و جوده،
و يمد هم به من إحسانه و منته، جعلنا الله منهم،
و لا حرمننا خير ما عنده بشر ما عندنا.

تفسير سورة الرحمن-وهي مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④ الشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ⑤ وَالتَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ⑥ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ⑦
أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ⑧ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ⑨
وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ⑩ فِيهَا فَكْهَةٌ وَالتَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ⑪ وَالْحَبُّ ذُو
الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ⑫ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ⑬

هذه السورة الكريمة الجليلة، افتتحها باسمه

{الرَّحْمَنُ}

الدال على سعة رحمته، و عموم إحسانه، و جزيل بره، و واسع فضله،
○ ثم ذكر ما يدل على رحمته و أثرها الذي أوصله الله إلى عباده من النعم
الدينية و الدنيوية و الآخروية

و بعد كل جنس و نوع من نعمه، ينبه الثقلين لشكره، و يقول:

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} .

فذكر أنه {عَلَّمَ الْقُرْآنَ}

أي: علم عباده ألفاظه و معانيه،

و يسرها على عباده، و هذا أعظم منة و رحمة رحم بها عباده،

حيث أنزل عليهم قرآنا عربيا بأحسن ألفاظ، و أحسن تفسير،

مشمتمل على كل خير، زاجر عن كل شر.

{خَلَقَ الْإِنْسَانَ}

في أحسن تقويم، كامل الأعضاء، مستوفي الأجزاء،

محكم البناء، قد أتقن البديع تعالى البديع خلقه أي إتقان،

و ميزه على سائر الحيوانات.

بأن {عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}

أي: التبيين عما في ضميره،

و هذا شامل للتعليم النطقي و التعليم الخطي،

فالبيان الذي ميز الله به الآدمي على غيره من أجل نعمه، و أكبرها عليه.

{الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ}

أي: خلق الله الشمس و القمر، و سخرهما

يجريان بحساب مقنن، و تقدير مقدر، رحمة بالعباد، و عناية بهم،

و ليقوم بذلك من مصالحهم ما يقوم،
و ليعرف العباد عدد السنين و الحساب.

***كقوله: { لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي

فَلَكَ يَسْبَحُونَ } [يس: 40]

{ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ

الْعَلِيمِ } [الأنعام: 96]

{ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ }

أي: نجوم السماء، و أشجار الأرض،

تعرف ربها و تسجد له، و تطيع و تخشع

و تنقاد لما سخرها له من مصالح عبادته و منافعهم.

*{النجم}: ما لا ساق له من النبات

و { الشجر } : ما له ساق

{ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا }

سقفها للمخلوقات الأرضية،

{ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ }

أي: العدل بين العباد، في الأقوال و الأفعال،

و ليس المراد به الميزان المعروف وحده،

بل هو كما ذكرنا، يدخل فيه الميزان المعروف،

و المكيال الذي تكال به الأشياء و المقادير،
و المساحات التي تضبط بها المجهولات،

و الحقائق التي يفصل بها بين المخلوقات، و يقام بها العدل بينهم،

***كقوله {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ
يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}
[الحديد: 25]

و لهذا قال:

{أَلَا تَطْغَوْنَ فِي الْمِيزَانِ}

أي: أنزل الله الميزان، لئلا تتجاوزوا الحد في الميزان،
فإن الأمر لو كان يرجع إلى عقولكم وآرائكم،
لحصل من الخلل ما الله به عليم، و لفسدت السماوات و الأرض.

{وَأَقِمْوْا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ}

أي: اجعلوه قائما بالعدل،
الذي تصل إليه مقدرتكم و إمكانكم،

{وَلَا تَخْسِرُوا الْمِيزَانَ}

أي: لا تنقصوه و تعملوا بضده، و هو الجور و الظلم و الطغيان.

***كقوله {وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ} [الشعراء: 182]

{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}
[الإسراء: 35]

{وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا}

الله على ما كانت عليه من الكثافة و الاستقرار و اختلاف أوصافها و أحوالها
{لِلْأَنَامِ}

أي: للخلق، لكي يستقروا عليها، و تكون لهم مهادا و فراشا يبنون بها،
و يحرثون و يغرسون و يحفرون و يسلكون سبلها فجاجا، و ينتفعون بمعادنها
و جميع ما فيها، مما تدعو إليه حاجتهم، بل ضرورتهم.
ثم ذكر ما فيها من الأقوات الضرورية، فقال:

{فِيهَا فَكِهَةٌ}

و هي جميع الأشجار التي تثمر الثمرات التي يتفكه بها العباد،
من العنب و التين و الرمان و التفاح، وغير ذلك،

{وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ}

أي: ذات الوعاء الذي ينفلق عن القنوان التي تخرج شيئا فشيئا حتى تتم،
فتكون قوتا يؤكل و يدخر، يتزود منه المقيم و المسافر،
و فاكهة لذيذة من أحسن الفواكه.

*** أَفْرَدَهُ بِالذِّكْرِ لَشَرَفِهِ وَ نَفْعِهِ، رَطْبًا وَ يَابِسًا.
وَ الْأَكْمَامُ - قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هِيَ أَوْعِيَةُ الطَّلْعِ.

وَهُوَ الَّذِي يَطْلُعُ فِيهِ الْقِنُوءُ ثُمَّ يَنْشَقُّ عَنِ الْعُنُقُودِ،
فَيَكُونُ بُسْرًا ثُمَّ رُطْبًا، ثُمَّ يَنْضَجُ وَيَتَنَاهَى يَنْعُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ.

{وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ}

أي: ذو الساق الذي يداس، فينتفع بتبنيه للأنعام و غيرها،
و يدخل في ذلك حب البر و الشعير و الذرة و الأرز و الدخن، و غير ذلك،

{***{الْعَصْفِ}

وَرَقُّ الزَّرْعِ الْأَخْضَرِ الَّذِي قَطَعَ رُؤُوسَهُ، فَهُوَ يُسَمَّى الْعَصْفَ إِذَا يَبَسَ.

{وَالرِّيحَانُ}

يَحْتَمِلُ أَنْ الْمُرَادَ بِذَلِكَ جَمِيعَ الْأَرْزَاقِ الَّتِي يَأْكُلُهَا الْإِنْسَانُ،
فَيَكُونُ هَذَا مِنْ بَابِ عَطْفِ الْعَامِ عَلَى الْخَاصِّ،
وَيَكُونُ اللَّهُ قَدْ أَمَّنَ عَلَى عِبَادِهِ بِالْقَوْتِ وَ الرِّزْقِ، عَمُومًا وَ خُصُوصًا،
وَيَحْتَمِلُ أَنْ الْمُرَادَ بِالرِّيحَانِ، الرِّيحَانِ الْمَعْرُوفِ،
وَأَنَّ اللَّهَ أَمَّنَ عَلَى عِبَادِهِ بِمَا يَسِرُّهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَنْوَاعِ الرِّوَاحِ الطَّيِّبَةِ،
وَالْمَشَامِ الْفَاحِرَةِ، الَّتِي تَسِرُّ الْأَرْوَاحَ، وَ تَنْشُرُ لَهَا النِّفُوسَ.
وَلَمَّا ذَكَرَ جَمْلَةً كَثِيرَةً مِنْ نِعَمِهِ الَّتِي تَشَاهَدُ بِالْأَبْصَارِ وَ الْبَصَائِرِ،
وَ كَانَ الْخُطَابُ لِلثَّقَلَيْنِ، الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ، قَرَّرَهُمْ تَعَالَى بِنِعَمِهِ، فَقَالَ:

{فَبَايَءَ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتَكْذِبَانِ}

أي: فباي نعم الله الدينية و الدنيوية تكذبان؟

و ما أحسن جواب الجن حين تلا عليهم النبي ﷺ هذه السورة، فما مر بقوله:

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}

إلا قالوا و لا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد،

فهذا الذي ينبغي للعبد إذا تليت عليه نعم الله و آلاؤه،

أن يقر بها ويشكر، ويحمد الله عليها.

***سنن الترمذي -3291-[حكم الألباني] : حسن

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ،

فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا،

فَقَالَ: " لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةً الْجِنُّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ،

كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: 13]

قَالُوا: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نَكْذِبُ فَلَكَ الْحَمْدُ

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ

﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

و هذا من نعمه تعالى على عباده، حيث أراهم من آثار قدرته و بديع صنعته،

{ خَلَقَ الْإِنْسَانَ }

أبا الإنسان و هو آدم عليه السلام

{ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ }

أي: من طين مبلول، قد أحكم بله و أتقن، حتى جف،

فصار له صلصلة و صوت يشبه صوت الفخار الذي طبخ على النار

{ وَخَلَقَ الْجَانَّ }

أي: أبا الجن، و هو إبليس اللعين

{ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ }

***صحيح مسلم-2996

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ،

وَ خُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ،

وَ خُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»

○أي: من لهب النار الصافي، أو الذي قد خالطه الدخان

و هذا يدل على شرف عنصر الآدمي المخلوق من الطين و التراب،

الذي هو محل الرزانة و الثقل و المنافع،

بخلاف عنصر الجان و هو النار،

التي هي محل الخفة و الطيش و الشر و الفساد.

و لما بين خلق الثقلين و مادة ذلك و كان ذلك منة منه تعالى على عباده

قال: { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا
 بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالزَّيْتُونَ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ
 آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾
 سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَمْعَشَرِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ
 اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾
 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ
 آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

(رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ)

*الميسر: هو سبحانه و تعالى ربُّ مشرقِي الشمس في الشتاء

و الصيف، و رب مغربيها فيهما

أي: هو تعالى رب كل ما أشرق عليه الشمس و القمر، و الكواكب النيرة،

و كل ما غربت عليه، و كل ما كانا فيه فهي تحت تدبيره و ربوبيته،

و ثنهما هنا لإرادة العموم مشرقى الشمس شتاء و صيفا، و مغربها كذلك .

***كقوله { فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ } [المعارج: 40]

{ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا } [المزمل: 9]

و لَمَّا كَانَ فِي اخْتِلَافِ هَذِهِ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، مَصَالِحُ لِلْخَلْقِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ

قَالَ: { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ يَنْتَهُمَا بَرْخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾

يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾

المراد بالبحرين: البحر العذب، و البحر المالح، فهما يلتقيان كلاهما،
فيصب العذب في البحر المالح، و يختلطان و يمتزجان،

(يَنْتَهُمَا بَرْخٌ لَا يَبْغِيَانِ)

و لكن الله تعالى جعل بينهما برزخا من الأرض،

حتى لا يبغي أحدهما على الآخر، و يحصل النفع بكل منهما،

فالعذب منه يشربون و تشرب أشجارهم و زروعهم،

و المالح به يطيب الهواء و يتولد الحوت و السمك، و اللؤلؤ و المرجان،

و يكون مستقرا مسخرا للسفن و المراكب،

***كقوله { وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ

بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا } [الفرقان: 53]

الاعجاز العلمي من هنا

(يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ)

*كقوله { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ } [الأنعام: 130]

وَ الرُّسُلُ إِنَّمَا كَانُوا فِي الْإِنْسِ خَاصَّةً دُونَ الْجِنِّ، وَقَدْ صَحَّ هَذَا الْإِطْلَاقُ.
وَاللُّؤْلُؤُ مَعْرُوفٌ،

وَأَمَّا الْمَرْجَانُ فَقِيلَ: هُوَ صِغَارُ اللَّؤْلُؤِ.

وَقِيلَ: كِبَارُهُ وَجَيِّدُهُ.

وَقِيلَ: هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْجَوَاهِرِ أَحْمَرُ اللَّوْنِ.

قَالَ السُّدِّيُّ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:-

الْمَرْجَانُ: الْخَرَزُ الْأَحْمَرُ.

قَالَ السُّدِّيُّ وَ هُوَ الْبِسْدُ بِالْفَارِسِيَّةِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: {وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا}

[فاطر: 12]

فَاللَّحْمُ مِنْ كُلِّ مِنَ الْأُجَاجِ وَالْعَذْبِ،

وَالْحِلْيَةُ، إِنَّمَا هِيَ مِنَ الْمِلْحِ دُونَ الْعَذْبِ.

وَلَمَّا كَانَ اتِّخَاذُ هَذِهِ الْحِلْيَةِ نِعْمَةً عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، امْتَنَّ بِهَا عَلَيْهِمْ فَقَالَ:

{فَبِأَيِّ آيَةِ الْآءِ رَيْكُمْ تَكْذِبَانِ} .

و لهذا قال:

وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَيَأْتِيَهُمْ الْآلَاءُ رِيكًا تُكَذِّبَانِ

أي: و سخر تعالى لعباده السفن الجواري، التي تمخر البحر و تشقه بإذن الله،
التي ينشئها الآدميون، فتكون من كبرها و عظمها كالأعلام،
و هي الجبال العظيمة، فيركبها الناس،
و يحملون عليها أمتعتهم و أنواع تجارتهم،
و غير ذلك مما تدعو إليه حاجتهم و ضرورتهم،
و قد حفظها حافظ السماوات و الأرض،
و هذه من نعم الله الجليلة،
الاعجاز العلمي [من هنا](#)

فلذلك قال: { **فَيَأْتِيَهُمْ الْآلَاءُ رِيكًا تُكَذِّبَانِ** }

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَيَأْتِيَهُمْ الْآلَاءُ رِيكًا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾
(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)

أي: كل من على الأرض، من إنس و جن، و دواب، و سائر المخلوقات،
يفنى و يموت و يبيد

(وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ)

و يبقى الحي الذي لا يموت

***كقوله { **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** } [القصص: 88]

{ ذُو الْجَلَالِ }

أي: ذو العظمة و الكبرياء و المجد،
الذي يعظم و يبجل و يجل لأجله،

{ وَالْإِكْرَامِ }

الذي هو سعة الفضل و الجود،

و الداعي لأن يكرم أوليائه و خواص خلقه بأنواع الإكرام،

الذي يكرمه أولياؤه و يجلوئه، و يعظمونه و يحبونه، و ينيبون إليه و يعبدونه،
***هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُجَلََّ فَلَا يُعْصَى، وَ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُخَالَفُ:

كَقَوْلِهِ: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} [الْكَهْف: 28] ،

وَ كَقَوْلِهِ إِخْبَارًا عَنِ الْمُتَصَدِّقِينَ: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ} [الْإِنْسَان: 9]
وَ لَمَّا أَخْبَرَ عَنْ تَسَاوِي أَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ فِي الْوَفَاةِ،
وَ أَنَّهُمْ سَيَصِيرُونَ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ،
فَيَحْكُمُ فِيهِمْ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ قَالَ:

{ فَيَأْتِيءُ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتَاكَذِّبَانِ }

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتَاكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾

(يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

أي: هو الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، و هو واسع الجود و الكرم،

فكل الخلق مفتقرون إليه، يسألونه جميع حوائجهم، بحالهم و مقالهم
و لا يستغنون عنه طرفة عين و لا أقل من ذلك، و هو تعالى

{كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}^٤

يغني فقيرا،

و يجبر كسيرا،

و يعطي قوما،

و يمنع آخرين،

و يميت و يحيي،

و يرفع و يخفض،

لا يشغله شأن عن شأن،

و لا تغلظه المسائل،

و لا يبرمه إلحاح الملحّين،

و لا طول مسألة السائلين،

فسبحان الكريم الوهاب، الذي عمت مواهبه أهل الأرض و السماوات،

و عم لطفه جميع الخلق في كل الآنات و اللحظات،

و تعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين،

و لا استغناء الفقراء الجاهلين به و بكرمه،

و هذه الشئون التي أخبر أنه تعالى كل يوم هو في شأن،

هي تقاديره و تدابيرها التي قدرها في الأزل وقضاها،
 لا يزال تعالى يمضيها و ينفذها في أوقاتها التي اقتضته حكمته،
 و هي أحكامه الدينية التي هي الأمر و النهي، و القدريّة
 التي يجريها على عباده مدة مقامهم في هذه الدار،
 حتى إذا تمت هذه الخليقة و أفناهم الله تعالى
 و أراد تعالى أن ينفذ فيهم أحكام الجزاء،
 و يريهم من عدله و فضله و كثرة إحسانه، ما به يعرفونه و يوحدونه
 نقل المكلفين من دار الابتلاء و الامتحان إلى دار الحيوان.
 و فرغ حينئذ لتنفيذ هذه الأحكام، التي جاء وقتها، و هو المراد بقوله:

{ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ } أي:

سنفرغ لحسابكم و مجازاتكم بأعمالكم التي عملتموها في دار الدنيا.
 ***وَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ لِلْعِبَادِ، وَ لَيْسَ بِاللَّهِ شُغْلٌ وَ هُوَ فَارِغٌ.
 وَ كَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ: هَذَا وَعِيدٌ.
 وَ قَالَ قَتَادَةُ: قَدْ دَنَا مِنَ اللَّهِ فَارَغٌ لِحَلْقِهِ.
 وَ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: { سَنَفْرُغُ لَكُمْ } أَيُّ: سَنَقْضِي لَكُمْ
 وَ قَالَ الْبُخَارِيُّ: سَنَحَاسِبُكُمْ، لَا يَشْغَلُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ،
 وَ هُوَ مَعْرُوفٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ،
 يُقَالُ لِاتَّفَرَّغَنَّ لَكَ " وَ مَا بِهِ شُغْلٌ، يَقُولُ: "لَاخُذَنَّكَ عَلَى غِرَّتِكَ".

{ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ }

*** صحيح البخاري -1338

ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ،
فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ " ()

(فَيَأْيءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ)

أي: إذا جمعهم الله في موقف القيامة، أخبرهم بعجزهم و ضعفهم،
و كمال سلطانه، و نفوذ مشيئته و قدرته، فقال معجزا لهم:

يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا
تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَيَأْيءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْابٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ
فَلَا تَنْصِرَانِ (٣٥) فَيَأْيءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ (٣٦)

{ يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ }
أي: تجدون منفذا مسلكا تخرجون به عن ملك الله و سلطانه،

{ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ }

أي: لا تخرجون عنه إلا بقوة و تسلط منكم، و كمال قدرة، و أنى لهم ذلك،
و هم لا يملكون لأنفسهم نفعا و لا ضرا، و لا موتا و لا حياة و لا نشورا؟!

(بليه) من ملائكة وغيرهم.

(الثقلين) الإنس والجن سمووا بذلك لثقلهم على الأرض]

ففي ذلك الموقف لا يتكلم أحد إلا بإذنه، و لا تسمع إلا همسا،
و في ذلك الموقف يستوي الملوك و الممالك، و الرؤساء و المرءوسون،
و الأغنياء و الفقراء.

ثم ذكر ما أعد لهم في ذلك الموقف العظيم فقال:

{ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاْظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءُ رَبَّكُمَا تُكَذَّبَانِ
(يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاْظٌ مِّنْ نَّارٍ)

أي: يرسل عليكما لهب صاف من النار.

{ وَنُحَاسٌ }

و هو الذهب، الذي قد خالطه الدخان،

و المعنى أن هذين الأمرين الفظيعين يرسلان عليكما يا معشر الجن و الإنس،
و يحيطان بكما

(فَلَا تَنْصِرَانِ)

لا بناصر من أنفسكم، و لا بأحد ينصركم من دون الله.

و لما كان تخويله لعباده نعمة منه عليهم، و سوطا يسوقهم به إلى أعلى
المطالب و أشرف المواهب، امتن عليهم

فقال: { فَيَأْتِي ٱلْآءُ رَبَّكُمَا تُكَذَّبَانِ }

الاعجاز العلمي [من هنا](#)

فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رِيًّا كَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رِيًّا كَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

{ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ }

أي يوم القيامة من شدة الأهوال، وكثرة البلبال،
و ترادف الأوجال، فانخسفت شمسها وقمرها، و انتشرت نجومها،

{ فَكَانَتْ }

من شدة الخوف و الانزعاج

{ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ }

*الميسر: فإذا انشقت السماء و تظطرت يوم القيامة،

فكانت حمراء كلون الورد،

أي: كانت كالمهل ((□)) و الرصاص المذاب ونحوه

***تَذُوبٌ كَمَا يَذُوبُ الدَّرْدِيُّ وَالْفِضَّةُ فِي السَّبْكِ،

وَ تَتَلَوْنَ كَمَا تَتَلَوْنَ الْأَصْبَاغُ الَّتِي يَذْهَنُ بِهَا،

فَتَارَةً حَمْرَاءَ وَ صَفْرَاءَ وَ زَرْقَاءَ وَ خَضْرَاءَ،

وَ ذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ وَ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْعَظِيمِ

الاعجاز العلمي [من هنا](#)

{ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رِيًّا كَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ }

*الميسر: ففي ذلك اليوم لا تسأل الملائكة المجرمين من الإنس
و الجن عن ذنوبهم.

***كقوله { هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ (35) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ }

[المرسلات: 35، 36]

فَهَذَا فِي حَالٍ، وَ ثَمَّ حَالٌ يُسْأَلُ الْخَلَائِقُ فِيهَا عَنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{قَوْرَبِكَ لِنَسْأَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الحجر: 92، 93] ؛
وَ لِهَذِهِ قَالَ قَتَادَةُ:

{فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ}

قَالَ: قَدْ كَانَتْ مَسْأَلَةٌ، ثُمَّ خُتِمَ عَلَى أَفْوَاهِ الْقَوْمِ،
وَ تَكَلَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَا يَسْأَلُهُمْ:
هَلْ عَمِلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟

لِأَنَّهُ أَعْلَمَ بِذَلِكَ مِنْهُمْ،
وَ لَكِنْ يَقُولُ: لِمَ عَمِلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ فَهُوَ قَوْلٌ ثَانٍ.
وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ:

لَا يَسْأَلُ الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْمُجْرِمِ، يُعْرِفُونَ بِسِيمَاهُمْ.
وَ هَذَا قَوْلٌ ثَالِثٌ.

وَ كَانَ هَذَا بَعْدَ مَا يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ،
فَذَلِكَ الْوَقْتُ لَا يُسْأَلُونَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ،
بَلْ يُقَادُونَ إِلَيْهَا وَ يُلْقَوْنَ فِيهَا،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ}

أَيُّ بَعَلَامَاتٍ تَظْهَرُ عَلَيْهِمْ.
وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: يَعْرِفُونَهُمْ بِأَسْوَدَادِ الْوُجُوهِ وَ زُرْقَةِ الْعُيُونِ.
قُلْتُ: وَ هَذَا كَمَا يُعْرِفُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْغُرَّةِ وَ التَّحْجِيلِ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ.
أي: سؤال استعلام بما وقع،

لأنه تعالى عالم الغيب و الشهادة و الماضي و المستقبل،
و يريد أن يجازي العباد بما علمه من أحوالهم،
و قد جعل لأهل الخير و الشر يوم القيامة علامات يعرفون بها،
كما قال تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ}

* بقلم عبد الدائم الكحيل

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ الْعُودَةَ

لقد أكد القرآن على وجود اختلافات واضحة بين بحار الدنيا،
ووجود حواجز مائية بينها وعدم طغيان هذه البحار على بعضها
على الرغم من اختلاطها،

و هذا ما تحدث عنه القرآن، لنقرأ.....

كلنا يعلم وحتى المنكرون لكلام الله تعالى أن الرسول الأعظم
عليه الصلاة والسلام لم يركب البحر ولا مرة واحدة في حياته،
فهل يُعقل أن يصف لنا بدقة وجود برزخ وحاجز يفصل بين البحار
المختلفة، لو لم يكن رسولا من عند الله تعالى؟

لقد تحدث القرآن عن الحاجز بين البحرين، يقول تعالى:

(مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) [الرحمن 2019].

إنه حديث عن بحرین مالحین والدلیل على ذلك أن الآية التالية التي تصف هذين البحرین هي:

(يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالْمَرْجَانُ) [الرحمن 22]،

وكما نعلم المرجان لا يعيش إلا في البحار المالحة. وقد ثبت علمياً أن بحار العالم تختلف من حيث تركيب مياهها، فلكل بحر خصائص فيزيائية تختلف عن البحر الذي بجانبه من حيث درجة الحرارة والملوحة والكثافة وغير ذلك، حتى نوعية الكائنات الحية في هذا البحر تختلف عن تلك التي تعيش في البحر الآخر.

بل أثبت العلم بشكل قاطع أنه لا توجد قطرة ماء في العالم تشبه القطرة الأخرى تماماً، الاختلافات دائمة، وهذه صفة وضعها الله تعالى في مخلوقاته ليتفرد بالوحدانية هو سبحانه وتعالى.

وقد التقطت الأقمار الاصطناعية حديثاً صوراً لجميع البحار على الكرة الأرضية،

وبيّنت وجود حواجز مائية بين هذه البحار.

هذه الحواجز تشكل جدراناً منيعة من القوى الميكانيكية تفصل بين البحار فلا يطغى هذا على ذلك.

تظهر الصور الملتقطة بالأقمار الاصطناعية تمايزاً واضحاً بين بحار الدنيا،

فلكل بحر خصائص وميزات يختلف فيها عن غيره،

فمثلاً نوعية المياه في البحر الأبيض المتوسط تختلف عن مياه المحيط الأطلسي، ونوعية الأسماك تختلف، ودرجة الحرارة والملوحة والكثافة والأمواج وغير ذلك، سبحانه الله على الرغم من هذا الاختلاف وعلى الرغم من مرور ملايين السنين لا يطفئ هذا البحر على ذاك، فسبحان الله!

ونتساءل: من كان يعلم بوجود مثل هذه الحواجز بين البحار؟ إنها معجزة تستحق التبصر والتفكر في آيات المولى سبحانه وتعالى علنا نزداد إيماناً بعظمة هذا الخالق الكريم.

*جاء في موقع الاعجاز العلمي العودة

كيف تتم عملية طفو السفينة؟

إذا كان وزن جسم السفينة أقل من وزن الماء المزاح بحجم القسم المغمور منها في الماء فإن كثافة الجسم أقل من كثافة الماء المحيط، وبالتالي فإن السفينة ستطفو إلى أن يصبح وزن السفينة مساوياً لوزن الماء المزاح. ذلك بسبب أن القوة الناشئة من وزن السفينة أقل من قوة رد فعل الماء الممانعة لها فتطفو على سطح الماء.

أما إذا كان وزن السفينة أكبر من وزن الماء المزاح الناتج عن المساحة المغمورة من السفينة، فإن كثافة السفينة سوف تصبح أكبر من كثافة الماء مما يؤدي إلى غرق الجسم في الماء المحيط بسبب أن قوة وزن السفينة أصبحت أكبر من قوة رد فعل الماء الممانعة لغمر جسم السفينة غير القابل للذوبان أو الانتشار.

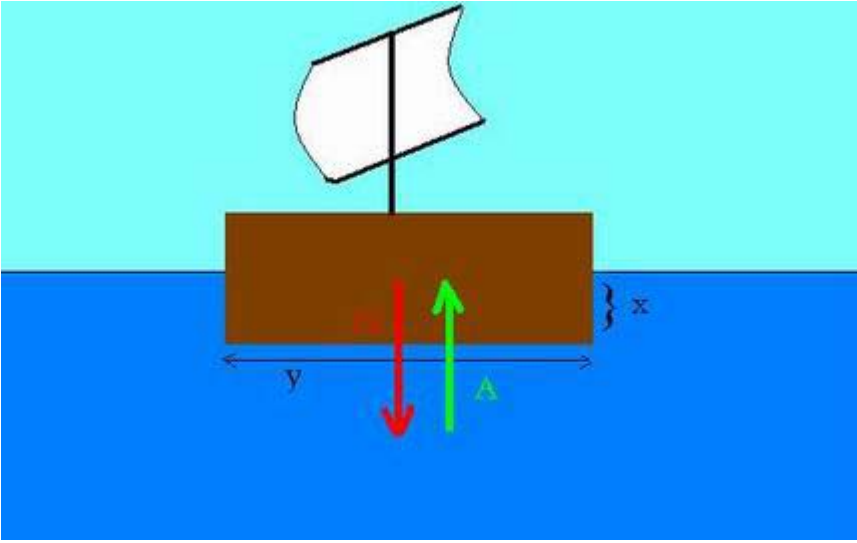
أما إذا كانت السفينة مصنوعة من مادة ذات كثافة أعلى من الماء، مثل الحديد فإنه باستطاعتها الطفو في حال كان لها شكل مناسب بحيث تحتفظ بحجم كافٍ من الهواء فوق سطحها، وفي تلك الحالة، فإن معدل كثافة السفينة، متضمنة الحديد والهواء، سوف تصبح أقل من كثافة السائل وبالتالي فإنها تطفو.

توازن السفينة

أما قانون التوازن فيقضي بأن السفينة يجب أن تتوازن في الماء لكي لا تنقلب. وهناك حالات للتوازن تدرس في ميكانيك السوائل، وقد استغرق اكتشاف قوانين هندسة السفن أكثر من مئة سنة! وتبين بأن هناك قوانين دقيقة جداً تتحكم في السفينة أثناء رحلتها.

فتصميم السفينة له دور كبير في توازنها وتحملها للمفاجآت. وكذلك نوع المعدن الذي تصنع منه السفينة له دور مهم أيضاً، وهناك دور للمحركات وقدرتها على تحمل الأوزان وقدرتها على مواجهة الأمواج.

إذن بعد أن تمكن الإنسان من اكتشاف هذه الظواهر ووضع القوانين العلمية لها تم بناء السفن العملاقة والتي يصل ارتفاع بعضها إلى عشرات الأمتار كسفن نقل المسافرين والتي تزيد على عشرة طوابق والتي تشبه الجبال حجماً، وبواخر الشحن العملاقة التي تقوم بنقل النفط وحاملات الطائرات.



شكل (2) رسم لسفينة مبسطة يوضح كيف أن القوة التي تمارسها السفينة على الماء بفعل وزنها يقابلها قوة رد فعل من الماء وتسمى قوة أرخميدس، والقوتان متساويتان ولذلك تبقى السفينة في حالة توازن ولا تنقلب.

الآن نستعرض هذه القوانين التي سخرها الله لتحفظ توازن السفن على ظهر الماء.

حجم الماء الذي يزيحه القارب هو $V=x*y*i$

(هذا إذا اعتبرنا أن القارب هو مكعب الشكل).

وفي حالة انعدام ذلك يجب استعمال عملية التكامل لحساب حجم السفينة وإذا ضربنا هذا الحجم بكثافة الماء فإننا سوف نحصل على وزن الماء $M_w = \rho \cdot V$

وبضرب وزن الماء بثابت الجاذبية والذي يساوي: $g = 9.81$ متراً على مربع الثانية، فإننا نحصل على القوة الممارسة من الماء على السفينة أي القوة المرموز لها بـ A في الصورة و هي قوة من الأسفل للأعلى أما القوة G فهي القوة الممارسة من الزورق على الماء. و إذا كانت A تساوي G فإن السفينة تطفو فوق الماء أما إن لم يكن ذلك أي في حالة A أصغر من G فإن السفينة تغرق

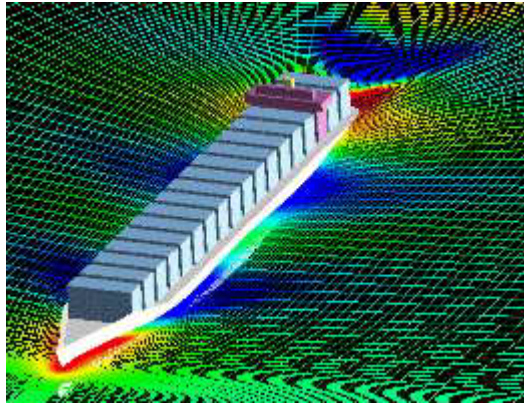
Y : طول جزء السفينة المغموس في الماء

I : عرض جزء السفينة المغموس في الماء

X : ارتفاع جزء السفينة المغموس في الماء

ρ : كثافة الماء أو السائل

A : قوة الطفو



شكل (4) يستخدم العلماء اليوم الطرائق الرقمية المعقدة في تصميم السفن، وبالتالي هنالك مجموعات شديدة التعقيد من المعادلات والقوانين التي يستخدمها هؤلاء العلماء لإنجاح تصميماتهم. هذه القوانين سخرها الله تعالى لنا لنتمكن من تصميم ناجح للسفن.

بالتأكيد كان لفهم هذه الظواهر العلمية بشكل دقيق أبلغ الأثر في التطور التكنولوجي والطفرة العلمية والاقتصادية التي نشهدها، بسبب أجور النقل المنخفضة التي توفرها السفن بالمقارنة مع وسائل النقل الأخرى، ويحضرني قوله تعالى:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ [الحج:65].

فإذا رجعنا إلى معنا كلمة (سَخَّرَ) في القاموس المحيط للفيروز أبادي نجده يقول: "سَخَّرَهُ تَسْخِيرًا: ذَلَّلَهُ، وَكَفَّلَهُ عَمَلًا بِلَا أَجْرٍ. وَ(الْفُلْكَ):السفينة". فالله تعالى قد ذلل لنا ما في الأرض من بحار ومياه وقوانين، ومنها السفن



شكل (5) سفينة ضخمة للركاب و شحن البضائع وتضم العديد من الطوابق ومئات الغرف، وكأننا أمام مدينة مصغرة، فسبحان الذي سخر لنا هذه الوسائل المريحة والرخيصة، إنها رحمة الله تعالى.

دور الرياح

لقد سخر الله لهذه السفن رياحاً تحركها لتجري، ولولا حركة الرياح لبقيت السفن ساكنة على ظهر الماء وهذه نعمة من الله تعالى القائل:

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ

الْأَنْهَارَ (32) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
(33) وَأَتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَظَلُومٌ كَفَّارٌ [إبراهيم: 34-32].

وقفه إيمانية

أخي القارئ فكّر معي للحظة! هل هذه القوانين التي أودعها الله تعالى في المياه والتي يسرت للسفن الجريان على سطحها كانت بمحض المصادفة أم كانت بتقدير عليم خبير عالم بها وعالم بوظيفتها؟

أما وجه الإعجاز في الآيات:

هو الإشارة إلى ظاهرة مهمة جدا وهي جريان السفن الضخمة على سطح الماء، وعدم غرقها برغم الحمولة الهائلة على ظهرها، والتنبيه أن هذا الجريان إنما هو آية دالة على الله تعالى ومنّة منه سبحانه.

(اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [الجاثية: 12].

*جاء في موسوعة الاعجاز العلمي العودة

ثبت حتي الآن ضخامة المجهودات والطاقات المطلوبة للنفاذ من نطاق جاذبية الأرض، وحيث اقتضي النجاح الجزئي في زيادة الفضاء — لمدة محددة جدا بالنسبة لعظم الكون — بذل الكثير من الجهود العلمية الضخمة في شتي الميادين... فضلا عن التكاليف المادية الخيالية التي انفقت في ذلك ومازالت تنفق، ويدل ذلك دلالة قاطعة علي ان النفاذ المطلق من اقطار السماوات والأرض التي تبلغ ملايين السنين الضوئية للإنس أو جن مستحيل.

والنحاس هو فلز يعتبر من أول العناصر الفلزية التي عرفها الإنسان..

ويتميز بأن درجة انصهاره مرتفعة جدا نحو 1083 درجة مئوية) فإذا ما صب هذا السائل الملتهب علي جسد، مثل ذلك صنفا من اقسي أنواع العذاب ألما وأشدّها أثرا.

الدلالة العلمية لقول الحق (تبارك وتعالى):

يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان* فبأي آلاء ربكما تكذبان* يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران* (الرحمن 33-35):

هذه الآيات الثلاث التي تحدي القرآن الكريم فيها كلا من الجن والإنسن تحديا صريحا بعجزهم عن النفاذ من أقطار السماوات والأرض، وهو تحد يظهر ضآلة قدراتهما مجتمعين أمام طلاقة القدرة الالهية في إبداع الكون،
لضخامة أبعاده،

ولقصر عمر المخلوقات،

وحتمية فنائها،

والآيات بالإضافة إلي ذلك تحوي عددا من الحقائق الكونية المبهرة التي لم يستطع الإنسان إدراكها إلا في العقود القليلة المتأخرة من القرن العشرين، والتي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

أولا: بالنسبة للنفاذ من أقطار الأرض: إذا كان المقصود من هذه الآيات الكريمة إشعار كل من الجن والإنس بعجزهما عن النفاذ من اقطار كل من الأرض علي حدة، والسماوات علي حدة، فإن المعارف الحديثة تؤكد ذلك، لأن اقطار الأرض تتراوح بين (1275) كيلو مترا بالنسبة إلي متوسط قطرها الاستوائي (1271) كيلو مترا بالنسبة إلي متوسط قطرها القطبي،

وذلك لأن الارض ليست تامة الاستدارة لا نبعاها قليلا عند خط الاستواء، وتفلطحها قليلا عند القطبين.

ويستحيل علي الإنسان اختراق الارض من أقطارها لارتفاع كل من الضغط والحرارة باستمرار في اتجاه المركز مما لا تطبيقه القدرة البشرية، ولا التقنيات المتقدمة التي حققها إنسان هذا العصر،

فعلي الرغم من التطور المذهل في تقنيات حفر الآبار العميقة التي طورها الإنسان بحثا عن النفط والغاز الطبيعي

فإن هذه الاجهزة العملاقة لم تستطع حتي اليوم تجاوز عمق 14 كيلو مترا من الغلاف الصخري للارض،

وهذا يمثل 0,2% تقريبا من طول نصف قطر الأرض الاستوائي، وعند هذا العمق تعجز ادوات الحفر عن الاستمرار في عملها لتزايد الضغط وللارتفاع الكبير في درجات الحرارة إلي درجة قد تؤدي إلي صهر تلك الادوات،

فمن الثابت علميا ان درجة الحرارة تزداد باستمرار من سطح الارض في اتجاه مركزها حتي تصل إلي ما يقرب من درجة حرارة سطح الشمس المقدرة بستة آلاف درجة مئوية حسب بعض التقديرات،

ومن هنا كان عجز الإنسان عن الوصول إلي تلك المناطق الفائقة الحرارة والضغط، وفي ذلك يقول الحق (تبارك وتعالى) مخاطبا الإنسان:

ولا تمش في الارض مرحا إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا*.
(الإسراء37)

ولو أن الجن عالم غيبي بالنسبة لنا، إلا أن ما ينطبق علي الإنس من عجز تام عن النفاذ من أقطار السماوات والأرض ينطبق عليهم.

والآيات الكريمة قد جاءت في مقام التشبيه بأن كلا من الجن والإنس لا يستطيع الهروب من قدر الله أو الفرار من قضائه، بالهروب إلي خارج الكون عبر اقطار السماوات والأرض حيث لا يدري أحد ماذا بعد ذلك، إلا ان العلوم المكتسبة قد اثبتت بالفعل عجز الإنسان عجزا كاملا عن ذلك، والقرآن الكريم يؤكد لنا اعتراف الجن بعجزهم الكامل عن ذلك أيضا، كما جاء في قول الحق (تبارك وتعالى) علي لسان الجن:

وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا* (الجن12)

وذلك بعد أن قالوا:

وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا* (الجن8)

ثانيا: بالنسبة للنفاذ من أقطار السماوات:

تبلغ أبعاد الجزء المدرك من السماء الدنيا من الضخامة ما لا يمكن أن تطويها قدرات كل من الإنس والجن، مما يشعر كلا منهما بضآلته أمام أبعاد الكون، وبعجزه التام عن مجرد التفكير في الهروب منه... أو النفاذ إلي المجهول من بعده...!!!

فمجرتنا (سكة التبانة) يقدر قطرها الأكبر بمائة ألف سنة
ضوئية (9.5100.0 مليون مليون كيلو متر تقريبا)،

ويقدر قطرها الأصغر بعشرة آلاف سنة ضوئية
(9.510.000 مليون مليون كيلو متر تقريبا)،

ومعني ذلك أن الإنسان لكي يتمكن من الخروج من مجرتنا عبر
قطرها الأصغر يحتاج إلى وسيلة تحركه بسرعة الضوء
(وهذا مستحيل) ليستخدمها في حركة مستمرة لمدة تصل إلى
عشرة آلاف سنة من سنيننا، وبطاقة انفلات خيالية لتخرجه من
نطاق جاذبية الأجرام التي يمر بها من مكونات تلك المجرة، وهذه
كلها من المستحيلات بالنسبة للإنسان الذي لا يتجاوز عمره في
المتوسط خمسين سنة،

ولم تتجاوز حركته في السماء ثانية ضوئية واحدة وربع الثانية
فقط، وهي المسافة بين الأرض والقمر،
علي الرغم من التقدم التقني المذهل الذي حققه في زيادة السماء.
ومجموعتنا الشمسية تقع من مجرتنا على بعد ثلاثين ألفا من
السنين الضوئية من مركزها، وعشرين ألفا من السنين الضوئية
من أقرب أطرافها، فإذا حاول الإنسان الخروج من أقرب الأقطار
إلى الأرض

فإنه يحتاج إلى عشرين ألف سنة وهو يتحرك بسرعة الضوء لكي
يخرج من أقطار مجرتنا وهل يطيق الإنسان ذلك؟

أو هل يمكن أن يحيا إنسان لمثل تلك المدد المتطاولة؟ وهل يستطيع الإنسان أن يتحرك بسرعة الضوء؟

كل هذه حواجز تحول دون إمكان ذلك بالنسبة للإنسان، وما ينطبق عليه ينطبق علي عالم الجان...!!!

ومجرتنا جزء من مجموعة من المجرات تعرف باسم المجموعة المحلية يقدر قطرها بنحو ثلاثة ملايين وربع المليون من السنين الضوئية (3.261.500) سنة ضوئية،

وهذه بدورها تشكل جزءا من حشد مجري يقدر قطره بأكثر من ستة ملايين ونصف المليون من السنين الضوئية (6.523.000) سنة ضوئية،

وهذا الحشد المجري يكون جزءا من الحشد المجري الأعظم ويقدر قطره الأكبر بمائة مليون من السنين الضوئية وسمكه بعشرة ملايين من السنين الضوئية.

وتبدو الحشود المجرية العظمي علي هيئة كروية تدرس في شرائح مقطعية تقدر أبعادها في حدود 150*100*150 سنة ضوئية، وأكبر تلك الشرائح ويسميتها الفلكيون مجازا باسم الحائط العظيم يزيد طولها علي مائتين وخمسين مليونا من السنين الضوئية.

وقد تم أخيرا اكتشاف نحو مائة من الحشود المجرية العظمي تكون تجمعاً أعظم علي هيئة قرص يبلغ قطره الأكبر بليونين من السنين الضوئية.

والجزء المدرك من الكون وهو يمثل جزءا يسيرا من السماء الدنيا التي زينها ربنا بالنجوم وقال (عز من قائل):

ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير (الملك 5).

هذا الجزء المدرك من السماء الدنيا يزيد قطره علي العشرين

بليون سنة ضوئية،

وهي حقائق تجعل الإنسان بكل إنجازاته العلمية يتضاءل تضاؤلا شديدا أمام أبعاد الكون المذهلة، وكذلك الجان، وكلاهما أقل من مجرد التفكير في إمكان الهروب من ملك الله الذي لا ملجأ ولا منجي منه إلا إليه...!!!

ثالثا: بالنسبة للنفاز من أقطار السماوات والأرض معا: تشير الآيات الكريمة إلي أن التحدي الذي تجابه به الجن والإنس هو النفاز من أقطار السماوات والأرض معا إن استطاعوا،

وثبت عجزهما عن النفاز من أقطار أي منهما، وعجزهما أشد إذا كانت المطالبة بالنفاز من أقطارهما معا، إذا كان هذا هو مقصود الآيات الكريمة، فإنه يمكن أن يشير إلي معني في غاية الأهمية ألا وهو توسط الأرض للكون؛ وهو معني لا تستطيع علوم الفلك إثباته لعجز الإنسان عن الإحاطة بأبعاد الكون،

ولكن يدعم هذا الاستنتاج ما رواه كل من قتادة والسدي أن رسول الله (ﷺ) قال يوماً لأصحابه:

هل تدرون ما البيت المعمور؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال (ﷺ): فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم.

وتوسط الأرض للكون معني حازت فيه عقول العلماء والمفكرين عبر التاريخ. وعجزت العلوم المكتسبة والتقنيات الفائقة عن إثباته، ولكن ما جاء في هذه الآيات الكريمة، وفي هذا الحديث النبوي الشريف يشير إليه، ويجعل المنطق السوي يقبله.

رابعاً: بالنسبة إلى إرسال شواظ من نار ونحاس علي كل من يحاول النفاذ من أقطار السماوات والأرض.

بغير سلطان من الله تعالى:

في الآية رقم 35 من سورة الرحمن يخاطب ربنا (تبارك وتعالى) كلا من الجن والإنس بقوله عز من قائل:

{يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران}

وقد أجمع قدامي المفسرين ومحدثوهم علي أن لفظة شواظ هنا تعني اللهب الذي لا دخان له.

وكلمة نحاس تعني الدخان الذي لا لهب فيه أو تعني فلز النحاس الذي نعرفه جميعاً

هو فلز معروف بدرجة انصهاره العالية (1083 م) ودرجة غليانه الأعلى (2567 م).

ومن الثابت علميا أن العناصر المعروفة لنا تتخلق في داخل النجوم بعملية الاندماج النووي لنوي ذرات الهيدروجين فينتج عن ذلك نوي ذرات العناصر الأثقل بالتدريج حتى يتحول لب النجم إلي حديد.

والتفاعل النووي قبل تكون ذرات الحديد هو تفاعل منتج للحرارة التي تصل إلي بلايين الدرجات المئوية،

ولكن عملية الاندماج النووي المنتجة للحديد عملية مستهلكة للحرارة وبالتالي لطاقة النجم حتي تضطره إلي الانفجار مما يؤدي إلي تناثر العناصر التي تكونت بداخله بما فيها الحديد في صفحة السماء لتدخل هذه العناصر في مجال جاذبية أجرام تحتاج إليها بتقدير من الله تعالى.

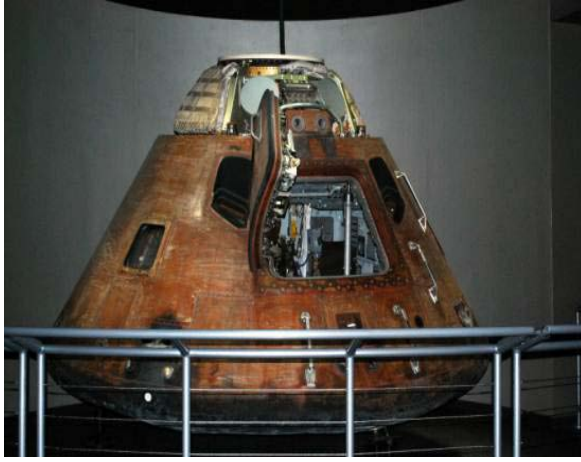
أما العناصر ذات النوي الأثقل من ذرة الحديد فتتخلق بإضافة اللبئات الأولية للمادة إلي نوي ذرات الحديد السابحة في صفحة السماء حتي تتكون بقية المائة وخمسة من العناصر المعروفة لنا، وهذه أيضا تنزل إلي جميع أجرام السماء بقدر معلوم. ولما كان عنصر النحاس أعلي من الحديد في كل من وزنه وعدده الذري (الوزن الذري لنظائر الحديد 54, 56, 57 والوزن الذري

للنحاس 63.546 والعدد الذري للحديد 26 بينما العدد الذري للنحاس (29)،

وبناء علي ذلك فإن عنصر النحاس يتخلق في صفحة السماء الدنيا باندماج نوي ذرات الحديد مع بعض اللبئات الأولية للمادة، وهذا يجعل صفحة السماء الدنيا زاخرة بذرات العناصر الثقيلة ومنها النحاس.

هذه الملاحظة تشير إلي أن لفظة نحاس في الآية الكريمة تعني فلز النحاس، لأن التأويل هنا لا داعي له علي الإطلاق، فالنحاس وهو منصهر وتغلي قطراته في صفحة السماء يعد عقابا رادعا لكل محاولة إنسية أو جنية لاختراق أقطار السماوات والأرض.





صورة لكبسولة الفضاء أبولو يظهر عليها آثار
كربونات النحاس وخاصة من أسفل الكبسولة
والمعروضة في معرض الطيران والفضاء في
العاصمة الأمريكية واشنطن

وقد اتصل بي أخ كريم هو الدكتور عبد الله الشهابي وأخبرني
بأنه زار معرض الفضاء والطيران في مدينة واشنطن دي سي الذي
يعرض نماذج الطائرات من بداياتها الأولى إلي أحدثها، كما يعرض
نماذج لمركبات الفضاء، وفي المعرض شاهد قطاعا عرضيا في
كبسولة أبواللو وأذهله أن يرى علي سطحها خطوطا طولية
عديدة غائرة في جسم الكبسولة وملئة بكربونات النحاس
(جنزار النحاس)،

وقد لفتت هذه الملاحظة نظره فذهب إلي المسئول العلمي عن
تلك الصالة وسأله: هل السبيكة التي صنعت منها الكبسولة يدخل
فيها عنصر النحاس؟ فنفي ذلك نفيا قاطعا،

فأشار إلي جنزار النحاس علي جسم الكبسولة وسأله :

من أين جاء هذا؟

فقال له: من نوى ذرات النحاس المنتشرة في صفحة السماء التي تضرب جسم الكبسولة طوال حركتها صعودا وهبوطا من السماء، وحينما تعود إلي الأرض وتتمر بطبقات بها الرطوبة وثاني أكسيد الكربون فإن هذه الذرات النحاسية التي لصقت بجسم الكبسولة تتحول بالتدريج إلي جنزار النحاس.

ويقول الدكتور الشهابي إنه علي الفور تراءت أمام أنظاره الآية القرآنية الكريمة التي يقول فيها ربنا تبارك وتعالى: يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران. هذه الملاحظة أكدت لي ما ناديته طويلا بأن لفظة نحاس في الآية تعنى فلز النحاس ولا تحتاج إلي أدني تأويل.

* جاء في موسوعة الاعجاز العلمي :

العودة

ومن العجيب أن يستخدم العلماء مصطلح
"العملاق الأحمر كمرحلة من مراحل احتضار النجوم
وهنا أتوقف عند إحدى معطيات العلم تتضح منها وجه الإعجاز
العلمي في الآية السابقة
* جاء في موقع الكحيل:

هذه الآية تصف لنا انشقاق السماء يوم القيامة بأنها ستكون مثل
الوردة ذات الألوان الزاهية،
وإذا تأملنا هذه الصورة التي التقطها العلماء لانفجار أحد النجوم،
وعندما رأوه أسموه (الوردة)،

نفس التسمية القرآنية، وهذا يعني أن هذه الصورة هي صورة
مصغرة ودقيقة عن المشهد الذي سنراه يوم القيامة، فسبحان الله!
وقد يعترض البعض على هذه الصورة بحجة أن الآية تتحدث عن
يوم القيامة، نعم إن الآية الكريمة تتحدث عن انشقاق السماء يوم
القيامة، ولكن الله تعالى دائماً يرينا بعض الإشارات الدنيوية التي
ثبت صدق كلامه، وصدق وعده،
فقد حدثنا الله تعالى عن فاكهة الجنة، ولكنه خلق لنا فاكهة في
الدنيا لنستطيع أن نتخيل الفاكهة التي وعدنا الله بها يوم القيامة،
كذلك حدثنا عن انشقاق السماء وأنها ستتلون بألوان تشبه الورد
وخلق لنا النجوم التي تنفجر وتولد الألوان الزاهية مثل الورد

المدھنة تماماً. ولذلك هذه الصورة لا تمثل يوم القيامة بل صورة
مصغرة عما سنراه يوم القيامة والله أعلم.

يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٤٢﴾
هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكْذَبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٤٤﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكَمَا
تُكْذِبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾
فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ
كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ
وَحَتَّى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَتٌ الْأَطْرَفُ لَمُيَطِمُهُنَّ
إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٥٦﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾
فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ
رِيكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ ﴿٦٢﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٣﴾
مُدَّاهِمَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ
رِيكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ
خَيْرَتٌ حَسَنٌ ﴿٧٠﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَقْصُورَتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَيَأْتِيءَ
الْآءَ رِيكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِئْنِ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٤﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكَمَا تُكْذِبَانِ
﴿٧٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حَسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧٧﴾ نَبْرَكٌ
أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

*الميسر: يقال لهؤلاء المجرمين -توبيخاً و تحقيراً لهم-

{يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ}

أي: فيؤخذ بنواصي المجرمين و أقدامهم، فيلقون في النار و يسحبون فيها،
و إنما يسألهم تعالى سؤال توبيخ و تقرير بما وقع منهم، و هو أعلم به منهم،
و لكنه تعالى يريد أن تظهر للخلق حجته البالغة، و حكمته الجليلة.
أي: يقال للمكذبين بالوعد و الوعيد حين تسعر الجحيم:

{هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ}

فليهنهم تكذيبهم بها، و ليدوقوا من عذابها ونكالها و سعيها و أغلالها،
ما هو جزاء لتكذيبهم.

*الميسر: تارة يُعَذَّبُونَ في الجحيم، و تارة يُسْقَوْنَ من الحميم

{يَطْوِفُونَ بَيْنَهَا}

أي: بين أطباق الجحيم و لهبها

{وَبَيْنَ حَمِيمٍ}

أي: ماء حار جدا

***وَهُوَ الشَّرَابُ الَّذِي هُوَ كَالنَّحَاسِ الْمَذَابِ، يُقَطِّعُ الْأَمْعَاءَ وَالْأَحْشَاءَ،

وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ

فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ} [غافر: 71، 72] .

{ءَانِ}

قد انتهى حره، و زمهرير قد اشتد بـرده و قـره،
***أي: حَارٌّ وَ قَدْ بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْحَرَارَةِ، لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمِ آنٍ} **قَدِ انْتَهَى غَلِيهِ، وَ اشْتَدَّ حَرُّهُ.**

وَ قَالَ قَتَادَةُ: قَدْ آتَى طَبْخُهُ مِنْذُ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ.
وَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ:

يُؤْخَذُ الْعَبْدُ فَيَحْرُكُ بِنَاصِيَتِهِ فِي ذَلِكَ الْحَمِيمِ،
حَتَّى يَذُوبَ اللَّحْمُ وَ يَبْقَى الْعَظْمُ وَ الْعَيْنَانِ فِي الرَّأْسِ.

كقوله: {فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ} .

و الحميم الآن: يَعْنِي الْحَارَّ.

وَعَنِ الْقُرْظِيِّ رِوَايَةٌ أُخْرَى: {حَمِيمِ آنٍ} **أي: حَاضِرٌ.**

وَ الْحَاضِرُ، لَا يَنَافِي مَا رُوِيَ عَنِ الْقُرْظِيِّ أَوَّلًا أَنَّهُ الْحَارُّ،

كقوله تَعَالَى: {تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ} [الْغَاشِيَةِ: 5]

أَيَّ حَارَّةٍ شَدِيدَةٍ الْحَرُّ لَا تُسْتَطَاعُ.

وَ كَقَوْلِهِ: {غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاءُ} [الْأَحْزَابِ: 53]

يَعْنِي: اسْتِوَاءُهُ وَ نُضْجُهُ.

فَقَوْلُهُ: {حَمِيمِ آنٍ}

أي: حَمِيمٌ حَارٌّ جَدًّا

وَ لَمَّا كَانَ مُعَاقِبَةُ الْعُصَاةِ الْمُجْرِمِينَ وَ تَنْعِيمُ الْمُتَّقِينَ مِنْ فَضْلِهِ وَ رَحْمَتِهِ
وَ عَذْلِهِ وَ لُطْفِهِ بِخَلْقِهِ،

وَ كَانَ إِذْأَرُهُ لَهُمْ عَذَابُهُ وَ بَأْسُهُ مِمَّا يَزُجُّهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الشُّرْكِ وَ
الْمَعَاصِي وَغَيْرِ ذَلِكَ،

قَالَ مُمْتَنَّا بِذَلِكَ عَلَى بَرِيَّتِهِ: {فَأَيُّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

و لما ذكر ما يفعل بالمجرمين، ذكر جزاء المتقين الخائفين فقال:

(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ)

أي: و للذي خاف ربه و قيامه عليه، فترك ما نهى عنه، و فعل ما أمره به،

***كقوله {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ}

[النازعات: 40]

له جنتان من ذهب آنيتهما و حليتهما و بنيانهما و ما فيهما،

إحدى الجنتين جزاء على ترك المنهيات،

و الأخرى على فعل الطاعات.

***صحيح البخاري

4878 - عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ،

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«جَنَّتَانِ مِنْ فَضَّةٍ، أُنِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا،

وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، أُنِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا،

وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبَرِ،

عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ» ()

(آنيتهما) أوعيتهما.

وَهَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي الْإِنْسِ وَالْجِنِّ،
 فَهِيَ مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْجِنَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِذَا آمَنُوا وَاتَّقَوْا؛
 وَلِهَذَا آمَنَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الثَّقَلَيْنِ بِهَذَا الْجَزَاءِ فَقَالَ:
{وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} .

و من أوصاف تلك الجنتين أنهما **{ذَوَاتَا أَفْنَانٍ}**
 *** أَغْصَانٍ نَضْرَةٌ حَسَنَةٌ، تَحْمِلُ مِنْ كُلِّ ثَمَرَةٍ نَضِيجَةً فَائِقَةً
 ○ أي: فيهما من ألوان النعيم المتنوعة نعيم الظاهر و الباطن
 ما لا عين رأت و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر
 أن فيهما الأشجار الكثيرة الزاهرة ذوات الغصون الناعمة،
 التي فيها الثمار اليانعة الكثيرة اللذيذة،
 أو ذواتا أنواع و أصناف من جميع أصناف النعيم و أنواعه جمع فن،
 أي: صنف.

و في تلك الجنتين **{فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ}**
 يفجرونها على ما يريدون و يشتهون.
 ***الحسن البصري:
 أحدهما يقال لها تسنيم و الاخرى سلييل

(وما فيهما) من الأشياء التي يرتفق بها.
 (القوم) المسلمون الذين دخلوا الجنة.
 (جنة عدن) إقامة واستقرار واطمئنان]

{وَمِرْأَاهُ مِنْ تَسْنِيمٍ} [المطففين: 27]

{عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا} [الإنسان: 18]

{فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ}

من جميع أصناف الفواكه

{زَوَّجَانِ}

أي: صنفان، كل صنف له لذة و لون، ليس للنوع الآخر.

{مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ}

***اي الاضطجاع و يقال الجلوس علي هيئة التربع.

هذه صفة فرش أهل الجنة وجلوسهم عليها،

و أنهم متكئون عليها، أي: جلوس تمكن واستقرار و راحة ،

كجلوس من الملوك على الأسرة،

و تلك الفرش لا يعلم وصفها و حسنها إلا الله

حتى إن بطائننها التي تلي الأرض منها، من {إستبرق}:

و هو أحسن الحرير و أفخره، فكيف بطواهرها التي تلي بشرتهم؟!

{وَجْنَى الْجَنَّةِ دَانٍ}

الجنى هو الثمر المستوي

أي: و ثمر هاتين الجنةين قريب التناول، يناله القائم و القاعد و المضطجع.

***كقوله { قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ } [الحاقة: 23]

{ وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا } [الإنسان: 14]

لا تمتنع ممن تناولها بل تنحط اليه من اغطانها

{ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرَفِ }

قد قصرن طرفهن على أزواجهن، من حسنهم و جمالهم، و كمال محبتهن لهم،
و قصرن أيضا طرف أزواجهن عليهن، من حسنهن و جمالهن و لذة و صالحهن،

{ لَمْ يَطْمِئْنَنْ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ }

أي: لم ينلهن قبلهم أحد من الإنس و الجن،

بل هن أبكار عرب، متحبات إلى أزواجهن،

بحسن التبعل و التغنيج و الملاحاة و الدلال، و لهذا قال:

{ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ }

و ذلك لصفائهن و جمال منظرهن و بهائهن.

صَفَاءِ الْيَاقُوتِ وَ بَيَاضِ الْمَرْجَانِ، فَجَعَلُوا الْمَرْجَانَ هَا هُنَا اللَّؤْلُؤَ.

صحيح مسلم -

(2834) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلْجُ الْجَنَّةَ، صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ،

لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا وَ لَا يَمْتَخِطُونَ وَ لَا يَتَغَوَّطُونَ فِيهَا،

أَنِيتُهُمْ وَأَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ، وَ مَجَامِرُهُمْ مِنَ الْأَلْوَةِ،

وَ رَشْحُهُمُ الْمِسْكُ وَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ،

يُرَى مُخٌ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، مِنَ الْحُسْنِ،
لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ،
قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ،
يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا» ()

صحيح البخاري

2796 - قَالَ: وَسَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:
«لَرَوْحَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ غَدَوَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،
وَلَقَابٌ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعٌ قَيْدٍ - يَغْنِي سَوْطُهُ -
خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،
وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ
لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَّتْهُ رِيحًا،
وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» ()

{ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ }

أي: هل جزاء من أحسن في عبادة الخالق
و نفع عبيده، إلا أن يحسن إليه بالشواب الجزيل،

(و رشحهم المسك) أي عرقهم

(الألوة) في النهاية الألوة هو العود الذي يتبخر به العود الهندي]

(موضع قيد) مقدار قيد و هو السوط المتخذ من الجلد الذي لم يدبغ.
(ما بينهما) ما بين السماء والأرض.
(ريحا) عطرًا.

(لنصيفها) خمارها وهو ما يغطي به الرأس

و الفوز الكبير،

و النعيم المقيم،

و العيش السليم، فهاتان الجنتان العاليتان للمقربين.

*** كقوله {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس: 26]

وَلَمَّا كَانَ فِي الَّذِي ذُكِرَ نِعَمٌ عَظِيمَةٌ لَا يُقَاوِمُهَا عَمَلٌ،
بَلْ مُجَرَّدُ تَفْضُلٍ وَ اِمْتِنَانٍ،

قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ: {فَإَيُّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ}

{وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}

من فضة بانيهما و آنيتهما و حليتهما و ما فيهما لأصحاب اليمين.

*** هَاتَانِ الْجَنَّتَانِ دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا فِي الْمَرْتَبَةِ وَالْفَضِيلَةِ وَالْمَنْزِلَةِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ} .

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ:

جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آيَتُهُمَا وَ مَا فِيهِمَا،

و جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آيَتُهُمَا وَ مَا فِيهِمَا،

فَالْأُولَيَانِ لِلْمُقَرَّبِينَ، وَ الْآخِرَيَانِ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ".

و تلك الجنتان

{مُدَّاهَا مَتَانِ}

أي: سوداوان من شدة الخضرة التي هي أثر الري.

{ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ }

أي: فوارتان .

*** فياضتان و الجري اقوي من النضخ

{ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَّانٌ }

من جميع أصناف الفواكه، و أخصها النخل و الرمان،
للذان فيهما من المنافع ما فيهما.

{ فِيهِنَّ }

أي: في الجنات كلها

{ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ }

أي: خيرات الأخلاق حسان الأوجه،

فجمعن بين جمال الظاهر و الباطن، و حسن الخلق و الخلق.

{ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ }

أي: محبوسات في خيام اللؤلؤ،

قد تهيأن و أعددن أنفسهن لأزواجهن،

و لا ينفي ذلك خروجهن في البساتين و رياض الجنة،

كما جرت العادة لبنات الملوك و نحوهن المخدرات الخفريات.

*** صحيح البخاري -3243

عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

«الْخَيْمَةُ دُرَّةٌ، مُجَوَّفَةٌ طُولُهَا فِي السَّمَاءِ ثَلَاثُونَ مِيلًا،
فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا لِلْمُؤْمِنِ أَهْلٌ لَا يَرَاهُمُ الْآخَرُونَ»
قَالَ: أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ، وَ الْحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ سِتُونَ مِيلًا ()

صحيح مسلم-2838

عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:
«إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِّنْ لُّؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُّجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُونَ مِيلًا،
لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا» ()

(لَتَرِيطِمَنَّهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ*)

(مُتَكِّيْنَ عَلَى رَفْرِفٍ خَضِرٍ)

*الميسر: متكئين على وسائد ذوات أغطية خضر

○أي: أصحاب هاتين الجنتين، متكأهم على الرفرف الأخضر،
وهي الفرش التي فوق المجالس العالية، التي قد زادت على مجالسهم،
فصار لها رفرفة من وراء مجالسهم، لزيادة البهاء و حسن المنظر،
***الرَّفْرِفُ عَلَى السَّرِيرِ، كَهَيْئَةِ الْمَحَابِسِ الْمُتَدَلِّي.

{وَعَبَقَرِي حَسَانِ}

(الخيمة) بيت مربع من بيوت العرب.

(درة) لؤلؤة.

(مجوفة) مثقوبة ومفرغ داخلها.

(زاوية) ناحية.

(أهل) زوجة

(لخيمة) الخيمة بيت مربع من بيوت الأعراب

*الميسر: فرش بديعة فائقة الصنع في غاية الحسن.

○العقري: نسبة لكل منسوج نسجا حسنا فاخرا،

و لهذا وصفها بالحسن الشامل،

لحسن الصنعة و حسن المنظر، و نعومة الملمس،

***بسط اهل الجنة

و قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ: كُلُّ شَيْءٍ يَسُرُّ مِنَ الرِّجَالِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ يُسَمَّى عِنْدَ الْعَرَبِ عَبْقَرِيًّا.

و مِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي عُمَرَ

صحيح البخاري

3664 - عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال:

سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ:

«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلْبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَزَعَهَا بِهَا ذُنُوبًا أَوْ ذُنُوبَيْنِ، وَ فِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَ اللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ

و هاتان الجنتان دون الجنتين الأوليين،

كما نص الله على ذلك بقوله:

{وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}

و كما وصف الأوليين بعدة أوصاف لم يصف بها الآخرين،

فقال في الأوليين: {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ}

و في الآخرين: {عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ}

و من المعلوم الفرق بين الجارية و النضاجة.

و قال في الأوليين: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ}

و لم يقل ذلك في الآخرين.

و قال في الأوليين: {فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ}

و في الآخرين {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ}

و قد علم ما بين الوصفين من التفاوت.

و قال في الأوليين:

{مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ}

و لم يقل ذلك في الأخيرتين،

بل قال: {مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ}

و قال في الأوليين، في وصف نسائهم و أزواجهم:

{فِيَنِّ قَصِيرَتِ الْأُطْرَفِ لَمْ يَطْمِئْنَنْ أَنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ}

و قال في الآخرين: {حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}

و قد علم التفاوت بين ذلك.

و قال في الأوليين {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ}

فدل ذلك أن الأوليين جزاء المحسنين، و لم يقل ذلك في الآخرين.

و مجرد تقديم الأوليين على الآخرين، يدل على فضلهما.

فبهذه الأوجه يعرف فضل الأوليين على الآخرين،
وأنهما معدتان للمقربين —————ن:-

1-الأنبياء،

2-و الصـديقين،

3-و خواص عباد الله الصالحين،

و أن الآخرين معدتان لعموم المؤمنين،

و في كل من الجنات المذكورات ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت،

و لا خطر على قلب بشر، و فيهن ما تشتهيهُ الأنفس و تلذ الأعين،

و أهلها في غاية الراحة و الرضا و الطمأنينة و حسن المأوى،

حتى إن كلا منهم لا يرى أحدا أحسن حالا منه،

و لا أعلى من نعيمه الذي هو فيه .

و لما ذكر سعة فضله و إحسانه،

قال: { **بَنَرَكُ أَنتُمْ رَبِّكَ ذِي الْمَلَكِلِ وَالْإِكْرَامِ** }

أي: تعاضم و كثر خيره، الذي له الجلال الباهر، و المجد الكامل،

و الإكرام لأوليائه.

***هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُجَلَّ فَلَا يُعْصَى،

وَأَنْ يُكْرَمَ فَيُعْبَدَ،

وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ،

وَأَنْ يُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى.

سنن الترمذي -3525

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:
(الِظُّوْا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) ()

صحيح مسلم-591

عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،
إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَ قَالَ:
«اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَ مِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ»

المقارنة من خلال مختصر صحيح تفسير بن كثير:

أي: أَلحوا

62	<u>وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ</u>	46	<u>وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ</u> *وَالدَّلِيلُ عَلَى شَرَفِ الْأُولَيْنِ عَلَى الْآخَرَيْنِ وَجْوه: 1- أنه نعت الأولين قَبْلَ هَاتَيْنِ، وَالْتَقْدِيمُ يَدُلُّ عَلَى الْإِعْتِنَاءِ 2- ثُمَّ قَالَ: {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ} وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي شَرَفِ التَّقْدِيمِ وَعُلُوِّهِ عَلَى الثَّانِي.
64	<u>مُدْهَامَّتَانِ</u> *سوداوان من شدة الري	48	<u>ذَوَاتَا أَفْنَانٍ</u> *الاعصان أو الفنون في الملاذ
66	<u>فِيهِمَا عَيْنَانِ تَصَّاحَتَانِ</u> *ممتلئتان و لا تنقطعان	50	<u>فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ</u> *الجري أقوى من النضج
68	<u>فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ</u> * وَلِهَذَا فُسِّرَ قَوْلُهُ: {وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، كَمَا قَرَّرَهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ، وَإِنَّمَا أُفْرِدَ النَّخْلَ وَالرُّمَّانَ بِالذِّكْرِ لِشَرْفِهِمَا عَلَى غَيْرِهِمَا	52	<u>فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَوْحَانٌ</u> *وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَوَّلَى أَعَمُّ وَأَكْثَرُ فِي الْأَفْرَادِ وَالتَّنَوُّعِ عَلَى فَاكِهَةٍ، وَهِيَ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ لَا تَعْمُ
76	<u>مُتَكَيِّينَ عَلَى رُفْرَفٍ خُضَرٍ وَعَبْقَرِيٍّ</u> <u>حِسَانٍ</u>	54	<u>مُتَكَيِّينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى</u> <u>الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ</u> *مدح الباطن فما بالك بالظاهر

70	<p>فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ الْمُرَادُ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ حَسَنَةٌ فِي الْجَنَّةِ أَوْ خَيْرَاتٌ جَمْعُ خَيْرَةٍ، وَهِيَ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ الْحَسَنَةُ الْخُلُقِ الْحَسَنَةُ الْوَجْهِ خَوَرٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْحَيَامِ</p>	56	<p>فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ وَلَا شَكَّ أَنَّ الَّتِي قَدْ قَصُرَتْ طَرْفُهَا بِنَفْسِهَا أَفْضَلُ مِمَّنْ قَصُرَتْ، وَإِنْ كَانَ الْجَمِيعُ مُخَدَّرَاتٍ.</p>
72	<p>لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ</p>	58	<p>لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ</p>
74	<p>-----</p>	60	<p>هَلْ خَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ فَوَصَفَ أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ وَهُوَ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَالنَّهَائِيَاتِ، كَمَا فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ</p>
	<p>-----</p>		
	<p>{عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِصَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا } [الإنسان: 21]</p>		<p>{جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا خَزِيرٌ } [فاطر: 33]</p>

56- تفسير سورة الواقعة- و هي مكية- بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا

﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾

فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ﴿٩﴾

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾

مسند أحمد ط الرسالة

20995 - عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، يَقُولُ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

يُصَلِّي الصَّلَاةَ كَنَحْوِ مَنْ صَلَاتِكُمْ الَّتِي تُصَلُّونَ الْيَوْمَ،
وَ لَكِنَّهُ كَانَ يُخَفِّفُ، كَانَتْ صَلَاتُهُ أَخَفَّ مِنْ صَلَاتِكُمْ،
وَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ الْوَاقِعَةَ وَ نَحْوَهَا مِنَ السُّورِ "

(إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ)

***كقوله { فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ } [الحاقة: 15]

يخبر تعالى بحال الواقعة التي لا بد من وقوعها، و هي القيامة التي

{ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ }

أي: لا شك فيها، لأنها قد تظاهرت عليها

الأدلة العقلية- و السمعية، و دلت عليها حكمته تعالى.

{ خَافِضَةٌ }

أي: خافضة لأناس في أسفل سافلين،

(رَافِعَةٌ)

لأناس في أعلى عليين،

أو خفضت بصوتها فأسمعت القريب،

و رفعت فأسمعت البعيد.

{ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا }

أي: حركت و اضطربت.

***كقوله { إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا } [الزلزلة: 1]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ } [الحج: 1]

{ وَبُستِ الْجِبَالُ بَسًا }

أي: فتت.

***كقوله { وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا } [المزمل: 14]

{ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا }

فأصبحت الأرض ليس عليها جبل و لا معلم، قاعا صفصفا،

لا ترى فيها عوجا و لا أمتا.

***كقوله { وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ } [المعارج: 9]

{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106)

لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا } [طه: 105 - 107]

{ وَكُنْتُمْ }

أيها الخلق

{ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً }

أي: انقسمتم ثلاث فرق بحسب أعمالكم الحسنة و السيئة.

ثم فصل أحوال الأزواج الثلاثة،

***كقوله { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ

وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ }

[فاطر: 32]

و ذكر الله في نهاية السورة وقت احتضارهم

فقال: { فَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ }

تعظيم لشأنهم، و تفخيم لأحوالهم.

{ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ } أي: الشمال،

{ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ }

تهويل لحالهم.

1- {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ}

أي: السابقون في الدنيا إلى الخيرات،
أولئك الذين هذا وصفهم، المقربون عند الله،

(فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ)

في أعلى عليين، في المنازل العاليات،
التي لا منزلة فوقها.

***كقوله {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ

أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 133]

الجزاء من جنس العمل
فكما سارعوا للخير كانوا في الآخرة من السابقين للكرامة

و هؤلاء المذكورون {ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ}:

أي: جماعة كثيرون من المتقدمين من هذه الأمة و غيرهم.

***صحيح مسلم

(2533) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«خَيْرُ أُمَّتِي الْقُرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي،

ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،

ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينُهُ وَ يَمِينُهُ شَهَادَتُهُ

صحيح البخاري

ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

عَرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَ النَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ،

وَ النَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ،
 قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟
 قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ،
 قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الْأُفُقَ،
 ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَ هَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ،
 فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأُفُقَ،
 قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ،
 وَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ
 ثُمَّ دَخَلَ وَ لَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ الْقَوْمُ،
 وَ قَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ اتَّبَعْنَا رَسُولَهُ،
 فَتَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ،
 فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَخَرَجَ، فَقَالَ:
 «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَ لَا يَتَطَيَّرُونَ، وَ لَا يَكْتُمُونَ، وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»
 فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مَحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»
 فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟
 قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» ()

(رقية) ما يتعوذ به من القراءة.

(عين) إصابة العائن غيره بعينه وهو أن يتعجب الشخص من الشيء حين يراه فيتضرر ذلك الشيء منه

(حمة) سم العقرب وضرها.

(الرهط) ما دون العشرة من الرجال وقيل إلى الأربعين.

(رفع) ظهر.

(ولم يبين لهم) لم يبين لأصحابه من هم السبعون ألفا.

(فأفاض) اندفع بالحديث.

وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ ﴿١٦﴾

{ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ }

و هذا يدل على فضل صدر هذه الأمة في الجملة على متأخريها، !
لكون المقربين من الأولين أكثر من المتأخرين.
و المقربون هم خواص الخلق،

{ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ }

أي: مرمولة

*** (منسوجة)

بالذهب و الفضة، و اللؤلؤ، و الجواهر،
و غير ذلك من الحلي الزينة، التي لا يعلمها إلا الله تعالى.

{ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا }

أي: على تلك السرر، جلوس تمكن و طمأنينة و راحة و استقرار.

{ مُتَقَبِّلِينَ }

(لا يسترقون) لا يفعلون الرقية اعتمادا كليا على الله عز وجل.

(لا يتطيرون) لا يتشاءمون بالطيور.

(لا يكتوون) أي لا يتداوون بالكي.

(يتوكلون) يفوضون الأمر إليه تعالى وإن تعاطوا الأسباب

(سبقك بها) سبق إلى الفوز بتلك المنزلة إذ طلبها مندفعاً وليس مقلداً

وجه كل منهم إلى وجه صاحبه، من صفاء قلوبهم،
و حسن أدبهم، و تقابل قلوبهم.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانُ مُخْلَدُونَ ﴿١٧﴾ يَا كُوفٍ وَأَبَارِيْقَ وَكَاسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهَمُوا مِمَّا تَخْتَرُوتُ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمَ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَخُورٍ عَيْنٍ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلِيحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَكَهَمُوا كَثِيرًا ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلِّ مِّن يَّحْمُورٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَا بَابُؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

{ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانُ } .

أي: يدور على أهل الجنة لخدمة و قضاء حوائجهم، ولدان صغار الأسنان، في غاية الحسن و البهاء،

***كقوله { كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ }

أي: مستور، لا يناله ما يغيره، .

(مُخَلَّدُونَ)

مخلوقون للبقاء و الخلد،

لا يهرمون و لا يتغيرون، و لا يزيدون على أسنانهم.

و يدورون عليهم بآنية شرابهم

{ يَا كُؤَابِ }

و هي التي لا عرى لها،

{ وَأَبَارِقَ }

الأواني التي لها عرى،

{ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ }

أي: من خمر لذيذ المشرب، لا آفة فيها.

* { يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (45) بَيِّضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (46) لَا فِيهَا

غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ } [الصافات 45- 47]

{ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا }

أي: لا تصدعهم رءوسهم كما تصدع خمرة الدنيا رأس شاربيها.

{ وَلَا يُنْزَفُونَ }

أي: لا تنزف عقولهم،

○ و لا تذهب أحلامهم منها، كما يكون لخمر الدنيا.

و الحاصل: أن جميع ما في الجنة من أنواع النعيم الموجود جنسه في الدنيا، لا يوجد في الجنة فيه آفة، كما قال تعالى:

{ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى } [محمد: 15]

و ذكر هنا خمر الجنة، و نفى عنها كل آفة توجد في الدنيا.

{ وَفَكَهَمَهُ مِمَّا يَشْتَرُونَ }

أي: مهما تخيروا، و راق في أعينهم، و اشتتهه نفوسهم، من أنواع الفواكه الشهية، و الجنى اللذيذ، حصل لهم على أكمل وجه و أحسنه.

{ وَلَهُمْ طَيْرٌ مِمَّا يَشْتَهُونَ }

أي: من كل صنف من الطيور يشتهونه، و من أي جنس من لحمه أرادوا، و إن شاءوا مشوا، أو طيخوا، أو غير ذلك.

{ وَحُورٌ عِينٌ }

أي: و لهم حور عین، و الحوراء: التي في عينها كحل و ملاحه، و حسن و بهاء، و العین: حسان الأعین و ضخامها و حسن العين في الأنثى، من أعظم الأدلة على حسنها و جمالها.

{ كَأَمْثَلِ اللَّوْثِ الْأَمْكُونِ }

أي: كأنهن اللؤلؤ الأبيض الرطب الصافي البهي، المستور عن الأعين و الريح و الشمس، الذي يكون لونه من أحسن الألوان، الذي لا عيب فيه بوجه من الوجوه، فكذلك الحور العين، لا عيب فيهن بوجه ، بل هن كاملات الأوصاف، جميلات النعوت.

***كقوله { كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ } [الصفات: 49]

فكل ما تأملته منها لم تجد فيه إلا ما يسر خاطر و يروق الناظر. و ذلك النعيم المعد لهم

{ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }

فكما حسنت منهم الأعمال، أحسن الله لهم الجزاء، و وفر لهم الفوز و النعيم.

{ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا }

لا يسمعون في جنات النعيم كلاما يلغى و لا يكون فيه فائدة،

***كقوله { لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً } [الغاشية: 11]

{ وَلَا تَأْثِيمًا }

و لا كلاما يؤثم صاحبه.

***كلام فيه قبح

{إِلَّا قِيلَ سَلَامًا سَلَامًا}

أي: إلا كلما طيبا،

***كقوله {وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} [يونس: 10]

و ذلك لأنها دار الطيبين،

و لا يكون فيها إلا كل طيب،

و هذا دليل على حسن أدب أهل الجنة في خطابهم فيما بينهم،

و أنه أطيّب كلام، و أسره للنفوس و أسلمه من كل لغو و إثم،

نسأل الله من فضله.

وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٣٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٣٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٣٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ

(٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَنَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ

(٣٤) إِنَّا أَشْنَأْنُهُنَّ لِإِنْشَاءِ (٣٥) فَعَلَّاتُهُنَّ أَجْكَارًا (٣٦) عُرْبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨)

ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠)

ثم ذكر نعيم أصحاب اليمين فقال:

{وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ}

أي: شأنهم عظيم، و حالهم جسيم.

***وَقَوْلُهُ: {لِلأَصْحَابِ الْيَمِينِ}

أَي: خُلِقْنَا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ،

أَوْ: ادْخَرْنَا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ،

أَوْ: زُوجَنَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ.
وَ الْأَظْهَرُ أَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ:

{إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا. غُرُبًا أَتْرَابًا. لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ}
فَتَقْدِيرُهُ: أَنْشَأْنَاهُنَّ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ. وَ هَذَا تَوْجِيهُ ابْنِ جَرِيرٍ
قُلْتُ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: {لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ}

مُتَعَلِّقًا بِمَا قَبْلَهُ، وَ هُوَ قَوْلُهُ: {أَتْرَابًا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ}
أَي: فِي أَسْنَانِهِمْ. كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ 3327
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ،
ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً،
لَا يَبُولُونَ وَ لَا يَتَغَوَّطُونَ، وَ لَا يَتَفَلُّونَ وَ لَا يَمْتَخِطُونَ،
أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَ رَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَ مَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ الْأَنْجُوجُ،
عُودُ الطَّيْبِ وَ أَرْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ،
عَلَى خَلْقٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»

{فِي سِدْرِ مَخْضُودٍ}

أَي: مَقْطُوعٌ مَا فِيهِ مِنَ الشُّوكِ وَ الْأَغْصَانِ الرَّدِيئَةِ الْمَضْرَةِ،
مَجْعُولٌ مَكَانَ ذَلِكَ الشَّوْكِ الطَّيْبِ، وَ لِلْسِدْرِ مِنَ الْخَوَاصِ:-
[الظل الظليل - وَ رَاحَةُ الْجِسْمِ فِيهِ]

{وَطَلْحٍ مَنضُودٍ}

وَ الطَّلْحُ مَعْرُوفٌ، وَ هُوَ شَجَرٌ كَبَارٌ يَكُونُ بِالْبَادِيَةِ،

تنضد أغصانه من الثمر اللذيذ الشهي.

*الزبدة: هو الموز

*الزبدة:-منضود: متراكب بعضه على بعض

(وْظَلَّ مَمْدُودٌ)

*** صحيح البخاري

3252 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:
إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاکِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ،
وَاقْرَءُوا إِنَّ شِئْتُمْ

{وْظَلَّ مَمْدُودٌ} [الواقعة: 30]

صحيح البخاري

6553 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاکِبُ الْجَوَادَ الْمُضْمَرَ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ
مَا يَقْطَعُهَا» ()

{لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا} [النساء: 57]

{وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ}

أي: كثير من العيون و الأنهار السارحة، و المياه المتدفقة.

**كقوله {مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ} [محمد: 15]

(الجواد) الفرس البين الجودة.

(المضمر) هو الذي ينقص علفه بعد سمنه لينقص لحمه ويزداد جريه

{ وَفَكَهْمٌ كَثِيرٌ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ }

ليست بمنزلة فاكهة الدنيا تنقطع في وقت من الأوقات،

{ وَلَا مَمْنُوعَةٍ }

و تكون ممتعة أي: متعسرة على مبتغيها،

بل هي على الدوام موجودة، و جناها قريب يتناولها العبد على أي حال يكون.

*** صحيح البخاري

748 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

قَالَ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَصَلَّى، قَالُوا:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْتَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ، ثُمَّ رَأَيْتَاكَ تَكَعَّكَعْتَ،

قَالَ: «إِنِّي أُرِيتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنُقُودًا،

وَلَوْ أَخَذْتُه لَأَكَلْتُ مِنْهُ مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا» ()

{ وَفُرْشٌ مَرْفُوعَةٌ }

أي: مرفوعة فوق الأسرة ارتفاعا عظيما،

و تلك الفرش من الحرير و الذهب و اللؤلؤ و ما لا يعلمه إلا الله.

{ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْسَاءً }

أي: إنا أنشأنا نساء أهل الجنة نساء غير النشأة

التي كانت في الدنيا، نشأة كاملة لا تقبل الفناء.

(تكعكعت) تأخرت إلى الوراء

{فَعَلْنَهُنَّ أَتْكَارًا}

صغارهن و كبارهن. و عموم ذلك،
يشمل الحور العين و نساء أهل الدنيا،
و أن هذا الوصف و هو البكارة- ملازم لهن في جميع الأحوال

{عُرْبًا أَتْرَابًا}

ملازم لهن في كل حال،
و العروب: هي المرأة المتحبة إلى بعلمها بـ: -

1- حسن لفظها

2- و حسن هيئتها

3- و دلالتها

4- و جمالها

5- و محبتها

فهي التي إن تكلمت سبت العقول،

و ود السامع أن كلامها لا ينقضي،

خصوصا عند غنائهن بتلك الأصوات الرخيمة و النغمات المطربة،

و إن نظر إلى أدبها و سمتها و دلها ملأت قلب بعلمها فرحا و سرورا،

و إن برزت من محل إلى آخر، امتلأ ذلك الموضع منها ريحا طيبا و نورا،

و يدخل في ذلك الغنجة عند الجماع.

{ أَتْرَابًا }

و الأتراب اللاتي على سن واحدة، ثلاث و ثلاثين سنة،
التي هي غاية ما يتمنى و نهاية سن الشباب،
ففساؤهم عرب أتراب، متفقات مؤتلفات، راضيات مرضيات،
لا يحزن و لا يحزن، بل هن أفراح النفوس، و قرة العيون، و جلاء الأبصار.

{ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ }

أي: معدات لهم مهيئات.

{ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ٤٣ وَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ }

أي: هذا القسم من أصحاب اليمين
[عدد كثير من الأولين، و عدد كثير من الآخرين].

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ٤١ فِي سُبُورٍ وَحَمِيرٍ ٤٢ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ٤٣

لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ ٤٤ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ٤٥ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ٤٦

وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنْ نَا لَمَبْعُوثُونَ ٤٧ أَوْءَا بَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ

٤٨ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِقْدَتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ٥٠

{ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ }

المراد بأصحاب الشمال هم: أصحاب النار، و الأعمال المشئومة.

فذكر الله لهم من العقاب، ما هم حقيقون به، فأخبر أنهم

{ فِي سَمُومٍ }

أي: ريح حارة من حر نار جهنم، يأخذ بأنفاسهم، و تقلقهم أشد القلق،

{ وَحَمِيمٍ }

أي: ماء حار يقطع أمعاءهم.

{ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْتُمُونَ }

أي: لهب نار، يختلط بدخان.

***ظل الدخان الاسود

{ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ }

أي: لا برد فيه و لا كرم، و المقصود أن هناك

الهم و الغم، و الحزن و الشر، الذي لا خير فيه،

لأن نفي الضد إثبات لضده.

ثم ذكر أعمالهم التي أوصلتهم إلى هذا الجزاء فقال:

{ إِنِّي أَنْتُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ }

أي: قد ألهتهم دنياهم، و عملوا لها، و تنعموا و تمتعوا بها،

فألهاهم الأمل عن إحسان العمل،

فهذا هو الترف الذي ذمهم الله عليه.

{ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ }

أي: و كانوا يفعلون الذنوب الكبار و لا يتوبون منها، و لا يندمون عليها،
بل يصرون على ما يسخط مولاهم،

فقدموا عليه بأوزار كثيرة غير مغفورة .

*** {الْحِنْثُ الْعَظِيمُ}:الشرك

أو الكفر بالله و جعل الاوثان و الانداد أربابا من دون الله

○ و كانوا ينكرون البعث،

(وَكَاؤُوا يَقُولُونَ)

فيقولون استبعادا لوقوعه:

{أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِيَّانَا لَمَبْعُوثُونَ }

أي: كيف نبعث بعد موتنا و قد بلينا، فكنا ترابا و عظاما؟ هذا من المحال

{أَوَّابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ }

قال تعالى جوابا لهم و ردا عليهم :

{ قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿١٩﴾ لَمَجْبُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ }

قل إن متقدم الخلق و متأخرهم، الجميع سيجمعهم الله و يجمعهم لميقات يوم

معلوم، قدره الله لعباده، حين تنقضي الخليقة

و يريد الله تعالى جزاءهم على أعمالهم التي عملوها في دار التكليف.

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَا تَكُونُوا مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ قَالُوا نَحْنُ الْبُطُونُ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا
 عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شَرْبَ الْحَمِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزَلْنَاهُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا
 تَصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدْ زَيْنَيْنَا
 الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ امْتِلَاكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
 عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ
 الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطًا مَّا فَطَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَالْمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ
 ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ
 لَجَعَلْنَاهُ أَمْحًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ
 نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٣﴾
 فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾
 ❖ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

{ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الضَّالُّونَ}

عن طريق الهدى، التابعون لطريق الردى،

{الْمُكَذِّبُونَ}

بالرسول ﷺ ما جاء به من الحق و الوعد و الوعيد.

{لَا كُلُّونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ}

و هو أقبح الأشجار و أحسها، و أنتها ريحا،
و أبشعها منظرا.

{فَالَّذِينَ مِنْهَا الْبَطُونَ}

و الذي أوجب لهم أكلها -مع ما هي عليه من الشناعة- الجوع المفرط،
الذي يلتهب في أكبادهم و تكاد تنقطع منه أفئدتهم.
هذا الطعام الذي يدفعون به الجوع، و هو الذي لا يسمن و لا يغني من جوع.

(فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ)

و أما شرابهم، فهو بئس الشراب،
و هو أنهم يشربون على هذا الطعام من الماء الحميم الذي يغلي في البطون

(فَشَرِبُوا مِنْ شَرِّ الْهَيْمِ)

شرب الإبل الهيم أي: العطاش، التي قد اشتد عطشها،
أو أن الهيم داء يصيب الإبل، لا تروى معه من شراب الماء.

{هَذَا}

الطعام و الشراب

{نَزَّلْنَاهُمْ}

أي: ضيافتهم

*** كَمَا قَالَ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ:

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا}

[الْكَهْف: 107]

أي ضيافة و كرامة

{يَوْمَ الدِّينِ}

و هي الضيافة التي قدموها لأنفسهم، و آثروها على ضيافة الله لأوليائه.

قال تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا 107}

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا } [الكهف: 106 - 108]

ثم ذكر الدليل العقلي على البعث، فقال:

{فَنَحْنُ خَلْقَنَكُم}

أي: نحن الذين أوجدناكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا،

من غير عجز و لا تعب،

أفليس القادر على ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟

بلى إنه على كل شيء قدير،

و لهذا وبخهم على عدم تصديقهم بالبعث،

و هم يشاهدون ما هو أعظم منه و أبلغ.

*** يَقُولُ تَعَالَى مُقَرَّرًا لِلْمَعَادِ وَ رَدًّا عَلَى الْمُكَذِّبِينَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ

وَ الْإِلْحَادِ،

مِنَ الَّذِينَ قَالُوا: {أَيُّدَا مِثْنَا وَكُنَّا ثُرَابًا وَعِظَامًا أَيُّنَا لَمَبْعُوثُونَ} [الصَّافَّاتِ: 16] ،
وَقَوْلُهُمْ ذَلِكَ صَدَرَ مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّكْذِيبِ وَالِاسْتِبْعَادِ ،

فَقَالَ: {نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ}

أَيُّ: نَحْنُ ابْتَدَأْنَا خَلْقَكُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا ،
أَفَلَيْسَ الَّذِي قَدَرَ عَلَى الْبِدَاءِ بِقَادِرٍ عَلَى الْإِعَادَةِ بِطَرِيقِ الْأُولَى وَالْأُخْرَى

فَلِهَذَا قَالَ: {فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ}

أَيُّ: فَهَلَّا تُصَدِّقُونَ بِالْبَعْثِ!

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ

بِمُسْبِقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

(أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ)

أَيُّ: أفرأيتم ابتداء خلقتكم من المني الذي تمنون ،

فهل أنتم خالقون ذلك المني وما ينشأ منه؟

أم الله تعالى الخالق الذي خلق فيكم من الشهوة و آلتها من الذكر و الأنثى ،

و هدى كلا منهما لما هنالك ، و حبب بين الزوجين ،

و جعل بينهما من المودة و الرحمة ما هو سبب للتناسل .

أَيُّ: أَنْتُمْ تُقَرُّونَهُ فِي الْأَرْحَامِ وَ تَخْلُقُونَهُ فِيهَا ، أَمْ اللَّهُ الْخَالِقُ لِذَلِكَ؟

ثُمَّ قَالَ: {نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ}

أَي: صَرَفْنَاهُ بَيْنَكُمْ.

{ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ }

أَي: وَ مَا نَحْنُ بِعَاجِزِينَ.

{ عَلَيَّ أَنْ نُبْدِلَ آمَتَكُمْ }

أَي: نُغَيِّرُ خُلُقَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

{ وَنُنْشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ }

أَي: مِنْ الصِّفَاتِ وَالْأَحْوَالِ

و لهذا أحالهم الله تعالى على الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى،

فقال: { وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَتَذَكَّرُونَ }

أن القادر على ابتداء خلقكم، قادر على إعادتكم.

***قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ أَنْشَأَكُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا،

فَخَلَقَكُمْ وَ جَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ،

فَهَلَّا تَتَذَكَّرُونَ وَ تَعْرِفُونَ أَنَّ الَّذِي قَدَرَ عَلَى هَذِهِ النَّشْأَةِ -و هِيَ الْبَدَاءَةُ-

قَادِرٌ عَلَى النَّشْأَةِ الْآخَرَى،

و هِيَ الْإِعَادَةُ بِطَرِيقِ الْأُولَى وَالْآخَرَى،

و كَمَا قَالَ: { وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ } [الرُّوم: 27]

و قَالَ: { أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا } [مَرْيَم: 67] ،

وَقَالَ: {أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس: 77-79] ،

وَقَالَ تَعَالَى: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكْ نُطْفَعٌ مِنْ مَيِّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} ؟ [القيامة: 36-40]

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٦٧﴾

(أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ)

و هذا امتنان منه على عباده، يدعوهم به إلى توحيده و عبادته و الإنابة إليه، حيث أنعم عليهم بما يسره لهم من الحرث للزروع و الثمار، فتخرج من ذلك من الأقوات و الأرزاق و الفواكه، ما هو من ضروراتهم و حاجاتهم و مصالحهم، التي لا يقدرُونَ أن يحصوها، فضلا عن شكرها، و أداء حقها، فقرروهم بمنته، فقال:

{أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}

أي: أنتم أخرجتموه نباتا من الأرض؟
أم أنتم الذين نميموه؟

أم أنتم الذين أخرجتم سنبله و ثمره حتى صار حبا حصيدا و ثمرا نضيجا؟
أم الله الذي انفرد بذلك وحده، و أنعم به عليكم؟
و أنتم غاية ما تفعلون أن تحرثوا الأرض و تشقوها و تلقوا فيها البذر،
ثم بعد ذلك لا علم عندكم بما يكون بعد ذلك،
و لا قدرة لكم على أكثر من ذلك و مع ذلك،
فنبههم على أن ذلك الحرث معرض للأخطار
لولا حفظ الله و إبقاؤه لكم بلغة و متاعا إلى حين.

فقال: {لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ}

أي: الزرع المحروث و ما فيه من الثمار

{حُطَامًا}

أي: فتاتا متحطما، لا نفع فيه و لا رزق،

{فَطَلْتُمْ}

أي: فصرتم بسبب جعله حطاما، بعد أن تعبتم فيه و أنفقتم النفقات الكثيرة

{تَفَكَّهُونَ}

أي: تندمون و تحسرون على ما أصابكم،

و يزول بذلك فرحكم و سروركم و تفكهكم،

***قَالَ الْكِسَائِيُّ: تَفَكَّهُ مِنَ الْأَضْدَادِ،

تَقُولُ الْعَرَبُ: تَفَكَّهُتُ بِمَعْنَى تَنَعَّمْتُ، وَ تَفَكَّهُتُ بِمَعْنَى حَزِنْتُ.

فتقولون:

{إِنَّا الْمَغْرُمُونَ}

أي: إنا قد نقصنا و أصابتنا مصيبة اجتاحتنا.

ثم تعرفون بعد ذلك من أين أتيتم، و بأي سبب ذهبتكم، فتقولون:

{بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ}

فاحمدوا الله تعالى حيث زرعه الله لكم، ثم أبقاه و كمله لكم،
و لم يرسل عليه من الآفات ما به تحرمون نفعه و خيره.

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿١٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿١٩﴾

لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٢٠﴾

لما ذكر تعالى نعمته على عباده بالطعام

(أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ)

ذكر نعمته عليهم بالشراب العذب الذي منه يشربون،
و أنهم لولا أن الله يسره و سهله، لما كان لكم سبيل إليه،

(أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ)

و أنه الذي أنزله من المزن: و هو السحاب و المطر،
ينزله الله تعالى فيكون منه الأنهار الجارية على وجه الأرض و في بطنها،
و يكون منه الغدران المتدفقة،

(لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا)

و من نعمته أن جعله عذبا فراتا تسيغه النفوس،
و لو شاء لجعله ملحا أجاجا مكروها للنفوس. لا ينتفع به

{فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ}

الله تعالى على ما أنعم به عليكم.

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا

تَذِكْرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

(أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ)

*الميسر: توقدون

و هذه نعمة تدخل في الضروريات التي لا غنى للخلق عنها،
فإن الناس محتاجون إليها في كثير من أمورهم و حوائجهم،
فقررهم تعالى بالنار التي أوجدها في الأشجار،

(أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ)

و أن الخلق لا يقدرון أن ينشئوا شجرها،
و إنما الله تعالى الذي أنشأها من الشجر الأخضر،
فإذا هي نار توقد بقدر حاجة العباد،
فإذا فرغوا من حاجتهم، أطفأوها و أحمدها.

*** أَيْ: بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ جَعَلْنَاهَا مُودَعَةً فِي مَوْضِعِهَا،
وَالْعَرَبُ شَجَرَتَانِ:
إِحْدَاهُمَا: الْمَرْخُ، وَالْأُخْرَى: الْعَفَّارُ،
إِذَا أُخِذَ مِنْهُمَا عُصْنَانِ أَخْضَرَانِ فَحُكَّ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ،
تَنَاقَرَا مِنْ بَيْنِهِمَا شَرُّ النَّارِ.

{ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً }

للعباد بنعمة ربهم، و تذكرة بنار جهنم التي أعدها الله للعاصين،
و جعلها سوطا يسوق به عباده إلى دار النعيم،

{ وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ }

أَيْ: الْمُتَنَفِّعِينَ أَوْ الْمَسَافِرِينَ وَ خَصَّ اللَّهُ الْمَسَافِرِينَ لِأَن نَفْعَ الْمَسَافِرِ بِذَلِكَ
أَعْظَمُ مِنْ غَيْرِهِ،

و لعل السبب في ذلك، لِأَن الدُّنْيَا كُلَّهَا دَارُ سَفَرٍ،

و الْعَبْدُ مِنْ حِينٍ وَلَدَ فَهُوَ مُسَافِرٌ إِلَى رَبِّهِ،

فَهَذِهِ النَّارُ، جَعَلَهَا اللَّهُ مَتَاعًا لِلْمَسَافِرِينَ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَ تَذْكِرَةً لَهُمْ بِدَارِ
الْقَرَارِ،

فَلَمَّا بَيَّنَّ مِنْ نِعْمِهِ مَا يُوْجِبُ الشُّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ وَ شُكْرِهِ وَ عِبَادَتِهِ،

*** صحيح البخاري

3265 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»،

قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ كَأَنَّكَ لَكَافِيَةٌ

قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَ سِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا» ()
أمر بتسييحه وتحميده فقال:

{ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ }

أي: نزه ربك العظيم، كامل الأسماء و الصفات،
كثير الإحسان و الخيرات،

و احمده بقلبك و لسانك، و جوارحك، لأنه أهل لذلك

و هو المستحق لأن يشكر فلا يكفر، و يذكر فلا ينسى، و يطاع فلا يعصى.
*** الَّذِي بِقُدْرَتِهِ خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ الْمُتَضَادَّةَ الْمَاءَ الْعَذْبَ الزُّلَّالَ
الْبَارِدَ،

و لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ مِلْحًا أَوْ جَا كَالْبَحَارِ الْمُغْرَقَةِ.
و خَلَقَ النَّارَ الْمُحْرِقَةَ، وَ جَعَلَ ذَلِكَ مَصْلَحَةً لِلْعِبَادِ،
وَ جَعَلَ هَذِهِ مَنَفَعَةً لَهُمْ فِي مَعَاشِ دُنْيَاهُمْ، وَ زَاجِرًا لَهُمْ فِي الْمَعَادِ.

❖ فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْجِئِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦)

أقسم تعالى بالنجوم و مواقعها أي: مساقطها في مغاربها،

و ما يحدث الله في تلك الأوقات،

من الحوادث الدالة على عظمته و كبريائه و توحيده.

(لكافية) في تعذيب أهل النار.

(فضلت عليهن) أي على نيران الدنيا وفي رواية (عليها)

ولعلها أرجح لأن المفضل عليه مفرد والمعنى أنها زادت في العدد والكمية]

ثم عظم هذا المقسم به، فقال:

{ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّتَوْعَلَمُونَ عَظِيمٌ }

وإنما كان القسم عظيماً، لأن في النجوم وجريانها، و سقوطها عند مغاربها، آيات و عبرا لا يمكن حصرها.

* جاء في مجلة الاعجاز

[الرابط](#)

من أسباب القسم بمواقع النجوم

هذه الصفات المذهلة للنجوم تركها القسم القرآني وركز على مواقع النجوم فقال سبحانه وتعالى:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّتَوْعَلَمُونَ عَظِيمٌ)

ولعل من أسباب ذلك ما يلي:

أولاً: أنه نظراً للأبعاد الشاسعة التي تفصل نجوم السماء عنا

فإنه لا يمكن لنا رؤية النجوم من على سطح الأرض أبداً،

ولا بأية وسيلة مادية، وكل الذي نراه من نجوم السماء هو

مواقعها التي مرت بها ثم غادرتها،

إما بالجري في الفضاء الكوني بسرعات مذهلة،

أو بالانفجار و الاندثار،

أو بالانكدار و الطمس.

فالشمس وهي أقرب نجوم السماء إلينا تبعد عنا بمسافة مائة

وخمسين مليون كيلومتر،

فإذا أنبثق منها الضوء بسرعيته المقدرة بحوالي الثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية من موقع معين مرت به الشمس فإن ضوءها يصل إلى الأرض بعد ثمانى دقائق وثلاث دقيقة تقريبا، بينما تجري الشمس بسرعة تقدر بحوالي 19 كيلومترا في الثانية في اتجاه نجم النسر الواقع (Vega) فتكون الشمس قد تحركت لمسافة لا تقل عن عشرة آلاف كيلومتر عن الموقع الذي انبثق منه الضوء، ونحن لا نرى ضوءها إلا على هيئة صورة وهمية للموقع الذي انبثق منه الضوء الذي رأيناه، وهذا من رحمة الله بنا لأن الإنسان إذا نظر إلى النجم بطريقة مباشرة فإنه يفقد بصره في الحال. وأقرب النجوم إلينا بعد الشمس وهو المعروف باسم النجم المركزي الأول (أو الأقرب القنطوري) يصل إلينا ضوءه بعد 4,3 سنة من انطلاقه من النجم، أي بعد أكثر من خمسين شهراً يكون النجم قد تحرك خلالها ملايين عديدة من الكيلومترات، بعيداً عن الموقع الذي صدر منه الضوء، وهكذا فنحن من على سطح الأرض لا نرى النجوم أبداً، ولكننا نرى صوراً قديمة للنجوم انطلقت من مواقع مرت بها، وتتغير هذه المواقع من لحظة إلى أخرى بسرعات تتناسب مع سرعة تحرك النجم في مداره، ومعدلات توسع الكون، وتباعد المجرات عنا، والتي يتحرك بعض منها بسرعات تقترب أحياناً من ثلاثة أرباع سرعة الضوء، وأبعد نجوم مجرتنا عنا يصلنا ضوءه بعد ثمانين ألف سنة من لحظة انبثاقه من النجم،

بينما يصلنا ضوء بعض النجوم البعيدة عنا بعد بلايين السنين، وهذه المسافات الشاسعة مستمرة في الزيادة مع الزمن نظراً لاستمرار تباعد المجرات عن بعضها البعض بسبب اتساع الكون. ومن النجوم التي تتلألأ أضواؤها في سماء ليل الأرض وما ثبت علمياً أنه قد انفجر وتلاشي، أو طمس واختفي منذ ملايين السنين، لأن آخر شعاع انبثق منها قبل انفجارها أو طمسها لم يكن قد وصل إلينا بعد، والضوء القادم منها اليوم يعبر عن ماض قد يقدر بملايين السنين.

ثانياً: ثبت علمياً أن الضوء مثل المادة ينحني أثناء مروره في مجال تجاذبي مثل الكون، و عليه فإن موجات الضوء تتحرك في صفحة السماء الدنيا في خطوط منحنية يصفها القرآن الكريم (بالمعارج)، و يصف الحركة ذاتها (بالعروج)، وهو الانعطاف والخروج عن الخط المستقيم، كما يمكن أن يفيد الصعود في خط منعطف، ومن هنا كان وصف رحلة المصطفى ﷺ في السماوات العلا (بالعروج)، وسميت الليلة باسم (المعراج) والجمع (معارج) و (معاريج). و حينما ينعطف الضوء الصادر من النجم في مساره إلى الأرض فإن الناظر من الأرض يرى موقعاً للنجم على استقامة بصره، و هو موقع يغاير موقعه الذي صدر منه الضوء،

مما يؤكد مرة أخرى أن الإنسان من فوق سطح الأرض لا يمكنه أن يري النجوم أبداً.

ثالثاً: أن النجوم في داخل المجرة الواحدة مرتبطة مع بعضها بالجاذبية المتبادلة بينها، والتي تحكم مواقع النجوم وكتلتها، فمع تسليمنا بأن الله تعالى هو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا كما أخبرنا سبحانه وتعالى بقوله:

(إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) (فاطر41).

ويقول ربنا عز وجل:

(... وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ) (الحج65).

إلا أن الله تعالى له سننه التي يحقق بها مشيئته - وهو القادر على أن يقول للشيء: (كن فيكون)

وهو - تعالى - وضع للكون هذه السنن المتدرجة لكي يستطيع الإنسان فهمها ويتمكن من توظيفها في حسن القيام بواجب الاستخلاف في الأرض،

فمواقع النجوم على مسافات تتناسب تناسباً طردياً مع كتلتها، ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقوى الجاذبية التي تمسك بها في تلك المواقع، وتحفظ السماء أن تقع على الأرض إلا بإذن الله، ومن هنا كانت قيمة مواقع النجوم التي كانت من وراء هذا القسم القرآني العظيم...!!

رابعاً: أثبتت دراسات الفلك، ودراسات كل من الفيزياء الفلكية والنظرية أن الزمان والمكان شيئان متواصلان، ومن هنا كانت مواقع النجوم المترامية الأبعاد تعكس أعمارها الموغلة في القدم، والتي تؤكد أن الكون الذي نحيا فيه ليس أزلياً، إذ كانت له بداية يحددها الدارسون باثني عشر بليوناً من السنين على أقل تقدير، ومن هنا كان في القسم بمواقع النجوم إشارة إلى قدم الكون مع حدوثه، وهي حقائق لم يتوصل إليها العلم المكتسب إلا بنهاية القرن العشرين.

فقد كان اليونانيون القدامى يصرون على أن الأرض هي مركز الكون، أو أن الشمس هي مركز الكون، وأن كليهما ثابت لا يتحرك، غير متصورين وجود أية بنية سماوية إلا حول الشمس، وكان غيرهم من أصحاب المذنبات السابقة واللاحقة يؤمنون بديمومة الأرض والنجوم، وما بها من صور المادة والطاقة، بل ظل الغربيون إلى أوائل القرن الثامن عشر الميلادي يؤمنون بأن النجوم مثبتات بالسماء، وأن السماء بنجومها تتحرك كقطعة واحدة حول الأرض، وأن الكون في مركزه ثابت غير متحرك،

ومكون من عناصر أربعة هي التراب، والماء، والهواء والنار،
وحول تلك الكرات الأربع الثابتة تتحرك السماوات...!!
ثم يأتي القرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة من السنين ليقسم
بمواقع النجوم هذا القسم العظيم، مؤكداً نسبية وأهمية وتعاضم
تلك المواقع،
وأن الإنسان لا يمكن له رؤية النجوم من فوق الأرض،
وكل ما يمكن أن يراه هي مواقع مرت بها النجوم،
ويأتي العلم في نهاية القرن العشرين مؤكداً كل ذلك...!!

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفِيْهِذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا
 بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُّظَرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾
 فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾
 فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ
 الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنَزَلَ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٍ ﴿٩٤﴾
 إِنَّ هَذَا لَهَوْ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سورة الحديد-وهي مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ^ط وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ اللَّهُمَّ لَكَ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ^ط يُحْيِي

وَيُمِيتُ ^ط وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ^ط وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

(إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ)

و أما المقسم عليه، فهو إثبات القرآن، و أنه حق لا ريب فيه، و لا شك
يعتريه،

(كَرِيمٌ)

و أنه كريم أي: كثير الخير، غزير العلم، فكل خير و علم،

فإنما يستفاد من كتاب الله و يستنبط منه.

{ **فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ** }

أي: مستور عن أعين الخلق،

○ وهذا الكتاب المكنون هو:-

اللوح المحفوظ

أي: إن هذا القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ،

معظم عند الله و عند ملائكته في المأ الأعلى.

○ و يحتمل أن المراد بالكتاب المكنون هو:-

الكتاب الذي بأيدي الملائكة الذين ينزلهم الله بوحيه و تنزيله

و أن المراد بذلك أنه مستور عن الشياطين،

لا قدرة لهم على تغييره، و لا الزيادة و النقص منه و استراقه.

{ **لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** }

أي: لا يمس القرآن إلا الملائكة الكرام،

الذين طهرهم الله تعالى من الآفات، و الذنوب و العيوب،

و إذا كان لا يمسّه إلا المطهرون،

و أن أهل الخبث والشياطين، لا استطاعة لهم، و لا يدان إلى مسه،

دلت الآية بتنييها على أنه لا يجوز أن يمس القرآن إلا طاهر،

كما ورد بذلك الحديث،

و لهذا قيل أن الآية خبر بمعنى النهي أي: لا يمس القرآن إلا طاهر.
*الميسر:- لا يَمَسُّ القرآن إلا الملائكة الكرام الذين طهرهم الله
من الآفات و الذنوب،
و لا يَمَسُّه أيضاً إلا المتطهرون من الشرك و الجنابة و الحدث.
{تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}

أي: إن هذا القرآن الموصوف بتلك الصفات الجليلة هو تنزيل رب العالمين،
الذي يربي عباده بنعمه الدينية و الدنيوية،
و من أجل تربية ربي بها عباده، إنزاله هذا القرآن،
الذي قد اشتمل على مصالح الدارين،
و رحم الله به العباد رحمة لا يقدرُونَ لها شكورا.
*** هَذَا الْقُرْآنُ مُنَزَّلٌ مِّنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَ لَيْسَ هُوَ كَمَا يَقُولُونَ:
إِنَّهُ سِحْرٌ، أَوْ كِهَانَةٌ، أَوْ شِعْرٌ،
بَلْ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مِرْيَةَ فِيهِ، وَ لَيْسَ وَرَاءَهُ حَقٌّ نَافِعٌ.
و مما يجب عليهم أن يقوموا به و يعلنوه و يدعوا إليه و يصدقوا به،
و لهذا قال: {أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُّذْهَبُونَ}

أي: أفبهذا الكتاب العظيم و الذكر الحكيم أنتم تذهنون أي:
تختفون و تدلسون خوفاً من الخلق و عارهم و ألسنتهم؟
*** مذهنون: مكذبون غير مصدقين
هذا لا ينبغي و لا يليق،

إنما يليق أن يداهن بالحدِيث الذي لا يثق صاحبه منه.
و أما القرآن الكريم، فهو الحق الذي لا يغالب به مغالب إلا غلب،
و لا يصول به صائل إلا كان العالي على غيره،
و هو الذي لا يداهن به و لا يختفى، بل يصدع به و يعلن.

و قوله: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ}

أي: تجعلون مقابلة منة الله عليكم بالرزق التكذيب و الكفر لنعمة الله،
فتقولون: مطرنا بنوء كذا و كذا، و تضيفون النعمة لغير مسديها و موليتها،
فهلا شكرتم الله تعالى على إحسانه، إذ أنزله الله إليكم ليزيدكم من فضله،
فإن التكذيب و الكفر داع لرفع النعم و حلول النقم.

*** صحيح البخاري

846 - عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّهُ قَالَ:

صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِ
عَلَى إِثْرِ سَمَاءَ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ،
فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ،
فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟
قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:
" أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَ كَافِرٌ،
فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَ رَحْمَتِهِ،
فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَ كَافِرٌ بِالْكَوْكِبِ،
وَ أَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُوءٍ كَذَا وَ كَذَا،

فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكِبِ "

صحيح مسلم-73

*جاء في الصحيح المسند من اسباب النزول
حدَّثني ابنُ عباسٍ،

قَالَ: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ،

فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَ مِنْهُمْ كَافِرٌ

قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ،

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءٌ كَذَا وَكَذَا

قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} [الواقعة:75]،

حَتَّى بَلَغَ: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ} [الواقعة:82](□)

○احوال الناس عند الاحتضار:

{فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ}

أي: فهلا إذا بلغت الروح الحلقوم،

(وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ)

1{وتجعلون رزقكم إنكم تكدبون}

قال الشيخ أبو عمرو رحمه الله ليس مراده أن جميع هذا نزل في قولهم في الأنواء

و إنما النازل في ذلك قوله تعالى (وتجعلون رزقكم إنكم تكدبون)

و أما تفسير الآية فقول تجعلون رزقكم أي شكركم

و قيل تجعلون شكر رزقكم

و قال الحسن أي تجعلون حظكم

و أنتم تنظرون المحتضر في هذه الحالة

{ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ }

و الحال أننا نحن أقرب إليه منكم، بعلمنا و ملائكتنا،

(وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ)

{ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ }

غَيْرَ مُصَدِّقِينَ أَنْكُمْ تَدَانُونَ وَ تُبْعَثُونَ وَ تُجْزَوْنَ، فَرُدُّوا هَذِهِ النَّفْسَ.

وَ عَنْ مُجَاهِدٍ: { غَيْرَ مَدِينِينَ }

غَيْرَ مُوقِنِينَ.

***سنن ابن ماجه - حكم الالباني: صحيح

4262 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:

الْمَيِّتُ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا،

قَالُوا: اخْرِجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ،

اخْرِجِي حَمِيدَةً، وَ أَبْشِرِي بِرُوحٍ وَ رِيحَانٍ، وَ رَبٌّ غَيْرُ غَضْبَانَ،

فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ،

ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟

فَيَقُولُونَ: فَلَانٌ، فَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ،

ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَ أَبْشِرِي بِرُوحٍ وَ رِيحَانٍ، وَ رَبٌّ غَيْرُ غَضْبَانَ

فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ ﷻ

وَ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ الشُّوْءَ،

قَالَ: أَخْرِجِي أَيْتَهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةَ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، أَخْرِجِي ذَمِيمَةً،
وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ، وَغَسَّاقٍ، وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ،
فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ،
ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَلَا يُفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟
فَيُقَالُ: فَلَانٌ، فَيُقَالُ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ،
كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً،
فَإِنَّهَا لَا تُفْتَحُ لِكَ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، فَيُرْسَلُ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ،
ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ ()

أي: فهلا إذا كنتم تزعمون، أنكم غير مبعوثين و لا محاسبين و مجازين.

ترجعون الروح إلى بدنها { تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }

و أنتم تقولون أنكم عاجزون عن ردها إلى موضعها،
فحينئذ إما أن تقولوا بالحق الذي جاءكم به ﷺ،
و إما أن تعاندوا و تعلم حالكم و سوء مآلكم.
ذكر الله تعالى أحوال الطوائف الثلاث:-

1-المقربين،

(بروح) أي رحمة (وريحان) أي طيب.

(بحميم) الماء الحار.

(وغساق) البارد المنتن.- او صديد أهل النار: ايسر التفسير

(وآخر من شكله أزواج) أي بآخر. وأزواج بدل منه. أي

و [أوصافه ومن شكله جار ومجور وقع حالا من أزواج وبأصناف كائنة من جنس المذكور من

الحميم والغساق].

2-و أصحاب اليمين،

3-و المكذبين الضالين،

في أول السورة في دار القرار.

ثم ذكر أحوالهم في آخرها عند الاحتضار و الموت، فقال:

{ فَأَمَّا إِنْ كَانَ }

الميت

{ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ }

و هم الذين أدوا الواجبات و المستحبات،

و تركوا المحرمات و المكروهات و فضول المباحات.

{ ف. } لهم

{ فَرَوْحٌ }

أي: راحة و طمأنينة، و سرور و بهجة، و نعيم القلب و الروح،

{ وَرَيْحَانٌ }

و هو اسم جامع لكل لذة بدنية، من أنواع المآكل و المشارب و غيرهما،

و قيل: الريحان هو الطيب المعروف،

فيكون تعبيراً بنوع الشيء عن جنسه العام

{ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ }

جامعة للأمرين كليهما، فيها ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت،
و لا خطر على قلب بشر،

فيبشر المقربون عند الاحتضار بهذه البشارة،

التي تكاد تطير منها الأرواح من الفرح و السرور .

كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ 30 نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ 31

نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ } [فصلت: 30 - 32]

و قد أول قوله تبارك تعالى: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ

لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [يونس: 64]

أن هذه البشارة المذكورة، هي البشـرى في الحياة الدنيا.

***مسند أحمد ط الرسالة- 15787

إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يعلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ "

و قوله: {وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ }

و هم الذين أدوا الواجبات و تركوا المحرمات،

○ و إن حصل منهم التقصير في بعض الحقوق التي لا تخل بتوحيدهم

و إيمانهم،

{ف} يقال لأحدهم:

{فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ}

○ أي: سلام حاصل لك من إخوانك أصحاب اليمين

أي: يسلمون عليه و يحيونه عند وصوله إليهم و لقائهم له،

○ أو يقال له: سلام لك من الآفات و البليات و العذاب،

لأنك من أصحاب اليمين، الذين سلموا من الذنوب الموبقات.

*** {نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى

أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ} (31) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ

[فصلت: 31، 32]

{وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ}

أي: الذين كذبوا بالحق و ضلوا عن الهدى.

{فَنَزَّلُ}

ضيافتهم

(مَنْ حَمِيمٍ)

*** المذاب الذي {يُضْهِرُّ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ} [الحج: 20]

(وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٍ)

أي: ضيافتهم يوم قدومهم على ربهم تصلية الجحيم التي تحيط بهم،

و تصل إلى أفئدتهم، و إذا استغاثوا من شدة العطش و الظمأ
{وَأِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا}
[الكهف: 29]

{إِنَّ هَذَا}

الذي ذكره الله تعالى، من جزاء العباد بأعمالهم، خيرها و شرها، و تفاصيل
ذلك

{هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ}

أي: الذي لا شك فيه و لا مرية،
بل هو الحق الثابت الذي لا بد من وقوعه،
و قد أشهد الله عباده الأدلة القواطع على ذلك،
حتى صار عند أولي الأبواب كأنهم ذائقون له مشاهدون له
فحمدوا الله تعالى على ما خصهم به من هذه النعمة العظيمة، و المنحة
الجسيمة.

*حق اليقين: الرؤية بالعين

و لهذا قال تعالى: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}

فسبحان ربنا العظيم، و تعالى
و تنزه عما يقول الظالمون و الجاحدون علوا كبيرا.
***مشكاة المصابيح 879 (حسن)

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ:

لَمَّا نَزَلَتْ (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ»

فَلَمَّا نَزَلَتْ (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ»

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهَ وَالدَّارِمِيُّ

صحيح البخاري

6406 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

"كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ()

تفسير سورة الحديد- و هي مدنية- بسم الله الرحمن الرحيم

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ①

لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ②

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ③

(خفيفتان) سهلتان.

(ثقيلتان) في وزن ثوابهما.

(حبيبتان) محبوبتان الي الله

(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^ط)

***{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ

بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [الإسراء: 44]

يخبر تعالى عن عظمته و جلاله و سعة سلطانه،

أن جميع ما في السماوات و الأرض من الحيوانات الناطقة و الصامتة و غيرها

و الجوامد تسبح بحمد ربها،

و تنزهه عما لا يليق بجلاله،

و أنها قانتة لربها، منقادة لعزته،

قد ظهرت فيها آثار حكمته، ولهذا قال:

{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

فهذا فيه بيان عموم افتقار المخلوقات العلوية و السفلية لربها،

في جميع أحوالها، و عموم عزته و قهره للأشياء كلها،

و عموم حكمته في خلقه و أمره.

ثم أخبر عن عموم ملكه، فقال:

{لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^ط يُنْجِي وَيُمِيتُ^ط}

أي: هو الخالق لذلك، الرازق المدبر لها بقدرته

{وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

{هُوَ الْأَوَّلُ}

الذي ليس قبله شيء،

{وَالْآخِرُ}

الذي ليس بعده شيء

{وَالظَّاهِرُ}

الذي ليس فوقه شيء،

{وَالْبَاطِنُ^ط}

الذي ليس دونه شيء.

***سنن أبي داود -5110

عن أَبِي زُمَيْلٍ، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ
فَقُلْتُ: مَا شَيْءٌ أَحَدُهُ فِي صَدْرِي؟

قَالَ: مَا هُوَ؟

قُلْتُ: وَ اللَّهُ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ،

قَالَ: فَقَالَ لِي: «أَشْيَاءٌ مِنْ شَكٍّ؟»

قَالَ: وَضَحَكَ،

قَالَ: «مَا نَجَا مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ»،

قَالَ: حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

{ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ

لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } [يونس: 94]

قَالَ: فَقَالَ لِي: «إِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ شَيْئًا فَقُلْ»

{هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد: 3]

صحيح مسلم- (2713) عَنْ سُهَيْلٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا، إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ، أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَ مُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَ الْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ» وَ كَانَ يَرَوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ()

{هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}

قد أحاط علمه بالظواهر و البواطن،
و السرائر و الخفايا، و الأمور المتقدمة و المتأخرة.
* جاء في نور علي الدرب للشيخ بن باز

(شر كل شيء أنت آخذ بناصيته) أي من شر كل شيء من المخلوقات لأنها كلها في سلطانه وهو آخذ بنواصيها
(اقض عنا الدين) يحتمل أن المراد بالدين هنا حقوق الله تعالى وحقوق العباد كلها من جميع الأنواع

بينها سؤال عن قول الحق تبارك وتعالى:

((لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ)) [الواقعة 79]

من هم المذكورون في هذه الآية؟

الصواب أن المراد بذلك المطهرون من الأحداث من الجنابة والحدث الأصغر،

فلا يمس المصحف إلا المطهر الذي على طهارة من الحدث الأصغر، و الأكبر جميعاً؛

ولهذا كتب النبي ﷺ - إلى أهل اليمن ألا يمس القرآن إلا طاهر، وكان الصحابة رضي الله عنهم يفتون بألا يمسّه إلا طاهر يعني ما كان على طهارة من الحدثين الأكبر والأصغ و القرآن الكريم، و لهذا قال بعده:

تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (43) سورة الحاقة،

أما قراءته فلا بأس، أن يقرأ، وإن كان على غير طهارة صغرى، أما الكبرى فلا بد منها حتى ولو كان من غير المصحف، لا يقرؤه الجنب،

أما من عليه حدث أصغر:-

فلا بأس أن يقرأه عن ظهر قلب و لا يشترط فيه الطهارة، لكن لا يمس المصحف إلا بالطهارة،

و اختلف العلماء في الحائض و النفساء هل هما كالجنب، أو لهما أن تقرأ عن ظهر قلب؛ لأن مدتهما تطول، و الصواب أنهما ليستا كالجنب؛

لأن مدتهما تطول فلا تقاس مع الجنب،
و الصواب أن لهما القراءة عن ظهر قلب كالمحدث حيناً أصغر.
فائدة و إشارة عظيمة للشيخ العثيمين - رحمه الله - في تفسير

قوله تعالى **لا يمسه إلا المطهرون**

الضمير يعود إلى الكتاب المكنون ، لأنه أقرب شيء ،
و هو بالرفع ﴿ لا يمسّه ﴾ باتفاق القراء
وإنما نبهنا على ذلك ، لدفع قول من يقول :
إنه خبر بمعنى النهي ، والضمير يعود على القرآن ،
أي : نهى أن يمس القرآن إلا طاهر ،
والآية ليس فيها ما يدل على ذلك ،
بل هي ظاهرة في أن المراد به اللوح المحفوظ
لأنه أقرب مذكور ، ولأنه خبر ،
والأصل في الخبر أن يبقى على ظاهره خبراً لا أمراً ولا نهياً
حتى يقوم الدليل على خلاف ذلك ،
ولم يرد ما يدل على خلاف ذلك ،
بل الدليل على أنه لا يراد به إلا ذلك ،
وأنه يعود إلى الكتاب المكنون ،
ولهذا قال الله ﴿ **إلا المطهرون** ﴾ باسم المفعول ،
ولم يقل : **إلا المطهرون**
ولو كان المراد **المطهرون** لقال ذلك ،
أو قال : **إلا المتطهرون** ،

كما قال تعالى ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ .

والمطهرون : هم الذين طهرهم الله تعالى ،
وهم الملائكة ، طهروا من الذنوب وأدناسها ،

قال تعالى ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ﴾ التحريم :6.

و قال تعالى ﴿ : يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ الأنبياء 20

و قال تعالى ﴿ بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾
الأنبياء [26-27] : ،

و فرق بين المطهر الذي يريد أن يفعل الكمال بنفسه ،
و بين المطهر الذي كمله غيره وهم الملائكة ،
و هذا مما يؤيد ما ذهب إليه ابن القيم أن المراد بالكتاب الكتب
التي في أيدي الملائكة ،
و في الآية إشارة على أن من طهر قلبه من المعاصي كان أفهم
للقرآن ،

وأن من تنجس قلبه بالمعاصي كان أبعد فهماً عن القرآن ،
لأنه إذا كانت الصحف التي في أيدي الملائكة لم يمكن الله من
مسها إلا هؤلاء المطهرين ، فكذاك معاني القرآن .
فاستنبط شيخ الإسلام من هذه الآية :
أن المعاصي سبب لعدم فهم القرآن ،

كما قال تعالى ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾
المطففين 14 ، وهم الذين قال الله فيهم

﴿ إذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ القلم 15

فهم لا يصلون إلى معانيها وأسرارها
لأنه ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
وقد ذكر بعض أهل العلم :
أنه ينبغي لمن أسْتَفْتِيَ أن يُقَدِّم بين يدي الفتوى الاستغفار لمحو
أثر الذنب من قلبه حتى يتبين له الحق
واستنبطه من قوله تعالى

(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن

للخائنين خصيماً واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً) النساء 105

شرح كتاب التوحيد الشريط 29

السؤال

تفسير آية لا يمسه إلا المطهرون وبيان أنهم الملائكة
؟ وما حكم السفر بالمصحف إلى بلاد الكفار ؟

المفتي

محمد ناصر الدين الألباني

المصدر

الفتوى الثامنة المستخرجة من الشريط الأول من سلسلة الهدى و
النور

الاجابة

السائل : في الآية : لا يمسه إلا المطهرون. المقصود : بـ:

المطهرون، المؤمنون أم المتوضئون ؟ وما الحكم من عدم أخذ

القرآن للبلاد الكافرة؟ الشيخ الألباني رحمه الله : المقصود بالآية
لا هذا ولا هذا ، وإنما المقصود :

هي الملائكة ، وهو إخبار من الله عز وجل عن الملائكة
وليس هذا القرآن وإنما الذي هو في اللوح المحفوظ ،
فهذا المصحف الذي هو في اللوح المحفوظ.
لا يمسه إلا المطهرون.

وهم الملائكة المقربون ، أي :
جملة خبرية ، وليست جملة إنشائية ،
يعني : تصدر حكماً شرعياً ،
الله يتحدث عن الواقع ،
أن القرآن يعني الذي هو في الكتاب المكنون يعني اللوح المحفوظ
هذا. لا يمسه إلا المطهرون.

وهم الملائكة المقربون ،
أما المصحف الذي بين أيدينا ، فهذا يمسه الصالح والطالح
والمؤمن والكافر ،

فليس يعني ربنا عز وجل بهذه الآية :
البشر مطلقاً سواءً كانوا صالحين أو طالحين ،
وإنما يعني كما قلنا : الملائكة المقربين ،
أما السفر بالقرآن والمصحف إلى أرض العدو لا يجوز إلا إذا أمنَ
أن يُمسَّ بسوءٍ وأن يُهَنَ ،
فيجوز حينذاك إذا أمنا أن يُهان المصحف ،
يجوز إدخاله إلى أرض الكفار لعلمهم ،

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ
وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ
فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْفِينَ
فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ
لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ مِمَّا ابْتِغَيْنَتْ
لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيَاكَ أَعْظَمُ
دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾
مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾
{ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ }

***تقدم في سورة الاعراف 54

أولها يوم الأحد و آخرها يوم الجمعة

{ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ }

استواء يليق بجلاله، فوق جميع خلقه،

{ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ }

من حب و حيوان و مطر و غير ذلك.

***كقوله { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [الأنعام: 59]

{ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا }

من نبات و شجر و حيوان و غير ذلك،

{ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ }

من الملائكة و الأقدار و الأرزاق.

***الامطار و الثلوج و البرد و الاحكام مع الملائكة الكرام

{ وَمَا يَرْجُ فِيهَا }^ط

من الملائكة و الأرواح، و الأدعية و الأعمال، و غير ذلك.

***صحيح مسلم -179 عن أبي موسى مرفوعا

يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَ عَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ

{ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ }^ج

كقوله:

{ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى

مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا } [المجادلة: 7]

***كقوله { أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [هود: 5]

يشنون صدورهم:

أي يطاءئون رؤوسهم فوق صدورهم ليستتروا عن الله في زعمهم.

صحيح مسلم-8
فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ:
«أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»

و هذه المعية، معية العلم و الاطلاع،
و لهذا توعده و وعد على المجازاة بالأعمال بقوله:

{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}

أي: هو تعالى بصير بما يصدر منكم من الأعمال،
و ما صدرت عنه تلك الأعمال، من بر و فجور، فمجازيكم عليها،
و حافظها عليكم.

{لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ}

ملكا و خلقا و عبدا، يتصرف فيهم بما شاءه من أوامره القدرية و الشرعية،
الجارية على الحكمة الربانية،

***كقوله {وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى} [اليل: 13]

{وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}

من الأعمال و العمال، فيعرض عليه العباد،

فيميز الخبيث من الطيب، و يجازي المحسن بإحسانه، و المسيء بإساءته.

***إِلَيْهِ الْمَرْجِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَحْكُمُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ،
وَهُوَ الْعَادِلُ الَّذِي لَا يَجُورُ وَلَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ،
بَلْ إِنْ يَكُنْ أَحَدُهُمْ عَمِلَ حَسَنَةً وَاحِدَةً يُضَاعِفْهَا إِلَى عَشْرِ أَمْثَالِهَا،
{وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: 40] وَ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ
حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: 47] .

{يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ}

أي: يدخل الليل على النهار، فيغشيهم الليل بظلامه، فيسكنون و يهدأون،

{وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ}

ثم يدخل النهار على الليل، فيزول ما على الأرض من الظلام، و يضيء الكون،

فيتحرك العباد، و يقومون إلى مصالحهم و معاشهم،

و لا يزال الله يكور الليل على النهار، و النهار على الليل

و يداول بينهما، في الزيادة و النقص، و الطول و القصر،

حتى تقوم بذلك الفصول، و تستقيم الأزمنة،

و يحصل من المصالح ما يحصل بذلك،

فتبارك الله رب العالمين، و تعالى الكريم الجواد،

الذي أنعم على عباده بالنعم الظاهرة والباطنة،

***أي: هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْخَلْقِ، يُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ

و يَقْدَرُهُمَا بِحِكْمَتِهِ كَمَا يَشَاءُ،

فَتَارَةً يَطْوِلُ اللَّيْلَ وَ يَقْصُرُ النَّهَارَ، وَ تَارَةً بِالْعَكْسِ، وَ تَارَةً يَتْرُكُهُمَا مُعْتَدِلَيْنِ.

وَ تَارَةً يَكُونُ الْفَصْلُ شِتَاءً ثُمَّ رَبِيعًا ثُمَّ قَيْظًا ثُمَّ خَرِيفًا،

وَ كُلُّ ذَلِكَ بِحِكْمَتِهِ وَ تَقْدِيرِهِ لِمَا يُرِيدُهُ بِخَلْقِهِ،

{ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }

أي: بما يكون في صدور العالمين،

فيوفق من يعلم أنه أهل لذلك،

و يخذل من يعلم أنه لا يصلح لهدايته

ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ؕ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ

كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يُنتَبِهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ

اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾

{ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ } ط

يأمر تعالى عباده بالإيمان به و برسوله و بما جاء به،

و بالنفقة في سبيله، من الأموال التي جعلها الله في أيديهم و استخلفهم عليها،

لينظر كيف يعملون،

ثم لما أمرهم بذلك، رغبهم وحثهم عليه بذكر ما رتب عليه من الثواب،
 ***أَمَرَ تَعَالَى بِالْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ،
 وَالدَّوَامِ وَالثَّبَاتِ عَلَى ذَلِكَ وَالِاسْتِمْرَارِ،
 وَحَثَّ عَلَى الْإِنْفَاقِ مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ أَيْ مِمَّا هُوَ مَعَكُمْ عَلَى
 سَبِيلِ الْعَارِيَةِ،

فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي أَيْدِي مَنْ قَبْلَكُمْ ثُمَّ صَارَ إِلَيْكُمْ،
 فَأَرْشَدَ تَعَالَى إِلَى اسْتِعْمَالِ مَا اسْتَخْلَفَهُمْ فِيهِ مِنَ الْمَالِ فِي طَاعَتِهِ،
 فَإِنْ يَفْعَلُوا وَإِلَّا حَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ وَعَاقِبُهُمْ لِتَرْكِهِمُ الْوَاجِبَاتِ فِيهِ.
 وَقَوْلُهُ: {مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ}

فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ سَيَكُونُ مُخْلَفًا عَنْكَ،
 فَلَعَلَّ وَارِثَكَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهُ فِيهِ، فَيَكُونَ أَسْعَدَ مِمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ مِنْكَ،
 أَوْ يَعْصِيَ اللَّهَ فِيهِ فَتَكُونَ قَدْ سَعَيْتَ فِي مُعَاوَنَتِهِ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.
 صحيح مسلم - 2958

عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ،
 قَالَ: " يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي،
 قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ،
 أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟ "
 فقال:

{قَالِذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا}

أي: جمعوا بين الإيمان بالله ورسوله، و النفقة في سبيله،

(لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)

أعظمه و أجله رضا ربهم، و الفوز بدار كرامته،
و ما فيها من النعيم المقيم، الذي أعده الله للمؤمنين و المجاهدين
ثم ذكر السبب الداعي لهم إلى الإيمان، و عدم المانع منه، فقال:

{ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ }

أي: و ما الذي يمنعكم من الإيمان،
و الحال أن الرسول محمدا ﷺ أفضل الرسل و أكرم داع دعا إلى الله يدعوكم،
فهذا مما يوجب المبادرة إلى إجابة دعوته،
و التلبية والإجابة للحق الذي جاء به،

{ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقُكُمْ }

و قد أخذ عليكم العهد و الميثاق بالإيمان

(إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

***كقوله {وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاتَّقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا

وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [المائدة: 7]

و مع ذلك، من لطفه و عنايته بكم، أنه لم يكتف بمجرد دعوة الرسول الذي
هو أشرف العالم،

بل أيده بالمعجزات، و دلکم على صدق ما جاء به بالآيات البينات،

فلهذا قال: **{ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ }**

أي: ظاهرات تدل أهل العقول على صدق كل ما جاء به و أنه حق اليقين،

{لِيُخْرِجَكُم}

بإرسال الرسول إليكم، و ما أنزله الله على يده من الكتاب و الحكمة.

{مَنْ الظَّالِمَاتِ إِلَى التَّوْبِ}

أي: من ظلمات الجهل و الكفر، إلى نور العلم و الإيمان،

و هذا من رحمته بكم و رأفته، حيث كان أرحم بعباده من الوالدة بولدها

{وَلِإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ

الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِ أَوْلَاكُمَا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ

بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

{وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .}

أي: و ما الذي يمنعكم من النفقة في سبيل الله، و هي طرق الخير كلها،

و يوجب لكم أن تبخلوا،

{و} الحال أنه ليس لكم شيء، بل

{وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ}

فجميع الأموال ستنتقل من أيديكم أو تنقلون عنها،

ثم يعود الملك إلى مالكة تبارك و تعالى،

فاغتنموا الإنفاق ما دامت الأموال في أيديكم، و انتهزوا الفرصة،
ثم ذكر تعالى تفاضل الأعمال بحسب الأحوال و الحكمة الإلهية، فقال:
{لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا}

المراد بالفتح هنا هو فتح الحديبية،

حين جرى من الصلح بين الرسول و بين قريش مما هو أعظم الفتوحات التي
حصل بها نشر الإسلام، و اختلاط المسلمين بالكافرين،
و الدعوة إلى الدين من غير معارض،
فدخل الناس من ذلك الوقت في دين الله أفواجا
و اعترز الإسلام عزا عظيما،
و كان المسلمون قبل هذا الفتح لا يقدرّون على الدعوة إلى الدين في غير
البقعة التي أسلم أهلها، كالمدينة و توابعها،
و كان من أسلم من أهل مكة و غيرها من ديار المشركين يؤذى و يخاف،
فلذلك كان من أسلم قبل الفتح و أنفق و قاتل،
أعظم درجة و أجرا و ثوابا ممن لم يسلم و يقاتل و ينفق إلا بعد ذلك،
كما هو مقتضى الحكمة،

و لذلك كان السابقون و فضلاء الصحابة، غالبهم أسلم قبل الفتح،
و لما كان التفضيل بين الأمور قد يتوهم منه نقص و قدح في المفضول،

احترز تعالى من هذا بقوله:

{وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ}

أي: الذين أسلموا و قاتلوا و أنفقوا من قبل الفتح و بعده،
كلهم وعده الله الجنة،

و هذا يدل على فضل الصحابة كلهم ، رضي الله عنهم،
حيث شهد الله لهم بالإيمان، و وعدهم الجنة،

***صحيح مسلم-2664

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ،
و فِي كُلِّ خَيْرٍ

أَحْرَصُ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَ لَا تَعْجَزْ،
وَ إِنِ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا،
وَ لَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَ مَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» ()

(المؤمن القوي خير) المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب
هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد وأسرع خروجا إليه وذهابا في طلبه وأشد عزيمة
في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله
تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها
ونحو ذلك

(وفي كل خير) معناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به
الضعيف من العبادات

*** وَ فِي كُلِّ خَيْرٍ :

وَ إِنَّمَا نَبَّهَ بِهَذَا لِئَلَّا يُهْدَرَ جَانِبُ الْآخِرِ بِمَدْحِ الْأَوَّلِ دُونَ الْآخِرِ،
فَيَتَوَهَّمُ مَتَوَهَّمُ دَمَهُ؛

فَلِهَذَا عَطَفَ بِمَدْحِ الْآخِرِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، مَعَ تَفْضِيلِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ؛

{ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }

فيجازي كلا منكم على ما يعلمه من عمله،

*** فَلِخَبَرَتِهِ فَأَوْتِ بَيْنَ ثَوَابٍ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قَاتَلَ،

وَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَ مَا ذَلِكَ إِلَّا لِعِلْمِهِ بِقَصْدِ الْأَوَّلِ

وَ إِخْلَاصِهِ النَّامِ، وَ إِنْفَاقِهِ فِي حَالِ الْجُهْدِ وَ الْقِلَّةِ وَ الضِّيقِ

○ ثم حث على النفقة في سبيله

لأن الجهاد متوقف على النفقة فيه، و بذل الأموال في التجهز له، فقال:

{ مَنْ ذَا الَّذِي يَرْضَى اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا }

و هي النفقة الطيبة التي تكون خالصة لوجه الله، موافقة لمرضاة الله،

من مال حلال طيب، طيبة به نفسه،

و هذا من كرم الله تعالى حيث سماه قرضا، و المال ماله، و العبد عبده،

{ فَيُضَاعَفْ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ }

و وعد بالمضاعفة عليه أضعافا كثيرة، و هو الكريم الوهاب،

(احرص على ما ينفعك) معناه احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة

من الله تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة]

و تلك المضاعفة محلها و موضعها يوم القيامة، يوم كل يتبين فقره،
و يحتاج إلى أقل شيء من الجزاء الحسن،
***كما قال {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً
وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: 245]

المنتخب من مسند عبد بن حميد ت مصطفى العدوي
1332- عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ:-
يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِفُلَانٍ نَخْلَةً، وَإِنَّمَا أُقِيمَ حَائِطِي بِهَا،
فَأَمْرُهُ أَنْ يُعْطِيَنِي حَتَّى أُقِيمَ حَائِطِي بِهَا.
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ "أَعْطِهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ" فَأَبَى،
فَأَتَاهُ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَقَالَ: بَعْنِي نَخْلَتَكَ بِحَائِطِي. قَالَ: فَفَعَلَ.
قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ --" فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
إِنِّي قَدْ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي، فَاجْعَلْهَا لَهُ،
وَ قَدْ أَعْطَيْتُكَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ --:"
"كَمْ مِنْ عَذَقٍ رَدَّاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ" -قَالَهَا مَرَارًا-
قَالَ: فَأَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، اخْرُجِي مِنَ الْحَائِطِ؛
فَإِنِّي قَدْ بَعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَتْ: رَيْحَ الْبَيْعِ -أَوْ كَلِمَةً تُشَبِّهُهَا.
و لذلك قال:

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ تُشْرِكُمْ يَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ لَئِذَا آمَنَّا
 أَنْظَرْنَا نَفْسَيْهِمَا مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُمْ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ
 وَظَلِيمُهُ مِنْ قَبْلِهَا الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ
 وَتُفَيْضْتُمْ وَأُزْبِجْتُمْ وَعُرِيتُمْ أَلَمْ تُدْرِكُوا أَلَمْ يَأْتِ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعُرِيتُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ ﴿١٤﴾ قَالِيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ
 مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ
 لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
 مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمْحَى الْأَرْضَ
 بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا
 اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

يقول تعالى - مبينا لفضل الإيمان و اغتباط أهله به يوم القيامة -:

{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ}

***المستدرك على الصحيحين للحاكم -3785

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ

{يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} [الحديد: 12]

قَالَ: «يُؤْتُونَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ مِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ الْجَبَلِ
 وَ أَذْنَاهُمْ نُورًا مَنْ نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِهِ يُطْفِئُ مَرَّةً وَ يَوْقُدُ أُخْرَى»

أي: إذا كان يوم القيامة، و كورت الشمس، و خسف القمر،
و صار الناس في الظلمة، و نصب الصراط على متن جهنم،
فحينئذ ترى المؤمنين و المؤمنات،
يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم،
فيمشون بأيمانهم و نورهم في ذلك الموقف الهائل الصعب،
كل على قدر إيمانه، و يبشرون عند ذلك بأعظم بشارة،

{وَيَايَمِينِهِم}

***أي و بأيمانهم كتبهم كما قال الله

{ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ } [الانشقاق: 7]

فيقال:

{بُشِّرَكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}

فله ما أحلى هذه البشارة بقلوبهم، و أذاها لنفوسهم،
حيث حصل لهم كل مطلوب محبوب ، و نجوا من كل شر و مرهوب،

(يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا)

فإذا رأى المنافقون نور المؤمنين يمشون به
و هم قد طفئ نورهم و بقوا في الظلمات حائرين، قالوا للمؤمنين:

{ أَنْظِرُونَا نَقْبَسَ مِنْ نُورِكُمْ }

أي: أمهلونا لننال من نوركم ما نمشي به، لننجو من العذاب،

*** تفسير ابن كثير - قال الشيخ العدوي: موقوف صحيح

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ:
خَرَجْنَا عَلَى جِنَازَةٍ فِي بَابِ دِمَشْقَ، وَمَعَنَا أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ،
فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْجِنَازَةِ وَأَخَذُوا فِي دَفْنِهَا،
قَالَ أَبُو أُمَامَةَ: أَيُّهَا النَّاسُ،

إِنَّكُمْ قَدْ أَصَبَحْتُمْ وَآمَسَيْتُمْ فِي مَنْزِلٍ تَقْتَسِمُونَ فِيهِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،
وَتُوشِكُونَ أَنْ تَطْعَنُوا مِنْهُ إِلَى مَنْزِلٍ آخَرَ،
وَهُوَ هَذَا- يُشِيرُ إِلَى الْقَبْرِ- بَيْتُ الْوَحْدَةِ، وَبَيْتُ الظُّلْمَةِ، وَبَيْتُ الدُّودِ،
وَبَيْتُ الضِّيقِ، إِلَّا مَا وَسَّعَ اللَّهُ،

تَنْتَقِلُونَ مِنْهُ إِلَى مُوَاطِنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
فَإِنَّكُمْ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ حَتَّى يَغْشَى النَّاسَ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ،
فَتَبْيِضُ وُجُوهٌ وَتَسْوَدَّ وُجُوهٌ،

ثُمَّ تَنْتَقِلُونَ مِنْهُ إِلَى مَنْزِلٍ آخَرَ فَتَغْشَى النَّاسَ ظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ،
ثُمَّ يَقْسَمُ النُّورُ فَيُعْطَى الْمُؤْمِنُ نُورًا وَيُتْرَكُ الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ
فَلَا يُعْطِيَانِ شَيْئًا، وَهُوَ الْمَثَلُ الَّذِي صَرَبَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ،

قَالَ {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ} إِلَى قَوْلِهِ: {فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} [النور: 40] ،
فَلَا يَسْتَضِيءُ الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ بِنُورِ الْمُؤْمِنِ كَمَا لَا يَسْتَضِيءُ الْأَعْمَى بِنُورِ
الْبَصِيرِ، وَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا:

{انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا}

وَ هِيَ خَدْعَةُ اللَّهِ الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْمُنَافِقِينَ

حَيْثُ قَالَ: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} [النساء: 142] .

فَيَرْجِعُونَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي قَسَمَ فِيهِ النُّورُ،
فَلَا يَجِدُونَ شَيْئًا فَيَنْصَرِفُونَ إِلَيْهِمْ وَقَدْ ضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ،

{بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} الْآيَةُ.
يَقُولُ سُلَيْمٌ بْنُ عَامِرٍ:

فَمَا يَزَالُ الْمُنَافِقُ مُغْتَرًّا حَتَّى يُقَسِّمَ النُّورَ، وَ يُمَيِّزَ اللَّهُ بَيْنَ وَ الْمُؤْمِنِ الْمُنَافِقِ .

ف {قِيلَ} لَهُمْ

{ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا}

أي: إن كان ذلك ممكنا،

و الحال أن ذلك غير ممكن، بل هو من المحالات،

{فَضْرِبَ يَتِيمَهُمْ}

بين المؤمنين و المنافقين

{بِسُورِ}

أي: حائط منيع، و حصن حصين،

{لَهُمْ بَابٌ بِاطْنِهِ، فِيهِ الرَّحْمَةُ}

و هو الذي يلي المؤمنين

{وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ}

و هو الذي يلي المنافقين،

فينادي المنافقون المؤمنين، فيقولون لهم تضرعا و ترحما:

{يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ}

في الدنيا نقول: لا إله إلا الله و نصلي و نصوم و نجاهد، و نعمل مثل عملكم؟

{قَالُوا بَلَىٰ}

كنتم معنا في الدنيا، و عملتم في الظاهر مثل عملنا،
و لكن أعمالكم أعمال المنافقين، من غير إيمان و لا نية صادقة صالحة،

{وَلَكُمْ كُفْرُتُمْ أَنْفُسَكُمْ}

*بِالْإِنْفَاقِ و المعاصي:الميسر

{وَتَرَقَّصْتُمْ}

*بالنبي و بِالْمُؤْمِنِينَ الدَّوَائِرَ:الميسر

{وَأَزْبَقْتُمْ}

*شككتكم في البعث بعد الموت: الميسر
أي: شككتكم في خبر الله الذي لا يقبل شكاً،

{وَعَزَّيْتُمْ الْأَمَانِيَّ}

*الْأَطْمَاعِ الْبَاطِلَةِ، حيث تمنيتم أن تنالوا منال المؤمنين، و أنتم غير موقنين

{حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ}

أي: حتى جاءكم الموت و أنتم بتلك الحال الذميمة.

{وَعَزَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورَ}

و هو الشيطان، الذي زين لكم الكفر و الريب،
فاطمأنتم به، و وثقتم بوعده، و صدقتم خبره.

{ فَأَلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا }

فلو افتديتم بمثل الأرض ذهباً و مثله معه، لما تقبل منكم،

{ مَاؤَنْتُمْ النَّارُ }

أي: مستقركم،

{ هِيَ مَوْلَانَكُمْ }

التي تتولاكم و تضمكم إليها،

***هي أولي بكم من كل منزل علي كفركم و ارتيابكم

{ وَيُسْ أَلْمَصِيدُ }

النار.

قال تعالى: **{ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (9) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ }**

[القارعة: 8 - 10]

❖ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ**

أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ **اعْلَمُوا أَنَّ**

اللَّهُ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾

لما ذكر حال المؤمنين و المؤمنات و المنافقين و المنافقات في الدار الآخرة، كان ذلك مما يدعو القلوب إلى الخشوع لربها، و الاستكانة لعظمته، فعاتب الله المؤمنين على عدم ذلك ، فقال:

{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ}

أي: ألم يجئ الوقت الذي تلين به قلوبهم و تخشع

(لِذِكْرِ اللَّهِ)

الذي هو القرآن، و تنقاد لأوامره و زواجه،

(وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ)

الذي جاء به محمد ﷺ؟

و هذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى،

و لما أنزله من الكتاب والحكمة،

و أن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية و الأحكام الشرعية كل وقت،

و يحاسبوا أنفسهم على ذلك،

*** صحيح مسلم -3027

عن ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَ بَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ:

{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} [الحديد: 16]

إِلَّا أَرْبَعَ سِنِينَ "

{وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ}

أي: و لا يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب
و الانقياد التام، ثم لم يدوموا عليه، و لا ثبتوا،

(فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ)

بل طال عليهم الزمان و استمرت بهم الغفلة،

← فاضمحل إيمانهم و زال إيقانهم،

*** نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالَّذِينَ حَمَلُوا الْكِتَابَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ
وَالنَّصَارَى،

لَمَّا تَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ الَّذِي بَايَدِيهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
وَ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ،
وَ أَقْبَلُوا عَلَى الْأَرَءِ الْمُخْتَلَفَةِ وَ الْأَقْوَالِ الْمُؤْتَفَكَةِ،
وَ قَلَّدُوا الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ،
وَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَ رُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ،
فَعِنْدَ ذَلِكَ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ،
فَلَا يَقْبَلُونَ مَوْعِظَةً، وَ لَا تَلِينُ قُلُوبُهُمْ بِوَعْدٍ وَ لَا وَعِيدٍ.

{فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ}

*** فَلَا يَقْبَلُونَ مَوْعِظَةً، وَ لَا تَلِينُ قُلُوبُهُمْ بِوَعْدٍ وَ لَا وَعِيدٍ.

(وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَيَسْقُوتُ)

* الميسر: و خروجهم عن طاعة الله.

فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تذكر بما أنزله الله، و تناطق بالحكمة،
و لا ينبغي الغفلة عن ذلك،

فإن ذلك سبب لقسوة القلب و جمود العين.

*** أي: في الأعمال، فقلوبهم فاسدة، و أعمالهم باطلة.

كَمَا قَالَ: {فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ} [الْمَائِدَةِ: 13] ،

أي: فَسَدَتْ قُلُوبُهُمْ فَفَسَتْ وَ صَارَ مِنْ سَجِيَّتِهِمْ تَحْرِيفُ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ،

وَ تَرَكُوا الْأَعْمَالَ الَّتِي أُمِرُوا بِهَا، وَ ارْتَكَبُوا مَا نَهَوْا عَنْهُ؛
وَ لِهَذَا نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ الْأَصْلِيَّةِ
وَ الْفَرَعِيَّةِ.

{اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }

فإن الآيات تدل العقول على العلم بالمطالب الإلهية،

و الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الأموات بعد موتهم،

فيجازيهم بأعمالهم، و الذي أحيا الأرض بعد موتها بماء المطر

قادر على أن يحيي القلوب الميتة بما أنزله من الحق على رسوله،

و هذه الآية تدل على أنه لا عقل لمن لم يهتد بآيات الله و لم ينقد لشرائع

الله.

{إِنَّ الْمَصْدَقِينَ وَالْمَصْدَقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفْ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ}



{إِنَّ الْمَصْدَقِينَ وَالْمَصْدَقَاتِ}

بالتشديد أي: الذين أكثروا من الصدقات الشرعية، و النفقات المرضية،

{وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}

بأن قدموا من أموالهم في طرق الخيرات ما يكون مدخرا لهم عند ربهم،

{يُضَاعَفْ لَهُمْ}

الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة،

{وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ}

و هو ما أعده الله لهم في الجنة، مما لا تعلمه النفوس.

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ وَالشَّٰهَدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا
لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ
نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرْدُهُ مُصْفًرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ
عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ الْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ
إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا
فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ
يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

{وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ ۚ}

و الإيمان عند أهل السنة هو ما دل عليه الكتاب و السنة، هو :-

قول القلب و اللسان،

و عمل القلب و اللسان و الجوارح،

فيشمل ذلك جميع شرائع الدين الظاهرة و الباطنة،

فالذين جمعوا بين هذه الأمور هم الصادقون

أي: الذين مرتبتهم فوق مرتبة عموم المؤمنين، و دون مرتبة الأنبياء.

و قوله: {وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ} ^ط

كما ورد في الحديث الصحيح:

صحيح البخاري-7423

«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَ أَعْلَى الْجَنَّةِ، وَ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَ مِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»

و هذا يقتضي شدة علوهم و رفعتهم، و قربهم لله تعالى.

صحيح مسلم -1887

عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ:

{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}

[آل عمران: 169]

قَالَ: أَمَّا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ:

«أَرْوَاهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اِطْلَاعَةً»، فَقَالَ: " هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟

قَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَ نَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،

فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسَأَلُوا،

قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرْدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى،
فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تَرْكُوا "

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ }

فهذه الآيات جمعت أصناف الخلق،
المتصدقين، و الصديقين، و الشهداء، و أصحاب الجحيم،
فالمتصدقون:-

الذين كان جل عملهم الإحسان إلى الخلق،
و بذل النفع إليهم بغاية ما يمكنهم، خصوصا بالنفع بالمال في سبيل الله.
و الصديقون:-

هم الذينكملوا مراتب الإيمان و العمل الصالح،
و العلم النافع، و اليقين الصادق،
و الشهداء:-

هم الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله،
و بذلوا أنفسهم و أموالهم فقتلوا،
و أصحاب الجحيم:-

هم الكفار الذين كذبوا بآيات الله.
و بقي قسم ذكرهم الله في سورة فاطر،
و هم المقتصدون:-

الذين أدوا الواجبات و تركوا المحرمات،
 إلا أنهم حصل منهم تقصير ببعض حقوق الله و حقوق عباده
 فهؤلاء مآلهم الجنة،
 و إن حصل لهم عقوبة ببعض ما فعلوا.

*** {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ

وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ} [النِّسَاءِ: 69]

فَفَرَّقَ بَيْنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمَا صِنْفَانِ.
 وَ لَا شَكَّ أَنَّ الصِّدِّيقَ أَعْلَى مَقَامًا مِنَ الشَّهِيدِ،

كما جاء في الحديث صحيح البخاري 3256

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:

«إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ،

كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأَفْقِ

مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»

قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ،

قَالَ: «بَلَى وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ صَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» ()

(يتراءون) يرون وينظرون ويتكلمون لذلك.

(أهل الغرف) أصحاب المنازل العالية و الغرف جمع غرفة وهي العلية.

(الغابر) الذاهب أو الباقي بعد انتشار ضوء الفجر.

(الأفق) أطراف السماء.

(لتفاضل ما بينهم) لبعده منازل أهل الغرف و علو درجاتهم عن باقي أهل الجنة

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
 كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُمْ مَصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ
 عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿١٠﴾
 (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا)

***كقوله { زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ
 مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } [آل عمران: 14]

يخبر تعالى عن حقيقة الدنيا و ما هي عليه، و يبين غايتها و غاية أهلها،

بأنها { لَعِبٌ }

تلعب بها الأبدان،

(وَلَهُمْ)

و تلهو بها القلوب،

و هذا مصداقه ما هو موجود و واقع من أبناء الدنيا،

فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب،

و الغفلة عن ذكر الله و عما أمامهم من الوعد و الوعيد،

و تراهم قد اتخذوا دينهم لعبا و لهوا،

بخلاف أهل اليقظة و عمال الآخرة،

فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، و معرفته و محبته،
و قد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله،
من النفع القاصر و المتعدي.

{وَزِينَةٌ}

أي: تزين في اللباس و الطعام والشراب، و المراكب و الدور و القصور
و الجاه. و غير ذلك

{وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ}

أي: كل واحد من أهلها يريد مفاخرة الآخر،
و أن يكون هو الغالب في أمورها، و الذي له الشهرة في أحوالها،

{وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ}

أي: كل يريد أن يكون هو الكاثر لغيره في المال و الولد،
و هذا مصداقه، وقوعه من محبي الدنيا و المطمئنين إليها.
بخلاف من عرف الدنيا و حقيقتها، فجعلها معبرا و لم يجعلها مستقرا،
فنافس فيما يقربه إلى الله، و اتخذ الوسائل التي توصله إلى الله
و إذا رأى من يكاثره و ينافسه بالأموال و الأولاد، نافسه بالأعمال الصالحة.

(كَمَثَلِ)

ثم ضرب للدنيا مثلا

{ غَيْثٌ }

المطر نزل على الأرض،

(أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَاءِ اللَّهِ، ثُمَّ يَسْجُجُ فَنَزَلَ لَهُمْ صَفْرًا)

فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس و الأنعام،

{ ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا }

*** يصير يبسا متكسرا

حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، و أعجب نباته الكفار، الذين قصرُوا همهم و نظرهم إلى الدنيا جاءها من أمر الله ما أتلّفها فهاجت و يبست، فعادت على حالها الأولى، كأنه لم ينبت فيها خضراء، و لا رؤي لها مرأى أنيق، - كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة، مهما أراد من مطالبها حصل، و مهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابه مفتحة:

إذ أصابها القدر بما أذهبها من يده، و أزال تسلطه عليها،

أو ذهب به عنها، فرحل منها صفر اليدين، لم يتزود منها سوى الكفن،

فتبا لمن أضحت هي غاية أمنيته و لها عمله و سعيه.

و أما العمل للآخرة فهو الذي ينفع، و يدخر لصاحبه، و يصحب العبد على

الأبد،

*** هَكَذَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا تَكُونُ أَوَّلًا شَابَّةً، ثُمَّ تَكْتَهَلُ، ثُمَّ تَكُونُ عَجُوزًا شَوْهَاءَ، وَ الْإِنْسَانُ كَذَلِكَ فِي أَوَّلِ عُمُرِهِ وَ عُنْفُوَانِ شَبَابِهِ غَضًّا طَرِيًّا لَيْنَ الْأَعْطَافِ،

بِهَيِّ الْمَنْظَرِ،
 ثُمَّ إِنَّهُ يَشْرَعُ فِي الْكُھُولَةِ فَتَتَغَيَّرُ طِبَاعُهُ وَ يَنْقَدُ بَعْضُ قُوَاهُ،
 ثُمَّ يَكْبُرُ فَيَصِيرُ شَيْخًا كَبِيرًا، ضَعِيفَ الْقُوَى، قَلِيلَ الْحَرَكَةِ، يُعْجِزُهُ الشَّيْءُ
 الْيَسِيرُ،
 كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ
 قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} [الرُّوم: 54]
 و لهذا قال تعالى: {وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ}

أي: حال الآخرة، ما يخلو من هذين الأمرين: -

1- إما العذاب الشديد في نار جهنم،

و أغلالها و سلاسلها و أهوالها لمن كانت الدنيا هي غايته

و منتهى مطلبه، فتجراً على معاصي الله،

و كذب بآيات الله، و كفر بأنعم الله.

2 - و إما مغفرة من الله للسيئات

و إزالة للعقوبات، و رضوان من الله،

يحل من أحله به دار الرضوان لمن عرف الدنيا، و سعى للآخرة سعيها.

فهذا كله مما يدعو إلى الزهد في الدنيا، و الرغبة في الآخرة،

و لهذا قال: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ }

أي: إلا متاع يتمتع به و ينتفع به، و يستدفع به الحاجات،

لا يغتر به و يطمئن إليه إلا أهل العقول الضعيفة الذين يغرههم بالله الغرور.

*** صحيح البخاري - 6488

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَ النَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ» ()
قال بن كثير في التعقيب علي هذا الحديث:
ففي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى اقْتِرَابِ الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ مِنَ الْإِنْسَانِ،
وَ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ؛
فَلِهَذَا حَثَّ اللَّهُ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ، مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ،
وَ تَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ، الَّتِي تُكَفِّرُ عَنْهُ الذُّنُوبَ وَ الرِّذَالَتِ،
وَ تُحَصِّلُ لَهُ الثَّوَابَ وَ الدَّرَجَاتِ

سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا

بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ؕ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ؕ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١١﴾

ثم أمر بالمسابقة إلى مغفرة الله و رضوانه و جنته،

و ذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، —من:—

1- التوبة النصوح،

2- الاستغفار النافع،

3- البعد عن الذنوب و مظانها،

(الجنة أقرب .) هو كناية عن سهولة دخولها لمن أطاق وكذلك دخول النار لمن عصي.

(شراك نعله) السير الذي تدخل فيه الأصابع]

4-المسابقة إلى رضوان الله بالعمل الصالح،

5-الحرص على ما يرضي الله على الدوام مـن:-

أ- الإحسان في عبادة الخالق،

ب- الإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع،

و لهذا ذكر الله الأعمال الموجبة لذلك، فقال:

{وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ}

و الإيمان بالله و رسله يدخل فيه أصول الدين و فروعها،

{ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ}

أي: هذا الذي بيناه لكم، و ذكرنا لكم فيه الطرق الموصلة إلى الجنة،

و الطرق الموصلة إلى النار،

و أن فضل الله بالثواب الجزيل و الأجر العظيم من أعظم منته على عباده

وفضله.

{وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}

الذي لا يحصى ثناء عليه،

بل هو كما أثنى على نفسه، و فوق ما يشي عليه عباده .

***صحيح البخاري -843

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:-

جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا:

ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالدرَجَاتِ الْعُلَا، وَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ
يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَ يَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ،
وَ لَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحْجُونَ بِهَا، وَ يَعْتَمِرُونَ، وَ يُجَاهِدُونَ، وَ يَتَصَدَّقُونَ،
قَالَ:

«أَلَا أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مِنْ سَبَقِكُمْ
وَ لَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَ كُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ
مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَ تَحْمَدُونَ وَ تُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَ ثَلَاثِينَ»
فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا:
نُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَ ثَلَاثِينَ، وَ نَحْمَدُ ثَلَاثًا وَ ثَلَاثِينَ، وَ نُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَ ثَلَاثِينَ،
فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقُولُ:
«سُبْحَانَ اللَّهِ، وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَ اللَّهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمْ كُلُّهُمْ ثَلَاثًا وَ ثَلَاثِينَ»
()

صحيح مسلم-595

قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فَقَرَأَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلَ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(الدثور) جمع دثر وهو المال الكثير.
(بالدرجات العلا) المراتب العليا في الجنة.
(النعيم) ما يتنعم به. (المقيم) الدائم.
(فضل من أموال) أموال زائدة عن حاجتهم.
(أحدثكم بأمر إن أخذتم) في نسخة (أحدثكم بما إن أخذتم به).
(ظهرايه) من أنتم بينهم.
(منهن كلهن) من كل حملة منهن]

«ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»

يقول تعالى مخبرا عن عموم قضائه وقدره:

{ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا }

*** وَ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ نُفَاةِ الْعِلْمِ السَّابِقِ -
قَبَّحَهُمُ اللَّهُ

في صحيح مسلم -2653

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ،

قَالَ: وَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ()

○ وهذا شامل لعموم المصائب التي تصيب الخلق، من خير و شر،

فكلها قد كتبت { إِلَّا فِي كِتَابٍ }

في اللوح المحفوظ، صغيرها و كبيرها،

و هذا أمر عظيم لا تحيط به العقول، بل تذهل عنده أفئدة أولي الألباب،

{ نَبْرَأَهَا }

نخلق الارض: الزبدة

(كتب الله مقادير الخلائق) قال العلماء المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره
لا أصل التقدير فإن ذلك أزلي لا أول له
(وعرشه على الماء) أي قبل خلق السموات والأرض]

{ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ }

ان اثباتها في الكتاب علي كثرته علي الله يسير غير عسير: الزبدة
و لكنه علي الله يسير،

و أخبر الله عباده بذلك لأجل أن تتقرر هذه القاعدة عندهم،

و بينوا عليها ما أصابهم من الخير و الشر،

*** أَنَّ عِلْمَهُ تَعَالَى الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا وَ كِتَابَتَهُ لَهَا طَبَقَ مَا يُوْجَدُ فِي حِينِهَا
سَهْلٌ عَلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ

لَأنَّهُ يَعْلَمُ مَا كَانَ وَ مَا يَكُونُ وَ مَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ.

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتِكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ

فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ

الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

فلا يأسوا و يحزنوا علي ما فاتهم، مما طمحت له أنفسهم و تشوفوا إليه،

لعلمهم أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ،

لا بد من نفوذه و وقوعه،

فلا سبيل إلى دفعه،

و لا يفرحوا بما آتاهم الله فرح بطر و أشر،

لعلمهم أنهم ما أدركوه بحولهم و قوتهم،

و إنما أدركوه بفضل الله و منه،

فيشتغلوا بشكر من أولى النعم و دفع النقم،
 **أَعْلَمْنَاكُمْ بِتَقْدَمِ عَلِمْنَا وَ سَبَقِ كِتَابَتِنَا لِلْأَشْيَاءِ قَبْلَ كَوْنِهَا،
 وَ تَقْدِيرِنَا الْكَائِنَاتِ قَبْلَ وُجُودِهَا،
 لَتَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَصَابَكُمْ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكُمْ،
 وَ مَا أَخْطَاكُمْ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكُمْ، فَلَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ،
 فَإِنَّهُ لَوْ قُدِّرَ شَيْءٌ لَكَانَ {وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} أَي: جَاءَكُمْ،
 وَ يَقْرَأُ: "آتَاكُمْ" أَي: أَعْطَاكُمْ. وَ كِلَاهُمَا مُتَلَاذِمَانِ،
 أَي: لَا تَفْخَرُوا عَلَى النَّاسِ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ،
 فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِسَعْيِكُمْ وَ لَا كَدِّكُمْ،
 وَ إِنَّمَا هُوَ عَنْ قَدَرِ اللَّهِ وَ رِزْقِهِ لَكُمْ، فَلَا تَتَّخِذُوا نِعَمَ اللَّهِ أَشْرًا وَ بَطْرًا،
 تَفْخَرُونَ بِهَا عَلَى النَّاسِ؛

و لهذا قال: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ}

أي: متكبر فظ غليظ، معجب بنفسه،

(فَخُورٍ)

بنعم الله، ينسبها إلى نفسه، و تطغيه و تلهيه، كما قال تبارك و تعالى:
 {فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا نَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ
 بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: 49]

{الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ}

أي: يجمعون بين الأمرين الذميين، اللذين كل منهما كاف في الشر

البخل:

و هو منع الحقوق الواجبة، و يأمر الناس بذلك، فلم يكفهم بخلهم،

حتى أمروا الناس بذلك، و حثوهم على هذا الخلق الذميم،

بقولهم و فعلهم، و هذا من إعراضهم عن طاعة ربهم و توليهم عنها،

*كقوله {الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} [النساء: 37]

{وَمَنْ يَتَوَلَّ}

عن طاعة الله فلا يضر إلا نفسه، و لن يضر الله شيئاً،

{فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ}

الذي غناه من لوازم ذاته،

الذي له ملك السماوات و الأرض، و هو الذي أغنى عباده و أقناهم،

(الْحَمِيدُ)

الذي له كل اسم حسن، و وصف كامل، و فعل جميل،

يستحق أن يحمد عليه و يشى و يعظم.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ
بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ
وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَبُونَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ
بِرُسُلِنَا وَفَقَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنَاءَ ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهَا إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا
رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يٰٓأَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرُسُلِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلًا مِنْ رَحْمَتِهِ عَوْجَعَلْ لَكُمْ نُورًا
تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِيُذَكِّرَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى
شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

يقول تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ {

وهي الأدلة و الشواهد و العلامات الدالة على صدق ما جاءوا به و حقيقته.

{وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ {

و هو اسم جنس يشمل سائر الكتب التي أنزلها الله لهداية الخلق و إرشادهم،
إلى ما ينفعهم في دينهم و دنياهم،

{وَالْمِيزَانَ {

و هو العدل في الأقوال و الأفعال،

و الدين الذي جاءت به الرسل، كله عدل و قسط فـي:-

1- الأوامر و النواهي

2- و في معاملات الخلق،

3- و في الجنايات

4- و القصص

5- و الحوادث

6- و المماريات و غير ذلك ،

***كقوله {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ} [هود: 17]

{ فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَىٰ فِطْرَتِهِ } [الروم: 30]

{وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ } [الرحمن: 7]

{ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ }

و ذلك قياما بدين الله، و تحصيلًا لمصالحهم التي لا يمكن حصرها و عدها،

و هذا دليل على أن الرسل متفقون في قاعدة الشرع، و هو القيام بالقسط،

و إن اختلفت أنواع العدل، بحسب الأزمنة و الأحوال،

***بالحق و العدل الذي ليس وراءه حق كما قال

{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}

[الأنعام: 115]

أي صدقا في الاخبار و عدلا في الاوامر و النواهي

{وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ}

من آلات الحرب، كالسلاح و الدروع و غير ذلك.

الاعجاز العلمي من هنا

{وَمَنْفَعُ النَّاسِ}

و هو ما يشاهد من نفعه في أنواع الصناعات و الحرف، و الأواني
و آلات الحرث، حتى إنه قل أن يوجد شيء إلا و هو يحتاج إلى الحديد.

{وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ} ^٤ أي:

ليقيم تعالى سوق الامتحان بما أنزله من الكتاب و الحديد،
فيتبين من ينصره و ينصر رسله في حال الغيب،
التي ينفع فيها الإيمان قبل الشهادة، التي لا فائدة بوجود الإيمان فيها،
لأنه حينئذ يكون ضروريا.

***الجزائري :** و هم يبلغون دعوة ربهم بالغيب أي
و هم لا يشاهدون الله تعالى بأعينهم و إن عرفوه بقلوبهم.

{إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}

أي: لا يعجزه شيء، و لا يفوته هارب،
و من قوته و عزته أن أنزل الحديد الذي منه الآلات القوية،
و من قوته و عزته أنه قادر على الانتصار من أعدائه،
و لكنه يتلى أوليائه بأعدائه، ليعلم من ينصره بالغيب،

و قرن تعالى في هذا الموضع بين الكتاب و الحديد
لأن بهذين الأمرين ينصر الله دينه، و يعلي كلمته بالكتاب الذي فيه الحجة
و البرهان و السيف الناصر بإذن الله،
و كلاهما قيامه بالعدل و القسط الذي يستدل به على حكمة الباري و كماله،
و كمال شريعته التي شرعها على ألسنة رسله.
و لما ذكر نبوة الأنبياء عموما،
ذكر من خواصهم النبيين الكريمين نوحا و إبراهيم اللذين جعل الله النبوة
و الكتاب في ذريتهما، فقال:

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوءَ وَالْكِتَابَ } أي:

الأنبياء المتقدمين و المتأخرين كلهم من ذرية نوح و إبراهيم عليهما السلام،
و كذلك الكتب كلها نزلت على ذرية هذين النبيين الكريمين،

{ فَمِنْهُمْ }

أي: ممن أرسلنا إليهم الرسل

{ مَهْتَدٍ }

بدعوتهم، منقاد لأمرهم، مسترشد بهداهم.

{ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَذَسِقُونَ }

أي: خارجون عن طاعة الله و طاعة الرسل والأنبياء

كما قال تعالى: { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } [يوسف: 103]

{ ثُمَّ قَفَّيْنَا }

أي: أتبعنا

{ عَلَيْنَا أَثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ }

خص الله عيسى عليه السلام؛ لأن السياق مع النصارى،
الذين يزعمون اتباع عيسى عليه السلام،

{ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ }

الذي هو من كتب الله الفاضلة،

{ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ }

كما قال تعالى: { لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا
وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ
وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ } [المائدة: 82]

{ رَأْفَةً }

رقة-الزبدة

{ وَرَحْمَةً }

بالخلق-الزبدة

و لهذا كان النصارى ألين من غيرهم قلوبا،

حين كانوا على شريعة عيسى عليه السلام.

{ وَرَهْبَانِيَّةٌ ابْتَدَعُوهَا }

و الرهبانية: العبادة، فهم ابتدعوا من عند أنفسهم عبادة،
و وظفوها على أنفسهم، و التزموا لوازم
*الجزائري: و هي اعتزال النساء و الانقطاع في الأديرة
و الصوامع للتعبد.

{ مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِنَّ }

ما كتبها الله عليهم و لا فرضها،

{ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ }

بل هم الذين التزموا بها من تلقاء أنفسهم،
قصدهم بذلك رضا الله تعالى، و مع ذلك

{ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا }

أي: ما قاموا بها و لا أدوا حقوقها،

فقصروا من وجهي—ن:

1-من جهة ابتداعهم،

2-و من جهة عدم قيامهم بما فرضوه على أنفسهم.

فهذه الحال هي الغالب من أحوالهم.

و منهم من هو مستقيم على أمر الله، و لهذا قال:

{فَتَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ}

أي: الذين آمنوا بمحمد ﷺ، مع إيمانهم بـ عيسى،
كل أعطاه الله على حسب إيمانه

{وَكثيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}

يَتَاتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ مَا بُرِئَ رَسُولُهُ يُوتِيكُمْ كَفَالَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ
نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ **إِنَّا لَنَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ لَا يَقْدِرُونَ**
عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَإِنَّا لَفَضْلٌ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

(يَتَاتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ مَا بُرِئَ رَسُولُهُ يُوتِيكُمْ)

*** أَبُو بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

" ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ،
وَ الْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ،
وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أُمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا،
وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا،
ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ،"
ثُمَّ قَالَ عَامِرٌ: أَعْطَيْنَاكَهَا بِغَيْرِ شَيْءٍ، قَدْ كَانَ يُرَكَّبُ فِيهَا دُونَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ ()

(رجل من أهل الكتاب) التوراة أو الإنجيل ذكرا كان أم أنثى.

(مواليه) جمع مولى وهو السيد المالك للعبد أو المعتق له.

(أمة) مملوكة.

(يطؤها) ممتكن من جماعها شرعا يملكه لها.

***و كقوله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [الأنفال: 29]

و هذا الخطاب، يحتمل:-

1- أنه خطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بموسى و عيسى عليهما السلام، يأمرهم أن يعملوا بمقتضى إيمانهم، بأن يتقوا الله فيتركوا معاصيه، و يؤمنوا برسوله محمد ﷺ، و أنهم إن فعلوا ذلك أعطاهم الله

{ كَفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ }

أي: نصيبين من الأجر نصيب على إيمانهم بالأنبياء الأقدمين، و نصيب على إيمانهم بمحمد ﷺ.

2-و يحتمل أن يكون الأمر عاما يدخل فيه أهل الكتاب و غيرهم، و هذا الظاهر، و أن الله أمرهم بالإيمان و التقوى الذي يدخل فيه جميع الدين، ظاهره و باطنه، أصوله و فروعه، و أنهم إن امتثلوا هذا الأمر العظيم، أعطاهم الله

{ كَفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ }

(فأدبها) رباها ونشأها على التخلق بالأخلاق الحميدة.
(أعطيناها) أي هذه الفتوى والخطاب لرجل من أهل خراسان سأله عمن يعتق أمته ثم يتزوجها. فتح الباري]

لا يعلم وصفهما و قدرهما إلا الله تعالى

أجر على الإيمان،

و أجر على التقوى،

أو أجر على امتثال الأوامر،

و أجر على اجتناب النواهي

أو أن الشئبة المراد بها تكرار الإيتاء مرة بعد أخرى.

{وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ}

أي: يعطيكم علما و هدى و نورا تمشون به في ظلمات الجهل،

و يغفر لكم السيئات.

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

{لَا يَلْعَلُ أَهْلُ الْكِتَابِ}

أي:

بيننا لكم فضلنا و إحساننا لمن آمن إيماننا عاما

و اتقى الله، و آمن برسوله،

لأجل أن أهل الكتاب يكون لديهم علم

(أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ)

بأنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله

أي: لا يحجرون على الله بحسب أهوائهم و عقولهم الفاسدة، فيقولون:

{لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى}

و يتمنون على الله الأمانى الفاسدة،

***ليتحققوا انهم لا يقدرون علي رد ما اعطاه الله و لا اعطاء ما منعه الله

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: **{لَيْلًا يَعْلَمُ}**

أَيُّ: لِيَعْلَمَ وَقَدْ ذَكَرَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَرَأَهَا: "لَيْ يَعْلَمَ".

وَ كَذَا حِطَّانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ،

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:

لِأَنَّ الْعَرَبَ تَجْعَلُ "لَا" صَلَةً فِي كُلِّ كَلَامٍ دَخَلَ فِي أَوَّلِهِ وَ آخِرِهِ جَحْدٌ غَيْرُ مُصَرَّحٍ،

فَالسَّابِقُ كَقَوْلِهِ: **{مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ}** [الأعراف: 12] ،

{وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام: 109] ،

{وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} [الأنبياء: 95] .

فأخبر الله تعالى أن المؤمنين برسوله محمد ﷺ، المتقين لله،

لهم كفلان من رحمته، و نور، و مغفرة، رغما على أنوف أهل الكتاب،

و ليعلموا **{وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ}**

ممن اقتضت حكمته تعالى أن يؤتيه من فضله،

{وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}

فلا يستكثر هذا الثواب على فضل ذي الفضل العظيم،

الذي عم فضله أهل السماوات و الأرض،
فلا يخلو مخلوق من فضله طرفة عين و لا أقل من ذلك.

***جاء في موقع الكحيل: العودة**

سؤال الإعجاز: ما هو الإعجاز في رقم سورة الحديد؟

هذا سؤال طرحه أحد الإخوة حول العدد الذري للحديد
و رقم سورة الحديد.. وعلاقته بالوزن الذري للحديد....

في سورة الحديد معجزتان: علمية ورقمية
فإذا تلفتنا حولنا نرى للحديد أثراً في كل شيء اخترعه الإنسان
في القرن العشرين.

فجميع الآلات والأجهزة يدخل في تركيبها الحديد،
جميع وسائط النقل ووسائل الاتصال وغيرها حتى الطعام الذي
نأكله واللباس الذي نلبسه وحتى الماء الذي نشرب اليوم وغير
ذلك....

كل هذه الأشياء تم إعدادها بواسطة آلات صُنعت أساساً من الحديد،
فما هو سرّ هذا المعدن الذي يُعتبر سيد المعادن في القرن
العشرين؟

الملفت للانتباه أننا عندما ندرس جميع المعادن نجد أن للحديد
خواصاً ينفرد بها وحده.

فهو المعدن الوحيد الذي نستطيع أن نتحكم بصلابته ومتانته بحدود واسعة من خلال إضافة بعض العناصر مثل الكربون.

ولكن ما الذي يعطي الحديد هذه الخواص الفريدة؟

إنها الطريقة التي تركبت فيها ذرات الحديد،

فبين هذه الذرات توجد قوى عظيمة تشدّ هذه الذرات إلى بعضها ضمن مجموعات تسمى جزيئات الحديد.

وعندما يضاف عنصر الكربون بنسبة ما فإن ذرات الكربون الأصغر حجماً تتوضع في أماكن محددة بين هذه الذرات لتزيد من قوى الشدّ هذه مما يزيد في مرونة المعدن ومتانته معاً.

يعتبر الحديد من أقوى المواد في الطبيعة فهو يتمتع بخصائص كثيرة تجعله المعدن الأشد والأقوى،

ولذلك تعتمد حضارتنا اليوم على الحديد بشكل واسع

ولولا هذا العنصر لم يتمكن البشر من صنع المركبات الفضائية والطائرات وأجهزة الاتصال

ولم نكن لنتمتع بهذه الاختراعات...

ألا يدعونا ذلك أن نحمد الله تعالى؟

ويمكن القول: في ذرات الحديد وجزئياته بأس شديد،

لأن كلمة (البأس) تجمع عدة صفات كالمتانة والصلابة

والمرونة، وهذه جميعها موجودة داخل الحديد.

وهنا تتجلى عظمة القرآن عندما يصف الحديد بأن فيه بأساً شديداً،

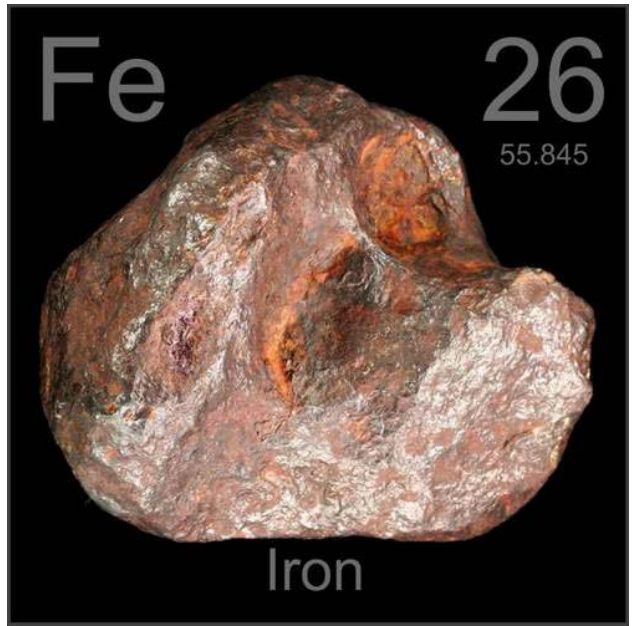
يقول تعالى:

العودة

(وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) [الحديد 25].

ولكن هنالك شيء آخر في هذه الآية وهو كلمة (أنزلنا):
فهل نزل الحديد فعلاً إلى الأرض؟

نحن نعلم منذ بداية خلق الكون أن العنصر الأساسي الذي نشأ في
بداية الخلق هو الهيدروجين (وهو أخف العناصر في الطبيعة)
ثم بدأت العناصر الأثقل بالتشكل نتيجة للاندماجات النووية
والحرارة المرتفعة والطاقة الجبارة التي خلفها الانفجار الكبير.



تدل النيازك الساقطة من الفضاء الخارجي أن الحديد نزل من
السماء منذ ملايين السنين أثناء تشكل الأرض.

وقد كان يُظن سابقاً أن الحديد الذي على الأرض نشأ من تفاعلات
تمت على الأرض.

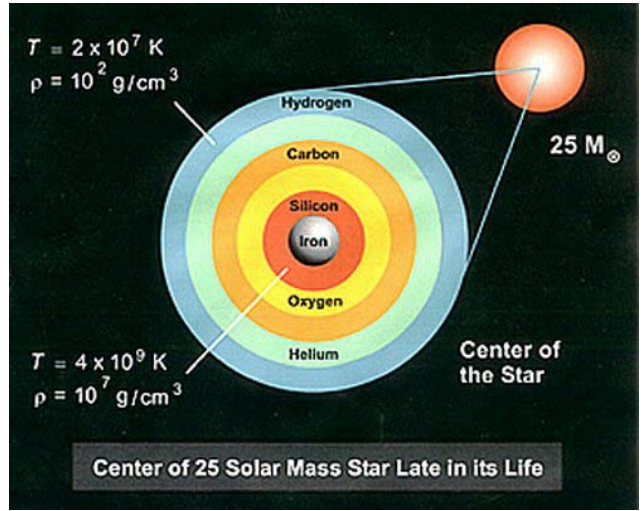
ولكن أحد الباحثين قاس كمية الطاقة اللازمة لتشكيل الحديد فوجدها كبيرة جداً، مثل هذه الطاقة لا تتوفر إلا في النجوم الضخمة (التي هي أضخم بكثير من الشمس).

وقد قاده هذا الأمر إلى التصريح بأن عنصر الحديد لا يمكن أن يتشكل داخل المجموعة الشمسية أو على الأرض،

بل تشكل في الفضاء بدرجات حرارة وطاقة عالية جداً ثم قُذِفَ به إلى الأرض على شكل نيازك، أي نزل إلى الأرض!!

1- ثبت علمياً أن الحديد الموجود في الأرض نزل نزولاً من السماء.

2- ثبت علمياً أن القوى الموجودة في عنصر الحديد هي قوة شديدة جداً تجمع بين المتانة والمرونة والصلابة وهي ما سماه القرآن بالبأس الشديد.



تدل الدراسات العلمية أن الحديد لا يمكن أن يتشكل إلا في قلب النجوم الكبيرة ذات الحرارة العالية جداً كما نرى في الصورة. فتشكل الحديد يحتاج لنجم يزيد عن كتلة الشمس بأكثر من 26 ضعفاً...

أي أن الحديد نزل من خارج المجموعة الشمسية ووصل إلى الأرض من خلال بلايين النيازك... سبحان الله! [العودة](#)
و لذلك فإن عنصر الحديد من أكثر العناصر استقراراً في الطبيعة و لذلك يعتبر من أكثر العناصر شدة وبأساً!!
و لكن الإعجاز لم ينته، لأن هذه السورة العظيمة تحوي معجزة عديدة أيضاً!!

3- فالوزن الذري لأحد نظائر الحديد هو 57 (وأن رقم سورة الحديد في القرآن هو 57) أيضاً!!
إن هذه الحقائق العلمية والهندسية والرقمية تثبت أننا كيفما نظرنا إلى آيات الكتاب العظيم نجدها مُحكمة ومعجزة،

ولا تناقض العلم الحديث بل تتفوق عليه. وهذا إثبات على أن القرآن كتاب متكامل ومحكم.

وفي هذا المقام نذكر بأن الإعجاز القرآني لا يقتصر على علوم الفلك والأرض والطب وغيرها،

بل في كل آية من آيات القرآن هنالك معجزة رقمية مبهرة وبناء محكم يدل على أن هذا القرآن كتاب من عند الله تعالى، رتب حروفه وكلماته بنظام رقمي لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله! وهذا ما برهنا عليه من خلال أبحاث الإعجاز الرقمي والتي تتضمن حقائق رقمية مذهلة تدل على عظمة منزل القرآن سبحانه وتعالى.

ملاحظة:

إن الله تعالى خلق في الكون عدة أنواع من الحديد تسمى نظائر الحديد، وعنصر الحديد رقم 57 هو أحد هذه النظائر وهو يطابق رقم سورة الحديد، ولا نعلم الحكمة من ذلك، لماذا اختار الله تعالى للحديد هذه النظائر بالذات (5657565...) والعنصر الغالب في الطبيعة هو 56 الذي يأخذ النسبة الكبرى بين جميع النظائر، ولكن لماذا جعل سورة الحديد تأخذ الترتيب رقم 57 ؟ طبعاً لا ندري حتى الآن،

ولكن هناك حكمة من ذلك نسأل الله تعالى أن ييسر اكتشافها. لأننا بالطبع لم نكتشف جميع أسرار القرآن، وقد حاول بعض الباحثين أن يبدأ العد من سورة البقرة (على اعتبار أن الفاتحة هي أم القرآن)

فإذا كانت سورة البقرة رقمها واحد ستكون سورة الحديد رقمها 56 وهذا يطابق الوزن الذري للحديد (النظير 56)، ولكن مثل هذا العمل لا يجوز لأنه نوع من أنواع التحايل على أرقام القرآن، وباختصار نقول:
إن رقم سورة الحديد هو 57 والوزن الذري لأحد نظائر الحديد هو 57 ونتوقع أن هذا التطابق لم يأت بالمصادفة، والله أعلم.

[العودة](#)